أدب السجون: أين اختفى هذا النوع من الأدب؟



أدب السجون هو الأدب الإنساني النضالي الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجع اليومي والمعاناة النفسية والقهر الذاتي، والمعبّر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخيوط الشمس.

وإبداعات أدب السجون فريدة الملمح، تغرف من مخزون قلم هو مزيج نفثات وخطرات وآهات، مجبولة بترنيمات عوالم الروح الغارقة في التأمل وبمفردات التجربة المريرة..

هكذا يوصف بعض النقاد والمحللين ماهية الأعمال الروائية التي كتبها مثقفون كثر، يوماً ما، بينما كانوا يقبعون خلف قضبان السجن، إذ سجلوا فيها ومعها، أروع نماذج تجاربهم، ومن بينهم صنع الله إبراهيم،الذي قال في أحد حواراته، إنه غير نادم على الفترة التي قضاها في السجن، بل يرى أنه مدين إليها كونها أتاحت له القدرة على التفكير بصفاء، ومراقبة البشر والتعرف إلى سلوكهم.. فهل حقاً، يُمكن القول إن تجربة السجن لدى الكاتب، نبع خصب، كونه يستفيد من زخمها، وينجح في ترويضها وتشكيلها؟

لا يتردد روائيون كثر، عايشوا واختبروا تجربة السجن، في التأكيد ضمن أحاديثهم، على أنهم يحنون إلى ذكرى فترة السنوات التي قضوها في السجن، ونجدهم يروون سيراً وحكايات لا تنتهي، عن دورها في صقل مستوى خبراتهم، ومدهم بأدوات ومهارات الرواية المتقنة، المحاكية روح الواقع، وكذا النضج من عمق الوجدان الإنساني.

وفي السبعينيات من القرن العشرين كان يصعب تعميدك ككاتب مبدع إن لم تقرأ المجلدات السميكة والكتب ذات القطع المتوسط والصغير التي كانت لها علاقة حبرية صميمية بأدب السجون والمعتقلات، وكان يبدو من العيب على أي مثقف يضع نفسه في مصاف الكتاب الطليعيين، ألا يعرف شاعر تركيا العظيم ناظم حكمت وحبيبة أسره (منور) التي انتظرته لمدة تزيد على الـ30 عاماً.

وكان من الصعب أيضاً على القارئ الذي يتسم بالمواظبة، ولديه السجل الكامل بالمعتقلين المناضلين من كتاب العالم ألا يمتلك القدرة على المواظبة في تتبع أخبارهم، إذ إنه من العيب عليك وأنت المتابع لكل القضايا التي ترتج لوقعها الثقافة العالمية، ألا تتبع النفي الذي عاشه شاعر إسبانيا العظيم (روفائيل البرتي) الذي عاش منفياً عن وطنه إسبانيا لمدة تزيد على الـ(39) عاماً، وألا تعرف المعاناة التي عاشها شاعر تشيلي العظيم بابلو نيرودا، وألا تكون قد قرأت كتابه ذائع الصيت آنذاك (أعترف بأني قد عشت).

ويقول الكاتب خليل قنديل: الأمر ذاته كان ينطبق على الكتاب الأمثل عن أدب السجون الذي كتبه الروائي الروسي دوستفيسكي والموسوم بـ(مذكرات من بيت الموتى)، والذي يتحدث عن عذاب المعتقلين الروس في منطقة سيبيريا.

أما بخصوص الكتابات الإبداعية العربية فجميع جيلي السبعيني يذكر رواية (الكرنك) التي كتبها صاحب (نوبل) الروائي نجيب

محفوظ، وتلك الضجة التي أحدثتها تلك الرواية في مجال أدب السجون والمعتقلات، وجميع أفراد جيلي من المواظبين على مثل هذا النوع من القراءات لا يزالون يذكرون ارتعاشة أيدينا ونحن نهرب رواية (شرق المتوسط) للروائي الراحل عبد الرحمن منيف، ونحن نرتعش خوفاً على بطلها رجب الذي ذاق الأمرين في السجون والمعتقلات السياسية العربية.

وأنا مازلت أذكر الرواية الوثائقية التي كتبها الكاتب الفلسطيني توفيق فياض وحملت عنوان (المجموعة 778)، وهي ترصد اعتقال خلية فلسطينية مناضلة بتوثيقية مُدهشة، وكان قد كتبها فياض على ورق السجائر وحينما أفرج عنه إثر المعاهدة المصرية الإسرائيلية قام بطباعتها ونشرها.

وجميعنا كنّا نقف خلف الشاعر الفلسطيني المقاوم وهو يهجو عدوه بالكتابات التي كانت قادرة على تحريك مظاهرات.

وعرف الأدب العربي على مر العصور والحقب التاريخية المختلفة أدب الأسر وتجربة الاعتقال، فمثلاً أبو فراس الحمداني الشاعر والفارس، الذي لا يهاب الموت، كتب في السجن أروع قصائده (الروميات) في الأسر. لنسمعه يقول في قصيدته الشهيرة (أراك عصي الدمع):

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى فهي عليك ولا أمر

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يذاع لـه سـر

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى

وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

في حين نجد المعتمد بن عباد، ملك أشبيلية والشاعر المجيد الذي كان يعشق الأدب، قد صور عذابه وألمه وتجربته في السجن، بلغة شاعرية مؤثرة، وصور فنية غنية، ودلالات عميقة المعنى، وأسلوب شفاف وواضح. ومن أشعاره التي أثارت غرائزنا ومشاعرنا، ولامست أحاسيسنا وشغاف قلوبنا، ما كتبه وهو في سجن(أغمات) التونسي .. حيث قال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا

فجاءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة

يغزلـن للناس ما يملك قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهـن حـسيرات مكاسـيرا

يطأن في التراب والأقدام حافية

كأنـهـا لم تطأ مـسكاً وكافـــورا

يقول الباحث شاكر فريد حسن: أما في الحالة العربية المعاصرة فثمة الكثير مما كتبه المبدعون العرب، الذين أمضوا الأيام الخوالي والليالي المتعبة في السجون، وخاضوا التجربة القاسية في سجون وزنازين الأنظمة العربية القمعية الاستبدادية، التي بدأت بالتساقط والانهيار الواحدة تلو الأخرى. ومن أبرز الذين مروا بتجربة الاعتقال، الروائي والمثقف المصري صنع الله إبراهيم، الذي ينتمي لجيل الستينيات، ونزيل السجون المصرية، الذي كتب عن هذه التجربة المرّة في روايته (تلك الرائحة). وفي السجن تعلم المعنى الحقيقي للعدالة والتقدم وحب الوطن، وأنه يعتبر السنوات التي قضاها خلف القضبان هي التي صنعت منه روائياً متميزاً. وقد قال مرة في لقاء صحفي أُجري معه:«إني غير نادم على الفترة التي قضيتها في السجن، وأرى إني مدين لها بالكثير، فهي التي أتاحت لي فرصة مراقبة البشر والتعرف على سلوكهم وعلى عوالم ثرية وشخصيات مهمة ووفية، لم أكن لأتعرف عليها وأنا خارج السجن». وأضاف قائلاً:«لو عاد الزمن إلى الوراء وخيرت سأختار خوض تجربة السجن مرّة ثانية دون تردد رغم الفترة التي قضيتها ».

ويقول: في أدبنا الفلسطيني المقيم في هذا الجزء النابض من الوطن الفلسطيني (داخل حدود 48) فقد كان للدور الثقافي الذي لعبه شعراء وأدباء المقاومة في تنمية وتأصيل الوعي الثوري المقاتل وتعميق الشعور القومي، المناهض للسياسة القهرية والاضطهادية السلطوية، وصيانة الهوية الفلسطينية، سبباً في اعتقال هؤلاء الشعراء والمبدعين المناضلين والمكافحين في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، والذين كانوا ينتمون للحزب الشيوعي، ويؤمنون بفكره الإيديولوجي الطبقي، وينشرون إبداعاتهم في صحفه ومجلاته وأدبياته :(الاتحاد) و(الجديد) و(الغد). فها هو الشاعر الراحل محمود درويش يكتب من داخل زنزانته قصيدة (آخر الليل) التي يقول فيها:

وطني

يعلمني حديد سلاسلي

عنف النور

ورقة المتفائل

ما كنت أعرف تحت جلودنا

ميلاد عاصفة

وعرس جداول

سدوا علي النور في زنزانة

فتوهجت في القلب

شمس جداول

بينما الشاعر سميح القاسم فيكتب قصيدته (رسالة المعتقل)، التي تنطوي على تحد واضح للسجان، وتفاؤل ثوري عميق بدنو النهار :

أومن يا أماه

أومن أن روعة الحياة

تولد في معتقلي

أومن أن زائري الأخير .. لن يكون

خفاش ليل .. مدلجاً بلا عيون

لا بد أن يزورني النهار

ومن الأعمال الأدبية التي صورت التجربة الاعتقالية كتاب المناضلة والناقدة والكاتبة المصرية التقدمية فريدة النقاش (السجن، الوطن) الذي تحكي فيه عن فترة الأسر الممزوجة والمضمخة بالألم والقهر الإنساني والتطلع إلى الآتي.وكذلك رواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف، ورواية (تلك العتمة الباهرة) للطاهر بن جلون، ورواية (القلعة الخامسة) لفاضل الغزاوي، وسيرة شريف حتاتة (العين الزجاجية) وغيرها الكثير.

وفي السبعينيات افتتح إبراهيم صموئيل أدب السجون الحديث في سوريا، بمجموعاته

القصصية الثلاث، (رائحة الخطو الثقيل)، و(النحنحات) و(الوعر الأزرق)، كان صموئيل يؤرخ فيها لتجربة حقيقية وعميقة، لكن بلغة رفيعة وبحساسية خلّاق، الأمر الذي جعل تلك القصص بمثابة مانيفست عن السجون السورية، لا تزال الأيدي تتداوله حتى اليوم.

وافتتحت هبة دباغ تاريخاً آخر حين أصدرت كتابها (خمس دقائق فحسب: تسع سنوات في سجون سوريا) في لندن، ويبدو أنها كتبته قبل ذلك بأكثر من عشر سنين. وإلى الآن كانت كتابات السجون في مجملها بأقلام معتقلين يساريين، وكتاب هبة الدباغ هو الأول تصدره معتقلة (إخوانية) عن تجربتها، بعدما أصدر محمد سليم حماد، وهو شاب أردني سجن في سوريا، كتابه (تدمر... شاهد مشهود) عام 1998، وتقدم الكاتبة هبة دباغ وثيقة صادمة لم يتم فضحها من قبل.

وفي 2005 صدر للمغربي محمد الرحوي كتاب يحكي عن تجربة تسع سنوات من الاختطاف في مدافن (الكومبليكس) بالرباط وأكدز وسكورة وقلعة مكونة خلال السبعينيات والثمانينيات دون محاكمة، ويلقي الكتاب على جزء مظلم من تاريخ المغرب.

وكتاب (تزمامرت 234) وهي سيرة ذاتية من أدب السجون للكاتب المغربي محمد مصدق بنخضرا، يقول صاحب الكتاب إنه اسم مركب من (تزمامرت) و(تمارة)، إذ إن تركيب هذا الاسم يرجى منه التشبيه إلى الاستمرارية في منطق سنوات الرصاص، فالمعتقل السري (تزمامرت) عرف بانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان من تقتيل وتعذيب مورس في حق المواطنين المعارضين لنظام الحكم (حكم الملك الراحل الحسن الثاني) أو المشكوك في أمرهم، الشيء الذي جعل للمغرب صفحة سوداء في تاريخه السياسي والإنساني، وكانت تلك السنوات وصمة عار في جبين المغرب العريق.

هزيمة السجان

تعرضت نخبة من الكتاب والمفكرين والأدباء، إلى ألوان القهر والظلم، من خلال السجن، سعياً إلى كسر حدة أقلامها وتأطير رؤاها، ومنعها من التعبير عن الوجدان المجتمعي بجرأة وشفافية، ومن بين أبرز الأسماء في هذا الصدد: صنع الله إبراهيم، جمال الغيطاني، مصطفى أمين، عبد الرحمن الأبنودي، إذ ذاق هؤلاء مرارات الاعتقال والحبس.

لكنهم انتصروا، في النهاية، على سجانهم عبر تحويلهم تلك المواقع خلف القضبان، إلى مرتع فكر وتأمل، بل وزوادة ثرية المكونات، تحصن تجربتهم الإبداعية، فتهزم توليفة القهر والكبت، لتحول الظلام فضاءات نور توقد جذوتها بقوة، فتشع كاشفة غوامض وخبايا الحياة خارج السجن، معززين إيمانهم، خلالها، بقدرة الكلمة الحرة على مواجهة الظلم، والتصدي لطغيان الحاكم المستبد.

(عريان بين الذئاب)

تحكي الأديبة سلوى بكر، عن رأيها في شأن سمات وتاريخ (أدب السجون)، مبينة أنه ظاهرة أدبية قديمة، إذ إن وجود القهر الإنساني والاستعباد، دائماً ما كانا السبب في وجود هذا النوع من الأدب، وتشير سلوى إلى أن أول من كتب عن أدب السجون في مصر، هو محمد شكري الخرباوي، وقدم كتابا بعنوان: (55 يوماً في مخبأ).



سلوى بكر

وتضيف: «إن من أبرز الكتاب الذين مروا بهذه التجربة، أيضاً، الروائي صنع الله إبراهيم الذي عبّر عن تجربة سجنه، من خلال رواية (تلك الرائحة).. كما أن الأديب الراحل عباس محمود العقاد، تعرض للسجن، بتهمة سب الذات الإلهية، ونجد أن بعض المناضلين، وليس الكتّاب فقط، خلقت فيهم تجربة السجن، الرغبة في الإمساك بالقلم؛ لتسجيل التجربة التي مرّوا بها، ومن بين هؤلاء فخري لبيب، الذي عبّر عن سجنه، من خلال كتاب (عريان بين الذئاب).

وتستعرض سلوى بكر، قيمة أدب السجون، لافتة إلى أنه يسجل معاناة الإنسان في زمن ما، وداخل السياق التاريخي الخاص بهذا الزمن، حتى لا تنسى، وموضحة أنه أدب يمثل ظاهرة في مجتمعاتنا العربية، تتعلق بالقمع السياسي، وواصفة هذا الأدب بأنه أدب مؤلم ويضغط على الروح، كما تتحدث عن تجربة اعتقالها: «تعرّضت للاعتقال مع مجموعة من المثقفين والصحافيين، بتهمة محاولة قلب نظام الحكم، وتحريض العمال على الإضراب، خلال حكم الرئيس المخلوع محمد حسني مبارك..

وعلى الرغم من أن تجربة اعتقالي لم تستمر سوى 15 يوماً، قضيتها في سجن القناطر، فإنها كانت غنية، إذ التقيت بالسجينات ووجدتهن في صورة وهيئة سببت لي صدمة بالغة؛ إذ رأيت جانباً لم أشاهده من قبل، في المجتمع المصري، باعتباره بعيداً عن الأضواء، ولا يُرى في الحياة اليومية العادية، وهو ما دفعني إلى الكتابة عن المسجونات كضحايا، ومن أشكال التمييز الموجودة في المجتمع، فكانت كتابة أدبية بعيدة عن السجن السياسي، كما كتبت أيضاً رواية لتبيّان حقيقة أن القمع السياسي لا يستجيب من الوهلة الأولى».

حكاية ثلاثة مقالات

يؤكد الكاتب صلاح عيسى أن أدب السجون، نموذج لأصدق الكتابات التي يكتبها صاحبها، فهو ناتج عن معاناة حقيقية، يحياها مؤلفها ولا يستطيع أن يعبّر عنها، إلا من خلال الورقة والقلم، ليصوّر معاناته داخل السجن.

ويروي عيسى حكايته مع أدب السجون فيقول: «في عام 1966، نشرت ثلاث مقالات في إحدى المجلات اللبنانية، تحت عنون (ثورة 23 يوليو بين المسير والمصير)، وبعدها أمر الرئيس جمال عبد الناصر، باعتقالي، بتهمة الإساءة إلى الثورة ولشخصه، ووضع العيب في النظام الاشتراكي.

وذلك رغم أن قصدي لم يكن أبداً الإساءة إلى الثورة أو إلى شخص الرئيس الراحل، بل كان لتوضيح الوضع السياسي غير الديموقراطي، الذي كانت تعانيه مصر.. وأود أن أشير هنا، إلى

أنني، في الفترة نفسها، كنت منضوياً في إطار تنظيم سياسي سري».

ويتابع عيسى، سارداً ملامح وجوانب ما مر به، أثناء تلك الفترة: «نقلت إلى سجن الاستجواب


صلاح عيسى

الموجود في سجن القلعة، والذي تنفصل فيه كل علاقة للإنسان بالعالم الخارجي، فلا صحف ولا مذياع ولا أهل أو أصدقاء، وبقيت على تلك الحال، حتى نقلت إلى سجن طرة، فبدأ يحدث الاختلاط بيني وبين المساجين اليساريين والإسلاميين..

وكان الحصول على الكتب، من ضمن الصعوبات التي تواجهنا؛ ذلك بفعل تشديد إدارة السجن على عدم دخول أي أوراق أو كتب إلى المساجين، وكان الحل الوحيد أمامنا، التحايل على إدارة السجن، بزعم أننا نريد إعادة التقدم إلى امتحانات الشهادة الثانوية العامة، بغرض تحسين المجموع الكلي، وبهذا الإجراء كنا نستطيع إدخال الكتب إلى السجن».

صالونات ثقافية (سجنية)

وعن طبيعة قراءاته، وكيفية إثرائها مخزونه الإبداعي، يقول عيسى: «بدأت أكتب في السجن بعد أن تزودت بقراءات مهمة لكتب تاريخية وسياسية متنوعة، وكنا اعتدنا، نحن السجناء، إقامة فعاليات صالونات ثقافية في السجن، واستمرت هذه النشاطات، إلى أن خرجت منه.. ولكن سرعان ما عدت إليه، مرة أخرى، بتهمة توزيع المنشورات في التظاهرة الطلابية التي خرجت، احتجاجاً.

وتعبيراً عن الغضب الشعبي لنكسة 1967، فعندها غضب عبد الناصر، وأقسم أنني لن أخرج من السجن طوال الفترة التي يكون فيها على قيد الحياة، فاتخذت من القلم والورقة خنجراً لأقتل به الهزيمة، ونشرت 15 مقالاً .. تحت اسم مستعار في جريدة (المساء)، وألفت 72 رواية ومجموعة قصص قصيرة، جمعتها في كتاب (بيان مشترك ضد الزمن)، إلى أن توفي ناصر، وخرجت من السجن متمنياً أن نحيا عصراً ديموقراطياً مختلفاً عن ذي قبل، ولكني وجدت أن الوضع لم يتغير كثيراً في عهد السادات، واعتقلت شهوراً عديدة، إلى أن أتى عهد الرئيس مبارك، فقررت التفرغ التام للصحافة والبحث التاريخي».

أصعب المراحل

تصف الكاتبة فريدة النقاش، رئيسة تحرير صحيفة (الأهالي)، فترة اعتقالها، بأنها من أصعب المراحل التي مرّت بها في حياتها، ففي الوقت نفسه، كان زوجها رهن الاعتقال، وتوفي أخوها أثناء اعتقالها، مؤكدة أنه لم يهوّن عليها الأمر، إلا إيمانها بالإصلاح الذي كانت تسعى إليه، مشيرة إلى أنه في المرة الأولى التي سُجنت فيها، كان معها 24 امرأة، ومن بينهن الكاتبات: نوال السعداوي ولطيفة الزيات وأمينة رشيد.


فريدة النقاش

وتلفت فريدة إلى أنه، ولكثرة اعتقالها، كانت حقيبة السجن لديها، جاهزة دائماً، إلا أنها، ورغم هذا، لم تنقطع عن القراءة طوال فترات الاعتقال، وخاصة قراءاتها العميقة في مجال التاريخ المصري والسياسي عموماً، وتختار هنا الإشارة إلى تجربة محددة في ما تعرضت إليه من اعتقالات، إذ إنها سجنت عقب قرارات سبتمبر الأسود، ووضعت في عنبر يطلق عليه اسم (عنبر الجرب)، فتعرفت فيه على صوت الفنانة عزة بلبع، والتي كانت تغني مع الشيخ إمام عيسى، ثم اعتادت، حينها، هي وزميلاتها، على تنظيم برنامج ثقافي، يشارك الجميع فيه، فيجري النقاش عبره، حول كتاب أو موقف ما.

وتتابع: «أردت تخليد هذه الذكرى وتلك التجربة، فألفت كتاب (السجن دمعتان.. ووردة)، كتبت فيه ما أضحكني وما أبكاني».

خيوط الظلام

يتطرق الكاتب التونسي سمير ساسي، إلى تجربة سجنه، على أساس ما أفادته به من إنضاج لخبراته، وصقل لإمكاناته، ويوضح أنه بقي مسجوناً لأكثر من عشر سنوات، بينما كان في مقتبل العمر، وذلك بتهمة الانتماء إلى جمعية غير مصرح لها.


سمير الساسي

ويضيف: «كنت في ذلك الوقت، ضمن الفريق الطلابي التابع لجمعية النهضة.. ونجحت، فعلياً، في الانتصار على السجن، لأنني لم أدعه يهزمني، فحركت جذوة الإبداع في مكنوناتي، وصقلت معارفي وخبراتي، ومن ثم كتبت وأنا في السجن، رواية (خيوط الظلام) التي تفضح السجون التونسية في عهد الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي، حيث وصفت من خلال هذه الرواية، أصناف التعذيب التي تتم ضد المسجونين».

ويبين ساسي، إلى أن فترة التسعينيات من القرن الماضي، شهدت تعرّض الكثير من المثقفين والناشطين التونسيين، إلى السجن السياسي، ويسترسل: «كان أمامي خياران؛ إما الرضا بما يرضه الجلاد أو الصبر، والصبر أيضاً كان



نوعين، إما السلبي منه أو الإيجابي، فاخترت النوع الثاني.

وهو الصبر الإيجابي الذي قرّرت أن أحوّله إلى صبر جميل وإبداع جمالي، وحاولت أن أعبّر عن تجربة السجن في البداية من خلال الشعر، ولكن لم تستطع القصائد أن تحكي بعمق عن هول ما رأيت، فكان الحل الأمثل عن طريق الرواية، وبذا خرجت (خيوط الظلام)».

ويختم الروائي التونسي مؤكداً على أن هذه التجربة، لا تزال محفورة في وجدانه، ولا يمكن نسيانها، فالإنسان لا يستطيع أن ينسى كرامته التي أهينت، فما كان خلالها، أشياء لا يمكن محوها من الذاكرة، إلا إنها، لا يجب أن تكون عائقاً أمام استمرار الحياة، بل حافزاً على العطاء.

قراءات السجن

يشرح الكاتب صلاح عيسى كيفية إثراء قراءاته في السجن تجربته الإبداعية، ومن ثم النشاطات الفكرية التي كان ينظمها وزملاؤه، ضمن السجن: «بدأت أكتب في السجن بعد أن تزودت بقراءات مهمة لكتب تاريخية وسياسية متنوعة، وكنا اعتدنا، نحن السجناء، إقامة فعاليات صالونات ثقافية في السجن، واستمرت هذه النشاطات، إلى أن خرجت منه».

والسؤال المُربك فعلاً، الذي ينهض كضربة قفاز مؤلم في وجه من يسأله هو: أين اختفى هذا النوع من الأدب الذي كان يفرض نفسه علينا بإجلال خاص يقترب من التقديس؟ وهل المعتقلات السياسية العربية نظيفة إلى الدرجة التي لا تكاد تحصل على عمل إبداعي يرصد عذابات المعتقلين فيها، أم أن الكتابة في هذا النوع من الأدب قد استنفدت أغراضها؟

لكن الإجابة الصحيحة عن هذا الفراغ الذي تركه غياب الكتابة في هذا النوع يقول إن السلطة السياسية العربية كانت قد بدأت تبرم ميثاقاً مع الكتاب العرب منذ مطلع التسعينيات ومع تقوض الاتحاد السوفياتي ونشوء الديموقراطيات العربية الطازجة والانفتاح البرلماني وتشرد الثورة الفلسطينية في أكثر من عاصمة عربية، فهو ميثاق يقوم على علاقة ليبرالية جديدة استطاعت أن تدخل المثقف كحليف للنظام السياسي العربي، وكشريك في معظم القرارات المصيرية.

كل هذا ساعد على تحاشي الاعتقال السياسي مثلما ساعد على طمس الكتابة عن السجون العربية والمعتقل العربي، لكن الأعتى من كل هذا أن السلطة السياسية العربية اكتشفت أنها أرقّ وأعدل بكثير من المثقف العربي حين يتسلط على شقيقه المثقف الآخر.

روايات أدب السجون عن ذكريات وتجارب المعتقلين



كاتب ومفكر وصحافي
نواف القديمي

1. (ذكريات من منزل الأموات) دوستويفسكي.. وفيه تصوير مبدع لتجربة الاعتقال في سيبيريا.
2. (تلك العتمة الباهرة) الطاهر بن جلون.. قصة عذابات الاعتقال في سجن تزمامارت بالمغرب.
3. (شرق المتوسط) عبد الرحمن منيف.. رواية عن تجربة الاعتقال في السجون العربية.
4. (الآن هنا) عبد الرحمن منيف.. جزء ثاني – ومستقل عن الأول – أكثر ألماً وبشاعة لرواية شرق المتوسط.
5. (الكراديب) تركي الحمد.. رواية تحكي قصة الاعتقال في السجون السعودية أواخر الستينيات.
6. (السجن) نبيل سليمان.. رواية تحكي تجربة الاعتقال في السجون السورية.
7. (رحلة لله) نجيب الكيلاني.. رواية تسرد جزءاً من تجربة اعتقالات الإخوان بمصر في الستينيات.
8. (ليل وقضبان) نجيب الكيلاني.. رواية تحكي عن تجربة السجن غير السياسي بمصر.
9. (من بلاط الشاه إلى سجون الثورة) إحسان نراغي.. تجربة الاعتقال في سجون الثورة الإيرانية.
10. (هروبي إلى الحرية) علي عزت بيجوفيتش.. تأملات وأفكار أثناء فترة الاعتقال في يوغسلافيا.
11. (كراسات السجن) أنطونيو غرامشي.. تدوين لأفكار وتأملات مفكر ماركسي أثناء اعتقاله بإيطاليا بدايات القرن العشرين.
12. (مُقاوِمة) سهى بشارة.. قصة اعتقال شابة مسيحية مناضلة بعد محاولتها اغتيال قائد جيش لبنان الجنوبي العميل لإسرائيل.
13. (السجينة) مليكة أوفقير.. تجربة مريرة في المعتقلات المغربية لعائلة كاملة بعد محاولة أوفقير الأب اغتيال ملك المغرب.
14. (قصتي) سمير القنطار.. تجربة 30 سنة في المعتقلات الإسرائيلية بعد عملية نضالية جريئة ضد الصهاينة.
15. (بالخلاص يا شباب) ياسين الحاج صالح.. قصة اعتقال شاب يساري مدة ١٦ سنة في سوريا.
16. (ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي) مروان البرغوثي.. مذكرات الزعيم الفتحاوي داخل معتقلات إسرائيل.
17. (في طريقي إلى السجن) محمد عبد القادر الجاسم.. تجربة للمضايقات و 3 اعتقالات لكاتب وناشط سياسي في السجون الكويتية.
18. (السجن 32) محمد سعيد طيب.. تجربة عدة اعتقالات لناشط سياسي قومي في السعودية.
19. (الثورة) وائل غنيم.. وفيه تفاصيل اعتقاله أيام الثورة المصرية.
20. (في ضيافة كتائب القذافي) أحمد فال بن الدين.. مراسل قناة الجزيرة يروي قصة اعتقاله في ليبيا أيام الثورة.
21. (رسائل من السجن) أحمد طالب الإبراهيمي.. رسائل كتبها المؤلف لأصدقائه من داخل السجون الجزائرية قبل الاستقلال.
22. (سنة أولى سجن)، و(سنة ثانية سجن)، و(سنة ثالثة سجن) مصطفى أمين.. تجربة اعتقال الصحفي المصري الشهير أيام الناصرية.
23. (مجرد ذكريات) 3 أجزاء رفعت السعيد.. يروي في مذكراته بعض تجارب اعتقال الشيوعيين أيام الناصرية.
24. (مذكراتي في سجن النساء) نوال السعداوي.. تحكي فيها تجربة اعتقالها لمدة شهرين آخر أيام السادات.
25. (أيام من حياتي) زينب الغزالي.. صفحات من تجارب اعتقال الإخوان في زمن الناصرية.
26. (في الزنزانة) علي جريشة.. تجربة اعتقال مستشار قانوني إسلامي في سجون عبد الناصر.
27. (أحراش الليل) أمينة قطب.. أخت سيد قطب تروي قصة أخرى من داخل سجون عبد الناصر.
28. (ملك السجن) عبد الحليم خفاجي – محمود حامد.. تجربة طريفة لمعتقل كان يتحايل على قيود السجن زمن الناصرية.
29. (مذابح الإخوان في سجون ناصر) جابر رزق.. قصص التعذيب والقتل للإخوان في السجون الناصرية.
30. (ذكريات من بيت الموتى) تأليف: دوستويفسكي ترجمة: محمد باكير.
31. (البوابة السوداء)، مذكرات أحمد رائف..
32. (السجينة/التربية/حدائق الملك) الحياة بين يدي.. لعائلة أوفقير في المغرب.
33. كتاب (يا صاحبي السجن) للدكتور أيمن العتوم .. مذكرات اعتقاله السياسي في سجون الأردن.
34. كتاب (خيانات اللغة والصمت) للشاعر فرج بيرقدار تجربته في السجون السورية.
35. (يوميات مهاجر سري) رشيد نيني.
36. كتاب نيلسون مانديلا (رحلتي الطويلة من أجل الحرية).
37. (ثنائيات السجن و الغربة) .. أجمل كتاب يوثق تجربة الماركسيين في السجون المصرية.
38. (عندما غابت عنا الشمس) .. أشمل كتاب يوثق تجربة الأخوان في السجون المصرية.
39. (رواية الفراشة) .... هنري شاريير.
40. (عالم السدود و القيود) .. ملخص تجربة العقاد في السجن.
41. (الساعة الخامسة والعشرون) – قسطنطين جيورجيو
42. (عدو محارب) معظم بيغ .. البريطاني المسلم الذي سجن في باغرام وغوانتانامو.
43. (بين السجن والمنفى) .. لأحمد عطار .. يحكي عن سجنه في مكة والرياض في عهد الملك عبد العزيز.
44. (سجن رومية آن حكي) للمؤلف عمر نشابه.
45. (زمن للسجن وأزمنة للحرية) .. علي الدميني.
46. (عندما غابت الشمس) .. عبد الحليم خفاجي.
47. (حوار مع الشيوعيين تحت أقبية السجون) عبد الحليم خفاجي.
48. (الإنسان يبحث عن المعنى) لفيكتور فرانكل.
49. (درب مولاي الشريف الغرفة السوداء) جواد مديدش– عن تجربته الواقعية للاحتجاز والتعذيب من طرف الأجهزة المغربية.
50. (نيجاتيف) .. رواية توثيقية للمعتقلات السياسيات في سوريا تأليف: روزا ياسين حسن
51. (ليسكانو في عربة المجانين) وسيرة السجن والتعذيب على أيدي البوليس المصري إثر مشاركته في محاولة انقلاب في الأرغواي.
52. (أبواب الجحيم) لمحمد عبد الوهاب يتحدث في عن التعذيب في السجون.
53. (من تدمر إلى هارفارد) د. براء السراج سجين لأكثر من 10 سنوات في سجن تدمر بسوريا.
54. (حوارات سجين ملخص حوارات هيجل في السجن) يقدم للناضل فكتور انبلوف
55. (ثنائية السجن والغربة) مذكرات جميلة للمناضل الشيوعي فتحي عبد الفتاح.
56. (خمس دقائق وحسب) لهبة الدباغ.
57. (زغاريد السجون) للشيخ رائد صلاح.
58. (شاهد عيان ذكريات الحياة في عراق صدام حسين) تحكي المؤلفة جمان كبة عن قصص اعتقال الشعب العراقي في فترة صدام وما قبله.
59. (نقطة تفتيش) لمحمد الحضيف.
60. (ستائر العتمة)، و(مدافن الأحياء)، و(أبوهريرة في هدريم) لوليد الهودلي عن تجربة الاعتقال في السجون الإسرائيلية.
61. (يوميات متلصص) لمصطفى خليفة.
62. (من الصخريات إلى تزمامرت: تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم) لمحمد الرايس.
63. (يوميات امرأة في السجون السعودية) عالية فريد.
64. (أرخبيل غولاج) لألكسندر سولجينيتسين –رواية عن جحيم المعتقلات السوفياتية إبان عهد ستالين.
65. (القدمة الخامسة) لفاضل الغزاوي.
66. (الأوبتي)، و(مذكرات سجين سابق) لسعد زهران معتقل أثناء العهد الناصري.
67. (مساء ذبول الوردة) د.التركي لوداك أوز.



68. (يوم أشرقت الشمس من الغرب) د. نديم نجدي
69. (مذكرات سجين ليبي) عبد القادر الفيتوري.
70. (التحقيق داخل القفص) مذكرات سجين بدوي في إيران.
71. (معذبتي) بنسالم حميش عن التعذيب في السجون
72. (السنوات الرهيبة) لجنكيز ضاغجي.
73. (مذبحة القلعة وغياهب غوانتانامو) وليد محمد الحاج - تجربة قرابة سبع سنوات في سجن غوانتانامو بأمريكا.
74. (رواية أميرة 2) تحكي عن ظلام المعتقلات الأمريكية في العراق للكاتب محمد الشمراني.
75. (معذبو الأرض) لفرانتز فانون.
76. (76 السجن ضيق في المكان، وفائض في الزمان) علي عزت بيغوفيتش.
77. (ثورة القدس) للكاتب عبدالله بن محمد.
78. (الطريق إلى تدمر - كهف في الصحراء) المهندس سليمان أبو الخير، رواية واقعية في سجن تدمر العسكري
79. كتاب (السجن، الوطن) لفريدة النقاش.
80. كتاب (العين الزجاجية) لشريف حنانة.
81. (في سجن أبو غريب) مصطفى عثمان .. من كواليس الحرب على العراق.
82. (قصة أيامي) كشك.
83. (عندما يحكم الطغاة) جريشة.
84. كتاب (الحرية في المرة القادمة) جون بيلجري
85. (حملة تفتيش) لطيفة الزيات.
86. (نقطة انتهى التحقيق)، قصص من أدبيات السجون تروي 40 قصة لألام من كانوا في السجن بين 1979 و1980 في سوريا.
87. (تدمر شاهدٌ ومشهود) محمد سليم حمّاد.
88. (ظلام السجن: مذكرات ومفكرات سجين هارب تنكر واختفى) لمحمد علي الطاهر.
89. كتاب (الأسر والسجن في شعر العرب) الدكتور أحمد مختار البزرة.
90. (حلم السلتي) رواية لماريو بارغاس يوسا عن مناضل وسجين ايرلندي أعدمته انكلترا.
91. من ذكريات معتقل سياسي لصهيب إبراهيم
92. مذكرات طلال الأنصاري.
93. كتاب (خطوات في الليل) لمحمد الحسناوي.
94. (سجين سياسي) لمحمد منير حوارات مع معتقلين سياسيين.
95. (سرنامة) رواية لعزيز نيسين الكاتب التركي الساخر عن حلاق دخل السجن ظلما.
96. (مذكرات سجين عراقي في إيران) لضحوي الصعيب.
97. (رواية جانجي) لطاهر الزهراني عن سجن القلعة وغوانتاموا.
98. (جدار بين ظلمتين) للعراقي رفعت الجادرجي وبلقيس شرارة.
99. (زنزانة بلا جدران) للطفي حداد.
100. (القيود المحطمة) عبد الرحيم دوست، عن ذكرياته في سجون باغرام وغوانتانامو.
101. (الانقلاب بيع الوهم على الذات) لعادل النباد
102. (مذكرات هارب) لحسن عشماوي.
103. (معتقل هاكستب: مذكرات ومفكرات) لمحمد علي الطاهر.
104. (أدباء السجون) عبد العزيز الحلفي.
105. (مقالات ست بعنوان المشاهير والسجون) لعيسى اسكندر المعلوف نشرها في مجلة الهلال.
106. (تزممارت، الزنزانة رقم 10) لأحمد المرزوق.
107. رواية (القوقعة) لمصطفى خليفة.
108. (حمامات الدم في سجن تدمر) لعبد الله الناجي.
109. (بالخلاص يا شباب 16 عاماً في السجون السورية) لياسين الحاج صالح.
110. (السجون وأثرها في الأدب العربية: في العصرين الأموي والعباسي) لواضح الصمد.
111. رواية (الغريب) لالبير كامو
112. (رياض الترك: مانديلا سورية) لطفي حداد.
113. (الأسر والسجن في شعر العرب) أحمد مختار البزرة.
114. (حكايتي مع صدام) الدكتور طالب البغدادي.
115. (طفولة قلب) الدكتور سلمان العودة.
116. (القبض على الجمر) لمحمد حور.
117. (دفاتر فلسطينية) معين بسيسو سيرة ذاتية لشاعر معظمها في السجون عن نضال الشيوعيين في فلسطين وأحياناً مصر.
118. (مدفن الأحياء شهادات من معتقل سجن الرملة فلسطين) وليد الهودلي.
119. (مذكرات جزائري) لأحمد طالب الإبراهيم.
120. (سبعة أشهر في سجون بغداد) ليونس بحري.
121. (سبعة أبواب) لعبد الكريم غلاب.
122. (أدب السجون) لنزيه فاضل.
123. (مذكرات ضابط ليمان) لأنور ماضي
124. (يوميات قلعة المنفى: رسائل السجن 1972 - 1980 لعبد اللطيف اللعبي ترجمة علي تيزلكاد.
125. (رياح التغيير في اليمن) لأحمد بن محمد الشامي.
126. (الحياة جميلة يا صاحبي) لناظم حكمت.
127. (الولد الشقي في السجن)، و(الطريق إلى زمش) كلاهما لمحمود السعدني.
128. (السجين 32) أحلام محمد سعيد طيب و(هزائمه) لأحمد عدنان.
129. (مذابح وأغلال: مذكرات من سجون حجة) لأحمد عبد الرحمن المعلمي
130. (الغرفة 7) رواية لمطلق العتيبي عن واقع السجون السعودية.

ومن أهم الأعمال السينمائية التي تناولت تجربة السجن وأذكر عملين (إحنا بتوع الأتوبيس) و(قطار منتصف الليل).



رواية السجن تتمرد على الكلاسيكية

رشا المالح

كاتبة وأديبة وصحافية في الإمارات العربية المتحدة

فلتت الكاتبة البريطانية فيرجينيا وولف (1882 ـ 1942) في أدب السجون. «رواية السجون».. تتجاوز النسق الروائي الكلاسيكي المألوف القائم أساساً على قانون السببية، والمتصالح أصلاً مع نمط العلاقات والمفاهيم الأخلاقية السائدة.

يعتبر أدب السجون جزءاً لا يتجزأ من الأدب العالمي، ويكتسب خصوصيته من مصداقية أحداثه التي تنتقل من الواقع إلى أدب الخيال لتسليط الضوء على معاناة إنسان أو مجموعة احتجزت في دون إرادة منها في معتقل، وهذا المعتقل يتراوح ما بين السجن، والإقامة الجبرية إلى المنفى.

تاريخ الأدب العالمي حافل بالعديد من الأعمال الكلاسيكية التي تندرج تحت أدب السجون، ابتداء من العصور القديمة وحتى الزمن الراهن سواء في الغرب أو الشرق.

ونظراً لسعة هذا الموضوع، سيتم التركيز على أدب الرواية، وأبرز الأعمال التي تناولت هذا الجانب في العالمين.

استلهم معظم الروائيين في هذا الحقل من الأدب، أعمالهم من تجربتهم الشخصية التي كتبوها إما خلال تواجدهم في السجن أو بعد إطلاق سراحهم، وفي بعض الأحيان من خلال سرد تجربة السجين لأحد الروائيين الذي يقوم بتوثيق تجربته بصورة أدبية والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى.

الأدب الغربي

استلهم الروائي الاسباني ميغيل سيرفانتس (1547- 1616) روايته الشهيرة (دون كيخوته) التي نشرت عام 1605 من الفترة التي قضاها سجيناً، بعد اعتقاله عام 1575 مع فريق السفينة التي كانت تقل فريقا من الجيش الاسباني إلى برشلونة.

أمضى سيرفانتس خمس سنوات كأسير أو بالأحرى كعبد، مع أربع محاولات فاشلة للهرب، ولم يطلق سراحه إلا بعد دفع عائلته وهيئة مسيحية لفدية كبيرة، وإلى جانب روايته الشهيرة التي تعتبر الرواية الأهم لبدايات الأدب الحديث كتب مسرحيتين من وحي تلك المرحلة.

سطر الروائي والسجين الفار الفرنسي هنري شاريير (1906 ـ 1973) تجربته في السجن من خلال روايته (الفراشة)، اتهم شاريير بجريمة قتل أحد القوادين وأدين على الرغم من براءته، ولفقت التهمة بشاهد زور وأصدر الحكم عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة في 26 تشرين الأول/أكتوبر 1931 وبعد سجنه في كايين لفترة مؤقتة تم نقله إلى سجن مستعمرة غويانا الفرنسية، وفي عام 1970 أشعل شاريير النار في العالم، حينما نشر روايته (الفراشة) التي تحكي تجربته الحياتية على مدى 13 عاماً، ابتداءً من 1932 وحتى 1945 وصور في روايته البؤس والمعاملة اللا إنسانية للنظام الفرنسي بشأن المحكوم عليهم. وقد حقق كتابه فور نشره نجاحاً واسعاً وبيعت ملايين النسخ وتربع على قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في مختلف الأزمنة.

أدب الشرق الأقصى

أمضى الشاعر والروائي زانغ كزليانغ الذي ولد عام 1936، اثنين وعشرين عاماً من حياته في السجون ومعسكرات إعادة التأهيل خلال حكم ماو تسي تونغ، وبدأ بكتابة ونشر قصائده حينما كان في الثالثة عشرة من عمره.

وساهمت دراسته للفن والأدب في الأربعينيات والخمسينيات في تكوين أساس صلب ساعده في الصمود خلال سنوات الأسر في المعسكرات.

وتغطي أحداث روايته (نصف الرجل امرأة) المرحلة الأخيرة من الثورة الثقافية التي تنتهي بمقتل الثائر زو ابنلاي في يناير وقبل موت ماو في 1976، وتبدأ أحداثها في ربيع عام 1966، حين كانت الثورة الثقافية تستعد للانطلاق بهدفها في تغييب إرادة الإنسان لصالح السلطات.

وأثارت روايته ثورة عارمة سواء بين العامة أو الأوساط الأدبية وذلك بسبب تناوله لثالوث المحرمات في الصين الذي يشمل السياسة والهوى وعدم التكيف.

الأدب الأفريقي

كتب الروائي النيجيري كين سارو ويوا (1941 ـ 1995) خلال وجوده في السجن في خضم الحرب الأهلية ما بين 1967 إلى 1970 روايته (الفتى سوزا)، ويحكي فيها قصة فتى قروي ساذج ثم تعيينه في الجيش خلال الحرب الأهلية. ويتطرق في عمله إلى الفساد السياسي والحكام

والنظام العسكري.

صور الروائي الجنوب أفريقي أليكس لاغوما (1925 ـ 1985) وقائع مجموعة شعب جنوب أفريقيا الملون، في روايته (في ضباب نهاية الموسم) التي كتبها خلال تواجده في السجن، سيرته الذاتية إلى جانب حياة أفراد المقاومة السرية في مدينة كيب تاون ضد التمييز العنصري، الذين كانوا يخاطرون بحياتهم لأجل حريتهم كل يوم، وقد نشر الرواية عام 1972.

الأدب العربي

قال محمد أمين العالم الناقد المصري الكبير عن الرواية العربية في أدب السجون، «تندرج رواية السجون أساساً في إطار الرواية الدرامية حيث يشكل المعتقل في حد ذاته الحدث، في حالة الفعل والحركة.

إنه الحياة في ذروة احتدام الصراع بين الحدود القصوى لمكوناتها في مكان ضيق تنحصر فيه العلاقة بين الضحية ومجابهة جلادها، كما تتنوع تقنيات رواية السجن بين التداعيات والانتقال بين الزمان والمكان الداخلي والخارجي.

وقد كتب العديد من الروائيين العرب في أدب السجون منهم على سبيل المثال: عبد الرحمن منيف رواية (شرق المتوسط)، عبد اللطيف اللعبي رواية (مجنون الأمل)، فاضل الغزاوي رواية (القلعة الخامسة)، الطاهر بن جلون رواية (تلك العتمة الباهرة)، إلى رواية (وطن خلف القضبان) للروائي السوداني خالد عويس، وفي أدب السيرة الذاتية والرواية الوثائقية كتاب (سجينة) لمليكة بوفقير، و(أحلم بزنزانة من كرز) لسهى بشارة وكوزيت خوري، وسمير القنطار (قصتي) التي وثقها حسان الزين.

تناول الروائي السعودي عبد الرحمن منيف (1933 ـ 2004) في روايته (شرق المتوسط) التي نشرها عام 1975، معاناة سجين ابتداء من اللحظة الأولى لدخوله السجن وحتى وقوفه على ظهر الباخرة التي ستقله إلى المغرب ليتعالج من الروماتيزم الذي أصابه في أقبية السجون، وتبقى شخصية بطله رجب الذي عاش حياة السجون على مدى خمس سنوات، في ذاكرة القارئ لزمن طويل بعد الانتهاء من قراءتها.

وما أكسب تلك الرواية قيمتها الإنسانية معالجتها لجوانب أخرى من واقع الحياة كالجانب الاجتماعي وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب، وحال المرأة في العالم العربي.

جاءت رواية (تلك العتمة الباهرة) للروائي المغربي الطاهر بن جلون (1944 ـ 2010)، بأحداثها المؤثرة شهادة حية أخرى على تواتر أدب السجون، استلهم بن جلون موضوع عمله من أحد معتقلي سجن (تزما مارت) الذي قضى فيه عشرين عاماً قبل أن يطلق سراحه عام 1991.

وقال النقاد إن قيمة الرواية الأدبية مستمدة من معادلة التوازن بين قيمة الحدث، وقيمة شخصية البطل من تكوينها وتداعياتها النفسية، وحبكة التغييرات التي تؤثر في معالم الشخصية، وتتجلى هذه القيمة أيضا في التوازن الفني لهيكل الرواية بين الطرفين الذي يبنى على الحدث.

العلاج بالقرآن

أحمد الصمعاني
صحافي في جريدة الشرق السعودية



لا يخفى عليك عزيزي القارئ أن القرآن الكريم جاء شفاء لما في الصدور وأنزله الله رحمة للعالمين [illegible]

انتشرت في الآونة الأخيرة عدة مراكز لمكافحة السرطان وعيادات استشارية تُحاول أن تُكافح هذا المرض وبعد العُلوم والأبحاث تبين أن من أبرز الأسباب الرئيسة لهذا المرض هو السهر والتأقلمُ على انتكاس الفطرة، وكما أثبت السادةُ الأطباء والعلماء أن في الجسم غدة تدعى الغدة الصنوبرية Pineal gland تزن 180مل جراماً تفرز مادة بعد صلاة العشاء مباشرة تسمى هرمون الميلاتونين وتقف عن الإفراز قبل صلاة الفجر بساعتين ووظيفتها تمنع الأكسدة بالجسم فتمنع مرض السرطان بإذن الله وكما اكتشف العلم الحديث وبإثباتات علمية أن جميع غدد الجسم تعمل وتقف على مواقيت الصلاة فقبل 1400عام حين جاء قوله تعالى:

[illegible]

أي أن الإرشادات الواردة في القرآن والأحاديث الشريفة هي الموافقة للساعة البيولوجية التي اتفق على صحتها معظم العلماء والأطباء فالقرآن الكريم صرح بالعقبات وأخلى مسؤوليته تماماً عمن يخالف هذا النظام كما جاء في الآية الكريمة (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وكما جاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أنه (صلى العشاء فنام) ولم يروَ أنه صلى العشاء فسهر، وبالمناسبة يوجد عديد من الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، عبارة عن وصفات طبية مثل علاج الطاعون قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) ، فالطاعون مرض بكتيريا معدٍ وحاد، وهو من الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان فقد اشتُهر عند العلماء في أوربا ببكتيريا اليرسينية الطاعونية (باللاتينية: Yersinia pestis).

وكما وجه العلم الحديث بطرق الوقاية منه بالعزل كما وضح الرسول صلى الله عليه وسلم، قَسم الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الطب النبوي العلاج بالطب النبوي قسمين الأدوية النبوية الطبية والأدوية الإلهية، وصنف عدة مراحل وطرق للعلاج وهي خبرات عديدة جاء بها الأنبياء عليهم السلام.

من قرأ أدب السجون يقرأ بجانب معاناة السجين اليومية حصاد ذاكرته، التي كانت تحلق في الماضي باستمرار، وتلتقط أنفاساً من الحرية

د.أمير تاج السر

ذاكرة الكتابة

أخصائي أمراض باطنية وكاتب في الجزيرة نت وروائي



أعتقد أن من أهم الأشياء التي ينبغي على الكاتب أن يمتلكها وهو يمضي في سكة الكتابة – خاصة من احترف كتابة الأعمال الواقعية أو الرواية الممزوجة بالسيرة الذاتية بشكل أو بآخر– هي (ذاكرته). تلك العصا السحرية التي تمكنه من نبش الماضي بسهولة واستخراج ما يصلح لكتابته وما لا يصلح أيضاً من أجل تعديله وتنقيته وإدراجه في النصوص التي ينتجها. ولطالما كانت الذاكرة المدربة جيداً مفتاحاً لا يمكن الاستغناء عنه في كل كتابة ناجحة.

الذاكرة هنا لا تقتصر على حياة الكاتب فقط، أي ما عاشه من أيام مضت بخيرها أو بشرّها، ولكن أيضا في استدعاء الخبرات التي اكتسبها بعد أن كبر. مثل دروس اللغة والعلوم المتشعبة التي تعلمها في المدارس وقراءاته لمن سبقوه وأثروا في كتابته ومن انتقدوا أعماله واستفاد من نقدهم، وأيضاً من قرؤوا أعماله من القراء العاديين وأدلوا برأي فيها سلباً أو إيجاباً.

لكن هل بالضرورة تولد الذاكرة القوية مع كل مبدع مثل موهبته؟

لا أعتقد ذلك، فالموهبة ثبت أنها تولد مع المبدع مع أول نفس في الحياة وترسم له الطريق بعد ذلك. هناك من يولد شاعراً ومن يولد رساماً ومن يولد كاتباً، وما عليه سوى اتباع المسار الذي رسم له وتقوية خطواته بعد ذلك باكتساب المعارف التي تخص ذلك الطريق. بعكس الذاكرة التي قد تكون شحيحة بعض الشيء، ولكن بكثير من التدريب يمكن تقوية حبالها لانتشال ما هو بعيد في الماضي ويستحق عناء انتشاله.

وقد ساهم عشق الشعر وحفظه وتداوله في الماضي لدى أجيال سابقة من المبدعين في تقوية ذاكراتهم بشدة. كذلك أولئك الذين عاصروا زمن الكتاتيب، أو (الخلاوي) بلغة أهل السودان، حيث يدرس القرآن ويحفظ بواسطة الشيوخ. هؤلاء اكتسبوا ذاكرة مدربة سترتهم كثيراً في ما بعد وسدت فقرات النسيان التي ربما كانت تحوم في ذاكراتهم.

وأعتقد أن كتاباً مثل (الأيام) لطه حسين من تلك النماذج التي كتبت بذاكرة خصبة للغاية، لم تنس أي تفاصيل كان من شأنها أن تثري الكتابة، وكذا أعمال أخرى لأبناء جيله.

وقد شاهدتُ الروائي الراحل خيري شلبي قبل وفاته بعدة أشهر يقرأ شعراً جميلاً حفظه من ستينيات القرن الماضي بذاكرة صلاية، ولم أستغرب من ذلك، وأعرف كل ما كتبه ذلك الحكاء العظيم معتمداً فيه على ذاكرته.

في قراءة متأنية لما تصطاده الذاكرة الإنسانية عادة وتحتفظ به لاستدعائه عند الضرورة استوقفتني السير الموجعة أكثر من تلك المفرحة، بمعنى أن ما يبقى طويلاً في الذاكرة هو ما آلم صاحبها أو أحدث صدمة بداخله، مثل معاصرته لحرب أهلية أو مجاعة أو كارثة ما، أو تعرضه شخصياً لحادث طارئ.

في الطب النفسي يوجد ما يسمى أعراض ما بعد الحادث، تلك التي تستعيدها الذاكرة مراراً ولا تمل من استعادتها وغالباً في شكل كوابيس ليلية. لذلك تجد مادة خصبة عند الكتاب والشعراء الذين عاصروا الحروب العالمية وتشردوا أو فقدوا أحباءهم بسببها، ومن عاشوا حروب أفريقيا الأهلية، والذين عاصروا نكبة فلسطين في بدايتها وحرب العراق الحديثة.

وكل ذلك أنتج أدباً رفيع المستوى، ليس في فنياته بالضرورة وإنما في غنى الذاكرة التي دلقته بعد ذلك، وكلنا يعرف ما كتبه شعراء مثل معين بسيسو وكتّاب مثل إميل حبيبي عن الأزمة الفلسطينية.

من العوامل الأخرى في تدريب الذاكرة مسألة الاغتراب، أي أن يفارق المبدع وطنه لفترة طويلة، هنا تأتي مسألة الحنين القوي للوطن، مما يوقد الذاكرة بشدة ويجعلها تستدعي كل لحظة عاشها المبدع في الوطن حتى لو كانت بلا معنى. مثل أن يتذكر طفولته في الحواري والأزقة وسط أصدقاء يستدعي ملامحهم أيضاً. يتذكر حبه الأول لفتاة الجيران ويتذكر أي سلوى عابرة يمكن أن تطفئ الحنين.

هنا يعمل الكاتب بلا وعي منه في تدريب ذاكرته باستمرار، وبالتالي يحتفظ بمفتاحه السحري جديدا ولامعاً وجيداً لاستخدامه في أي كتابة يكتبها.

لقد تعرض غابرييل غارسيا ماركيز لمسألة الحنين هذه في روايته (الحب في زمن الكوليرا) ووصفها بأنها تملك حيّلاً شرسة ومتنوعة لجر

المغترب إلى وطنه. وأضيف لوصف ماركيز أنها تملك أيضاً مزيلاً للصدأ عن الذاكرة.

ورواية مثل (موسم الهجرة للشمال) للطيب صالح التي كتبها أثناء اغترابه الطويل في لندن الذي استمر حتى وفاته. أعتقد جازماً أن الحنين أثر فيها بشكل أو بآخر وأوقد ذاكرة مبدعها، لتخرج رواية خالدة. وروايته (عرس الزين) أيضاً كانت عن شخصية عاصرها صغيراً وكتب تفاصيلها كلها في مغتربه البعيد.

في رواية لي اسمها (العطر الفرنسي) كتبت عن مسألة تدريب الذاكرة لدى بطل الرواية (علي جرجار) الذي كان يقاوم الشيخوخة بذلك التدريب اليومي. كتبت أحداثاً تذكرها أثناء انهماكه في تدريب ذاكرته مثل زجاجة عطر (الريفدور) التي سقطت من رف في بيت أسرته وانكسرت. ومثل شاي سقطت عليه ذبابة ذات مساء. وقد كنت بلا وعي مني أكتب بعض الأحداث التي أتذكرها من طفولتي شخصياً.

والذين قرؤوا رواية (قصة عن الحب والظلام)، تلك القصة المدهشة للإسرائيلي عاموس عوز. لا بد يستغربون من تلك الأصداء المتلاحقة من زمن بعيد لطفل جاء إلى (أرض الميعاد) بصحبة أهله وعاش طفولة غريبة في وطن أقنعوه بأنه وطنه. وهو يرى أهل الوطن الحقيقيين منفيين في وطنهم.

أعتقد أن ذلك كان وليد ذاكرة دربها عاموس على أن تشع بتلك العنصرية. وتلتقط كل ما كان من شأنه أن ينتج أدباً موالياً تماماً للمشروع الإسرائيلي الكبير.

العزلة أيضاً من وسائل التعليم الكبرى التي تدرب ذاكرة المبدعين. العزلة بمعناها الجسدي والنفسي. أن ينعزل المبدع عن الخارج المحيط به ويبدأ في تشييد عالم داخلي خاص به. وليس ثمة صلة وصل بينه وبين الخارج سوى الذاكرة التي تحصل على تدريب جيد بلا شك. والسجون تعد من الأماكن التي تتيح العزلة بجدارة وتشحذ فيه الذاكرة.

ومن قرأ أدب السجون يقرأ بجانب معاناة السجين اليومية حصاد ذاكرته. التي كانت تحلق في الماضي باستمرار. وتلتقط أنفاساً من الحرية عاشها المبدع ذات يوم. وأظن أن صنع الله إبراهيم من الذين كتبوا عزلة السجون بذاكرة مضيئة. وكذلك أدباء آخرون من تونس والمغرب وسوريا.

Author: Tina Barseghian
Original Name: 28 Creative Ideas for Teaching with Twitter
Link://blogs.kqed.org/mindshift/201128-/07/creative-ideas-for-teaching-with-twitter/



نقله إلى العربية: عارف عبدالرحمن عطية – نائب مدير إدارة النشر والترجمة – شركة العبيكان للتعليم

28 فكرة إبداعية لاستخدام تويتر في مجال التعليم

يستخدم المعلمون المبادرون «تويتر» بطرق إبداعية بهدف جذب التلاميذ داخل وخارج الفصل الدراسي على حد سواء. ولكي حصلوا على الأخبار المتعلقة بالتعليم أولاً باول بالإضافة إلى امكانية التواصل المستمر مع كل من الزملاء والطلاب.

هذه المشاركة التي أضافها مؤخراً «أفضل كلية على الانترنت» والتي عددت 28 طريقة لاستخدام «تويتر» في الفصل الدارسي.

1. التغذية الراجعة الفورية: أشارت «مونيكا رانكن» -أستاذة التاريخ في جامعة دالاس-إلى مواقع مثل ReadWriteWeb و Mashable ناقشت طريقتها في كيفية استخدام «تويتر» الحصول على تغذية راجعة في ذات الوقت.

يرسل الطلاب أسئلة إلى مدونة مصغرة والتي يتم تجميعها في تلك المدونة خلال إلقاء المحاضرات ثم تقوم «رانكن» بتشجيع التلاميذ لدراسة وجهة نظر الطلاب الآخرين من خلال الإجابة على تلك الأسئلة.

2. الإجابة على الأسئلة: وفي استراتيجية مماثلة لطريقة جمع المعلومات آنفة الذكر، يقوم بعض المدرسين بتبسيط الطريقة من خلال تحفيز التلاميذ للإجابة على الأسئلة على «تويتر» بدلاً من رفع أيديهم للإجابة عليها في الفصل الدراسي.

تلك الطريقة الرائعة تعزز عملية التدريس وخاصة أن الطلاب من الممكن بكل سهولة أن يستعرضوا «الوسم» الذي تم اعتماده لكل فصل دراسي.

3. التمكن من استمرار المناقشات خارج الفصل الدراسي:

(ديفيد باري) أستاذ وسائل الإعلام الحديثة في جامعة تكساس، تحدث عن «تويتر» و«Mashable» مشيداً بوجود المدونات المصغرة واستخدامها في كل مكان باعتبارها طريقة رائعة لتحفيز طلابه على استمرارية المناقشات بعد الانتهاء منها. وأشار إلى أنهم يفعلون ذلك بشكل متكرر.

4. التعاميم: العديد من المعلمين وجدوا أنه من الأسهل بكثير إرسال ما يفيد بتغيير أو إلغاء موعد



محاضرة أو تعميم أو خبر هام في شكل تغريدة على «تويتر» بدلاً من إرسال إيميل.

بهذا يمكن – بكل تأكيد – تجنب برامج فرز البريد غير الهام «spam» والتي كثيراً من تمنع استلام رسائل على درجة عالية من الأهمية يجب أن يعرفها الطالب في نفس الوقت.

5. إشعار باكتمال المهام المطلوبة: وفي الجانب الآخر، يستخدم الآن العديد من الطلاب «تويتر» بهدف إبلاغ المعلمين بأنهم قد أنهوا المهام المطلوبة منهم

هذه الاستراتيجية تكون ذات فاعلية عالية في إطار الدورات التي يتم تنظيمها عبر الانترنت تلك التي يحقق الفصل الدراسي ميزة التجهيزات التقنية وتوفر الانترنت.

6. «TwitLit»: تقدم خاصية الـ 140 حرف تحدي لطيف وبسيط للطلبة والمبدعين من المعلمين والمؤلفين على حد سواء في وضع ملاحظة أو شد الانتباه باستخدام تلك الخاصية، مثل كتابة أشعار أو قصص قصيرة أو أي كتابات أخرى تماماً. فإن طبيعة الموقع المتميزة تقدم بعض الوسائل الممتازة للتعبير المبدع والمختصر

7. تتبُّع الكلمة والاتجاهات والآراء والوسم (hashtag): لتبقى على اطلاع مستمر على ما يتكلم عنه الناس، ومن خلال أفق واسع بشكل لا يكاد يصدقه عقل، يتطلب منك فقط أن تشترك مع شخص بعينه أو أن تتبع وسم محدد أو اتجاه أو كلمات مفتاحية يمكنها أن تفتح لك نافذة مجانية وحرة وبسيطة على العالم بأسره.

8. متابعة المؤتمرات:

يريد بعض المعلمين من طلابهم أن يتابعوا أخبار مؤتمرات بعينها وأن يكونوا على إطلاع على ما يحدث من تطورات في صناعة محددة من خلال متابعة تلك المؤتمرات. إن التغريدات الأكثر فاعلية، هي تلك التي تحتوي في أغلب الأحيان على روابط مقاطع صوتية أو فيديو.

9. التواصل مع المتخصصين:

بدلاً من مجرد أن نطلب من المتعلمين أن «يتبعوا» فإننا يمكن أن نطلب منهم أن يطرحوا الأسئلة أو يثيروا مناقشة أو على الأقل يحاولوا أن يفعلوا ذلك.

وبالنسبة لطلاب المرحلة الثانوية وطلاب الجامعة، فإن تلك الممارسات قد تساعدهم بشكل كبير وفعال على استكشاف أهدافهم وميولهم المهنية المستقبلية.

10. تسجيل الملاحظات: على نحو مشابه لإثارة مناقشة مفتوحة، فإن «تويتر» يقدم طريقة سريعة لكل من الطلاب والمعلمين على حد سواء لتدوين الملاحظات، وذلك من خلال وجود الجميع في قائمة منظمة، يكون تسجيل الملاحظات أسهل من مجرد مراجعة الاختبارات والمهام.

11. مشاركة قصة: ضع لمسة الشبكات الاجتماعية على الفصول التقليدية بأن نطلب من التلاميذ أن يكتبوا قصة متتابعة بشكل ممتع وكأنها لعبة يشارك فيها الجميع.

يقوم صاحب التغريدة الأولى بكتابة أول عبارة في القصة ثم يتبعه الثاني والثالث ... وهكذا

من الأفضل أن تجعل وسم خاص بتلك القصة حتى تتمكن من قراءتها ومتابعتها بسرعة وسهولة.

12. خريطة الاتجاهات (التوجهات): إن الدمج بين الشبكات الاجتماعية والتتبع الجغرافي وخريطة تويتر قد وفرت للمستخدمين خاصية تحديد أماكن الأشخاص الذين يتحدثون عن موضوع معين.

سوف تساعد تلك التقنية طلاب علم الاجتماع والتسويق بشكل أفضل على فهم الاحتياجات والمتطلبات الديموغرافية للمستهلكين.

13. تمكين أولياء الأمور من الاطلاع بشكل مستمر على مستوى أبنائهم:

في إطار تعليم طلاب رياض الأطفال والصفوف الأولية، قد يحتاج أولياء الأمور أن يتابعوا ما يحدث في عملية تعلم أبنائهم ومعدلات تحصيلهم اليومي.

يتم هذا من خلال تغريدات تفيدهم بشكل مستمر عن الدروس والأنشطة التي تحدث في الفصل الدراسي مما يحقق درجة عالية من الارتباط بين الفصل والمنزل.

14. إثارة لعبة الجغرافيا: اطلب من طلبة متحمسين أو متطوعين أن يحددوا موقعهم، ثم ضع خطة مشروع لتحديد موقع هذا مكان في العالم.

بالنسبة للمتعلمين الصغار، يكفي أن يعرفوا المسافة بين هذا الموقع والمكان أو المدينة التي يعيشون فيها.

تلك الطريقة اللطيفة ستجعلهم يعرفون أكثر عن الأماكن و الأشياء الأخرى ذات العلاقة بالمدن أو القرى التي يعيشون فيها.

15. إجراء اقتراع:

قد يرغب المعلم في إجراء اقتراع بين طلابه أو المشتركين في المدونه.

هذه الممارسة محدودة فقط بمن لديه إبداع في مجال معين،وذلك لكي يحصل على علاوة أو ميزة .. كما يمكن ربط الاقتراع بنوع من التتبع الجغرافي .

16. شيء ما مخصص لهذا اليوم: لا يهم إن كان كتاب أو كلمة أو أغنية أو مقولة أو أي شيء آخر.

يمكن أن يمثل هذا ارتباط ممتاز مع درس ذلك اليوم.

وفي حال طلاب رياض الأطفال والصفوف الأولية، يمكنك أن تخبر أولياء الأمور بتلك التغريدات وتقوم بتشجيعهم على التحدث عنها في المنزل.

17. أن تبدأ نادي كتاب: في مجال معين خارج الفصل الدراسي، جماعة من المتعلمين يمكن أن يستضيفوا أندية الكتاب المنضمين لها ويمكنهم من خلال الوسم وشبكات التواصل أن يتبادلوا وجهات النظر والتقييمات والآراء حول والكتب المقترحة للقراءة.

18. متابعة رجال السياسة: على أي الاحوال، إن الفصل الدراسي ليس هو المكان المناسب لحشد المؤيدين! على الرغم من ذلك فإن متابعة رجال السياسة على تويتر سوف يمكن الطلاب من تكوين فكرة عامة عن حياة وآراء هؤلاء الذين يمثلون بلادهم في أكثر من مجال في كافة أنحاء العالم.

19. مواكبة الأحداث الجارية: على نحو مشابه فإن المعلمين يمكنهم أن يحددوا مجموعة من مصادر الأخبار المتنوعة يقومون بالاشتراك فيها، مما يسمح لطلابهم بالإطلاع المستمر على الأحداث الجارية.

20. العروض/المشاركات المختصرة: تحفيز المتعلمين في كافة المراحل التعليمية على كتابة مشاركاتهم حول الكتب والأفلام وأي مواد يتم تداولها في الفصل الدراسي، من خلال استراتيجية الـ 140 حرف، سوف يتعلمون التعبير عن الفكرة بشكل مختصر، وبالتالي سيتعلم المتابعين لهم نفس الاستراتيجية.

21. التواصل بين الفصول الدراسية: بالإضافة إلى تيسير التواصل بين الطلاب داخل الفصل الواحد، يمكن أن يجد المعلم فكرة مرتبطة بالدرس ولكنها لدى دراسين في مدينة أخرى أو بلد آخر، وتجد تلك الفكرة استحسان المعلم. فيمكنه أن ينشيء «وسم» للطلاب والمختصين على حد سواء بهدف تبادل الأفكار والآراء والدروس.

22. استضافة المتابعين السلبيين: بهدف المتعة والتعلم، يمكن للطلاب أن ينظموا خطة لاصطياد المتابعين السلبيين.

ربما من خلال معرفة ما إذا كان الفصول الأخرى تريد الاشتراك أم لا!

كما هو واضح في تلك الموضوعات والوسائل، فإنه يمكن استخدام هذه الطريقة على قطاع عريض من المستويات والموضوعات الأكاديمية.

23. الاستماع بالبيانات والتواريخ: بعض المعلمين يطلبون من الطلاب المشاركة في وضع بيانات متتابعة عن أرقام/تواريخ على درجة عالية من الأهمية.

كذلك يمكن ربط تلك البيانات مع عالم أو فنان أو شخصية قصصية أو إلى ماهو أبعد من ذلك بكثير.

24. إبدأ نمط تعبير عن الثقافة «meme»: في الواقع «نمط التعبير عن الثقافة» موجود قبل الانترنت بفترة طويلة، ولكن العالم الافتراضي لعب دوراً حيوياً في أن تصبح تلك الظاهرة محل انتباه الناس.

يتمكن اي فرد يدرس علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الاتصال أن يستفيد بشكل كبير من تتبع تلك النماذج أو أن ينشيء نماذجه الخاصة.

25. إثراء دروس تعلم اللغات الأجنبية: إن الطريقة الفريدة التي يتبعها «تويتر» في الحد الأقصى لحروف كل تغريدة، يجعل الأمر شيقاً لاعتباره طريقة لاكتساب وتعلم اللغات الأجنبية.

يمكنك أن تطلق تغريدة باللغة الأجنبية في الصباح أو عند بداية كل درس ثم تطلب من التلاميذ أن يقومون بترجمتها أو أن يستجيبوا لها بشكل سريع، تلك طريقة إضافية سهلة ولا معاناة فيها إلى حد ما.

26. التنقيح والتطوير: «آنا دومينجيز» معلمة في رياض الأطفال تفضل استخدام «المدونات المصغرة» الأكثر شيوعاً كأداة لتطوير الأنشطة اليومية التي تقوم بها، كما تستخدمها في أن تخبر أولياء الأمور والزملائها من المدرسين بأي أمر جديد وشيق متعلق بالمجال.

هذا الأمر لا يقتصر فقط على مساعدتهم على دروسهم وزمجالهم وإنما يفيد أيضاً في أنه طريقة لطيفة لتقديم معلومات أكثر عن الشبكات الاجتماعية.

27. مساعدة الطلبة على شهرة أسمائهم: يطمح أعضاء هيئة التدريس أن يعززوا المستقبل المهني لتلاميذهم، وقد يكون هذا من خلال تعليمهم طرق اقتناص فرص وظيفية من خلال الشبكات الاجتماعية.

بالنسبة للدارسي إدارة الأعمال، يمكننهم الاستفادة من هذه الاستراتيجية تحديداً في دراسة ما يسمة بـ «العلامة التجارية الشخصية».

28. إنشاء شبكة خارج إطار «تويتر» أو أن تجعل تلاميذك يقومون بإنشائها، واستقطاب متعلمين أو مختصين من فصول دراسية أخرى. تلك الشبكات لن تساعد فقط على توسيع آفاق الدارسين، بل أيضاً ستقدم درساً عملياً وممتعاً عن دور الشبكات الاجتماعية في لعب دور حيوي في حياتهم سواء كان إيجابي أو سلبي.



كيف تسوق كتابك

وسائل عملية لتسويق الكتاب من خلال تنفيذ بعض المعطيات

محمد بن عبدالله الفريح

كاتب ومفكر ومدير إدارة النشر والترجمة - شركة العبيكان للتعليم



لا شك أن الحديث عن الكتاب حديث مهم، كيف لا، والكتاب وعاء الثقافة الرصينة والفكر المستقر، وهو خزانة المعارف الإنسانية، ومستودع التجارب البشرية المتراكمة، يحفظها السلف للخلف كي ينطلق الخلف منها ويبني عليها.

إن صناعة وتسويق الكتاب في الدول المتقدمة تحقق دخلاً كبيراً يفوق بعض الأحيان دخل العديد من الصناعات الأخرى، بل ربما يفوق الدخل الذي يحققه المنتج نفسه، بينما نجدها ما زالت في بعض الدول النامية تحتل موقعاً هامشياً على الخريطة الاقتصادية، وذلك نتيجة لبعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في هذه الدول والتي منها كثير من الدول العربية.

وفي الآونة الأخيرة خطى الكتاب العربي بصفة عامة خطوات مهمة وقفز قفزات نوعية من حيث العناية به تأليفاً ونشراً في العديد من كبريات دور النشر العربية، إلا أنه لا يزال يعاني من بعض المعوقات التي تعوق تسويقه سواءً داخل الدول العربية نفسها أو خارجها، ومما يلفت النظر ويستحق التوقف عنده كثيراً ذلك الرقم المنخفض لعدد الكتب التي تطبع من كل عنوان جديد، حيث ذكر بعض أصحاب دور النشر العربية أنهم يطبعون من 500 إلى 1000 نسخة من كل عنوان وبالكاد يتم تصريفها، وعند مقارنة هذا الرقم المتدني مع ما يطبع في الدول المتقدمة يظهر لنا الفارق الكبير جدًا، فبماذا يعزى هذا؟

وحيث أن الكتاب العربي في الوقت الحالي بالذات بحاجة ماسة إلى الدعم المستمر من أطراف عديدة لكي يكون في متناول الجميع فإننا في هذه الأسطر سوف نلقي الضوء على موضوع تفيد بعض الوسائل العملية لتسويق الكتاب من خلال تنفيذ بعض الأفكار.

ويعنى تسويق الكتاب بمفهومه العلمي الحديث جميع الأنشطة التجارية (الفنية والتقنية والإدارية) المتعلقة بتوصيل الكتاب من الناشر إلى القارئ.

وتهدف هذه الأسطر بصفة عامة إلى خدمة ودعم الكاتب والمؤلف والناشر العربي ومساعدته في تغيير طريقة تفكيره نحو تسويق كتبه، وذلك بمحاولة التعرف على بعض الأساليب العلمية المتطورة التي تساعد على الترويج للكتاب بالقدر المناسب الذي يتلائم مع المتغيرات في هذه الصناعة.

ومن المؤكد بأنه كلما ازدادت أعداد النسخ الموزعة من كل كتاب فإن هذا ينعكس بالطبع إيجاباً على مسيرة التنمية عموماً وعلى الثراء المعرفي للبشر بشكل أوسع، ويرفع بالتالي من مستوى الفرد العلمي والثقافي والمعرفي، وحول موضوع تسويق الكتاب تتلخص القضايا التي سيتم إستعراضها في هذه الأسطر على النقاط التالية والتي تم ذكرها بشكل مقتضب وسريع مع ذكر مثال عليها مع رابط على الشبكة لزيادة المعلومات لمن أراد التوسع في أي نقطة من النقاط المذكورة راجياً من الله أن تكون ذات قيمة مضافة للقارئ والمؤلف والناشر على حد سواء.

أولاً: العنوان التسويقي

تعتبر كثير من دور النشر العالمية أن لختيار عنوان يجب أن يخضع لمعايير التسويق العالي الكفاءة بالدرجة الأولى وتكون أبرز ملامحة: التعبير، الغموض، عدم المباشرة، لفت الإنتباه، الرمزية، وقد حققت هذه المعايير تغيراً ملحوظاً في نمط الشراء لدى القارئ بمجرد البدء باستخدام هذه الطريقة، ومن أبرز ملامح هذة الطريقة الابتعاد عن النمطية باختيار العناوين بشكل جذري.

مثال: التهم هذا الضفدع: إبدأ بالأهم ولو كان صعباً

الرابط:

http://www.ghrib.net/vb/showthread.php
http://www.abunawaf.com/post-9589.html

ثانياً: العنوان الشارح التسويقي

بما أن العنوان سيكون مبهماً أو غامضاً أو غير مباشر سمه ماشئت فإن من الضروري أن يكون هناك عنوان شارح تسويقي مشوق يضطر معه القارئ لسبر أغوار هذ الكتاب ويثير الفضول لديه للإطلاع عليه وتقليبه، وبمجرد حصول هذا الأمر فإن العنوان الشارح يكون قد أدى دوره بالفعل ونجحت في جذب إنتباه القارئ، من المهم جداً أن يكون العنوان الشارح قليل العبارات دقيق التوصيف ليكون أكثر جذباً وتشويقاً، ولكي تتأكد من دقة وصف العنوان الشارح يمكن عرضة على بعض أصدقائك مستقلاً عن العنوان وطلب رأيهم فيه فإن إستطاعو معرفة موضوع الكتاب من خلاله تكون قد حققت الهدف مباشرة من هذا الاختيار.

مثال: كتاب هل مديرك مجنون: الدليل الحاسم في كيفية التعامل مع مديرك

الرابط:

http://www.saudiinfocus.com/ar/forum/showthrea
html.49-http://www.albiladpress.com/article174623



ثالثاً: الغلاف التسويقي

شخصياً أعتبر موضوع تصميم غلاف الكتاب مربط الفرس في العملية التسويقية للكتب، حي أثبتت بعض دراسات دور النشر العالمية أن تصميم الغلاف يشكل مانسبته 62 % من أسباب تسويق الكتاب، ويخضع هذا المعيار لأهمية بالغة ودراسات مستفيضة واستفتاءات لأراء القراء بشكل لايقبل الاجتهاد والأراء الشخصية التي تغلب على تصميم أغلفة الكتب العربية.

وعلى سبيل المثال تقوم شركة McGraw Hill للنشر بعمل 36 تصميم لغلاف الكتاب الواحد يقوم بها 12 مصمم بواقع 3 أغلفة لكل مصمم ومن ثم يتم الفرز بينها لاختيار الأنسب تسوقياً، وفي حال الاختلاف مع المؤلف فيتم إحالة موضوع الاختيار للاستفتاء مع القاريء من خلال قواعد بيانات معيارية معدة لهذا الأمر، يذكر أن أحد أغلفة كتب هذا الناشر قد كلفت مايقارب 60,000 دولار أمريكي، لكن النتيجة كانت أن تم بيع قرابة 100,000 نسخة فقط في الولايات المتحدة من هذا الكتاب، الأمر الآخر أنه يجب على المؤلف أو الكاتب أو الناشر الإبتعاد عن الإنطباع الشخصي والذوق الفردي في هذا الأمر وهذا للأسف مانلمسه في كثير من الكتب العربية حيث يخضع الأمر للقناعة الشخصية البحتة أكثر من المنهج العلمي، مما يفقد الكتاب الكثير من فرص التسويق والبيع.

مثال للغلاف التسويقي: كتاب The Chance

الرابط:

http://www.amazon.com/Chance-Novel-Karen-Kingsbury/dp

رابعاً: النبذة التسويقية

تعتبر النبذة الخاصة بالكتاب أمراً مهماً للغاية في التعريف بالكتاب والتسويق له من خلال مايقارب 150 ألى 250 كلمة تكون شاملة ووافية عن الكتاب، كما أن كتابة هذة النبذة يجب أن تكون على أيد محترف بالكتابة التسويقية للكتب ويجب أن يكون مطلعاً ومدركاً لمحتوى الكتاب وأن يضمن النبذة مايغري القاريء ويجذبه لإقتناء وقراءة الكتاب، كما وتعتبر دور النشر والمؤلفين المحترفين أمر النبذة التعريفية للكتاب أمراً لا مفر منه اليوم لزيادة التعريف بالكتاب ونشرة وبثه عبر مواقع التسويق المختلفة، كا أنها كتابة المقدمات وفي نفس التخصص، كما تعتمد معظم محركات بحث الكتب على النبذة التسويقة والمقدمة في الترويج للكتب ومن ذلك على سبيل المثال أمازون وقوقل وأثونومي وقود ريدز.

مثال: كتاب إعجاز القرآن عبر التاريخ

الرابط:

http://books.google.com.sa/books?id=NypiS5vP1REC

سادساً: الألوان التسويقية

يعتبر هذا المعيار لأحد الفنون التي بدأت تنتهجها بعض دور النشر العالمية التي تطبق معايير متقدمة في التسويق، ذلك أن تناسق ألون الكتاب أو السلسة وكذلك الصور بداخل الكتاب إن وجدت وخلفية الكتاب كذلك وأيضاً الخطوط الداخلية للكتاب تشكل منعطفاً مهماً بالغ الأهمية في التسويق والترويج للكتب، ولا أدل على ذلك من قيام دار النشر giftbooks المتخصصة بكتب الهدايا في بريطانيا بإعتماد ألوان وخطوط محددة لكل إصدارات الدار من الكتب، ولاقت هذه الطريقة رواجاً غير مسبوق لكتب الدار كما بدأت هذه العدوى تنتشر بين بعض دور النشر وذلك من خلال إعتماد معايير قياسية للألوان والخطوط وفق معايير مختلفة بحسب تخصص الكتب ومقاساتها والنطاق الجغرافي للتوزيع.

مثال: كتاب Birthday Boy؛

الرابط:

http://shop.helenexleygiftbooks.com/giftbooks/series

سابعاً: المقاس التسويقي

يعتبر المقاس من الأمور التي يجب أن تؤخذ بالحسبان عند تنفيذ تصميم الكتاب، حيث أن بعض التخصصات لاتحتمل بعض المقاسات، فكتب تطوير الذات مثلاً: لها مقاس معتمد عالمياً وتجاوزة إلى غيره قد يضر بالكتاب من الناحيتين التسويقية وطريقة عرضة على الرف في المتاجر، كذلك كتب الروايات يجب أن تخضع لمقياس محدد يضمن عرضه وتسويقه بشكل إيجابي، والأمر ينطبق على الأطالس وكتب الديكور والطبخ، ويجب في هذا الصدد تحدياً الابتعاد عن القناعة الشخصة والذوق الخاص حيث أن هذين الأمرين من أكثر الأمور إرهاقاً لروح الكتاب والحد من ترويجه ونفاذه إلى

الأسواق.

مثال: Adventures of an IT Leader

الرابط:

http://hbsp.harvard.edu/list/book-chapters



ثامناً: المحاضرات التسويقية عن الكتب

من أبرز المسلمات لدى كثير إن لم يكن كل دور النشر والموزعين أن الكتاب الذي يحظى بحضور إعلامي وبأي شكل من خلال مؤلفه أو غيره، وسواء كانت بشكل مباشر أو غير مباشر يساهم بشكل كبير في تسويق الكتاب والترويج له والتعريف به لدى شريحة واسعة من القراء والمهتمين. كما أنه يسهم بشكل فاعل في زيادة مبيعات الكتاب على المديين المتوسط والبعيد.

مثال: معجم الفردوس معجم إنجليزي-عربي للكلمات الإنجليزية ذوات الأصول العربية

الرابط:

http://twitmail.com/email/4234260971 4/ /%D985%6
http://m.youtube.com/watch?hl=ar

تاسعاً: حفلات توقيع الكتب

هي احتفالية تقوم بها دار نشر الكتاب أو مكتبة أو الكاتب نفسه للتحدث عن الكتاب والتوقيع عليه للقراء، وتعتبر هذه الطريقة من الأساليب التسويقية والتعريفية الحديثة للكتاب حيث يعتبر الكثير من القراء أن توقيع المؤلف على الكتاب تزيد من قيمته المعنوية، كما أن كثير من القراء يحرص على حضور هذه الحفلات وشراء نسخة من الكتاب والإحتفاظ بها مع توقيع المؤلف عليها، وهي تعتبر أحد الوسائل الجيدة للتعريف بالكتاب والترويج له وغالباً مايكون هذا للإصدارات الجديدة من الكتب أو الطبعة ذات القيمة المضافة عن الطبعات السابقة.

مثال: كتاب قصص أعجبت طلابي

الرابط:

http://www.facebook.com/OPBookcafe?ref=stream&filter=3

عاشراً: التسويق عبر شبكات التواصل الاجتماعي

وهو يعني إستخدام تقنيات التسويق التي توفرها الشبكات الاجتماعية المختلفة لزيادة الوعي والمعرفة للكتب وغيرها من المنتجات. هذا وتُعد قنوات الإعلام الإجتماعية واحدة من الوسائل الأكثر نمواً في هذا العقد، و لا زالت تنمو بسرعة فائقة، حتى أصبح من المرشح أن عدد الزوار إلى مواقع وسائل الإعلام الإجتماعية سيتجاوز قريباً عدد الأشخاص الذين يستخدمون محركات البحث. ولذلك فإن مواقع الشبكات الإجتماعية مثل فيسبوك، يوتيوب، لينكدإن، وتويتر، إذا ما استخدمت بشكل صحيح، تسمح لدور النشر والمؤلفين والكتاب لإشهار أنفسهم وكتبهم وكسب الشعبية على شبكة الإنترنت عن طريق استخدام أنواع مختلفة من تقنيات الويب 2.0 المتاحة، مثل المدونات والفيديو ومواقع مشاركة الصور ومواقع مشاركة الروابط الإجتماعية. وبالفعل، فقد إتخذ التسويق الاجتماعي النسخة الإلكترونية للتسويق عبر "كلمة الفم" (إن صح التعبير) أو ما يُعرف بـ word of mouth advertising بالإنجليزية. ولذلك فإن إستخدام مثل هذه التقنيات بالطريقة الصحيحة يؤدي إلى المزيد من الزبائن، المزيد من المبيعات، وارتفاع مستوى الحضور على الإنترنت بشكل أكبر من أي وقت مضى. على سبيل المثال، وفقاً لتقارير صدرت حديثاً، فإن 59 ٪ من مستخدمي الإنترنت يقومون بعمليات الشراء على أساس التوصيات التي وردت من خلال مواقع وسائل الإعلام الإجتماعية، وعليه، فإن إستخدام سائل الإعلام الإجتماعية للتسويق أمر يحدث الآن بالفعل. الناس يتحدثون عنك، عن كتبك، وعن خدماتك، وعن الشركة الخاصة بك، على مواقع وسائل الإعلام الإجتماعية مثل الفيسبوك. باختصار، إن قنوات الإعلام الإجتماعية هي المكان حيث يتواجد الناس. دعنا نقول أن هناك معرضاً سيحضره 300 مليون شخص، وأنا أقمت لك كشكاً مجاناً.. هل ستأتي؟ أعتقد ذلك. الفيسبوك على سبيل المثال يحتوي على أكثر من 700 مليون مشترك و لا زال ينمو بمعدل 600.000 مستخدم جديد يومياً. هل يمكن لك أن تستغني عنه؟

مثال : كتاب أسئلة الثورة

الرابط

http://www.goodreads.com/book/show/13516777



إحدى عشر: التسويق عبر مواقع البيع الإلكتروني

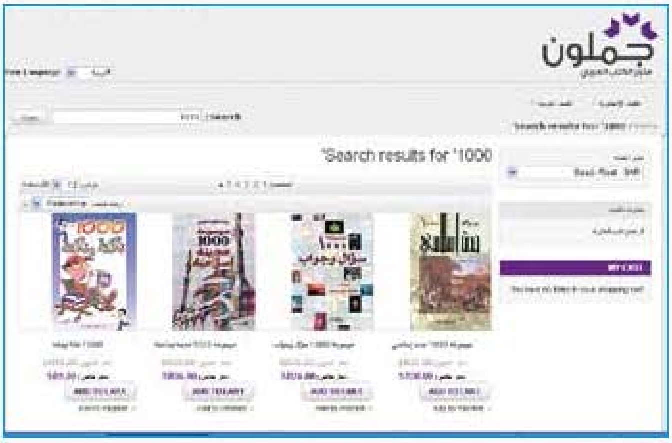
تعتبر هذة الطريقة من أحدث الطرق نسبياً في المنطقة العربية، وإن لم تكن جديدة في مفهوم التسوق الإلكترونية فمتجري أمازون وبارنز آند نوبل ومايعادلهما بالنسخة العربية نيل وفرات وجملون خير مثال على ذلك. إلا أن هذا الأمر بالنسبة للكتاب العربي يواجه صعوبات بالغة تتعلق بطبيعة وثقافة المستهلك العربي تجاه الكتب، وكذلك من حيث طبيعة علاقة الموزع

الإليكتروني مع مؤلفي ومنتجي الكتب العربية. إلا أنه في السنتين الأخيرتين ظهرت بعض المواقع العربية التي تستحق الإشادة منها ماهو متخصص بالكتب حصراً، ومنها ماهو عام لجميع المنتجات بما فيها الكتب. ووجود الكتاب ضمن هذه الأسواق والتعريف به يتيح لها قدر من الإنتشار والتسويق والتعريف غير التقليدية. كما يوسع من عملية تداول المعلومات والتوصيات الخاصة بالكتاب.

مثال: 1000 سؤال وجواب في علم الأعشاب

الروابط:

http://www.e-mall.com.sa/arabic/buyer/pages/productdetails.aspx
http://jamalon.com/ar/catalogsearch/result/?q=1000
http://saudi.souq.com/sa-ar
/http://www.neelwafurat.com
/http://warqat.com





إثنا عشر: التسويق بإتاحة النسخة الإليكترونية

كثيرة هي التعريفات التي حاولت شرح المقصد من كلمة تسويق، لكنها يمكن أن تصاغ بشكل سهل: التسويق هو وسيلة لزيادة العوائد التي تحصل عليها من عمل تجاري أو فني أو حرفي وتلك العوائد توفر لك دخلا أكبر، يجعلك تعيش حياة أفضل. التسويق علمٌ يحاول فهم ما الذي يجعل الفرد منا يوافق على شراء سلعة / خدمة بعينها، منفقاً من ماله الذي كد في جمعه. التسويق هو مجموعة من القرارات الذكية تتخذها عندما تبدأ نشاطا فنياً، وهذا الأمر ينطبق على الكتاب بحذافيرة إلا إنه يختلف عن غيره من المنتجات بطرق عرضة، حيث يحتاج القاريء أحياناً ليقوم بتلمس الكتاب وتصفحه وتقليبه قبل اتخاذ قرار الشراء وهذا مالم ولن يحصل من خلال النسخة الافتراضية أوالورقية عبر الإنترنت ما الحل؟ بكل بساطة إتاحة مايقارب من 25 إلى 35 % من الكتاب مجاناً عبر كل منافذ التسويق والمواقع الإلكترونية، مما سيساعد على جذب القاري وزيادة ثقتة بالكتاب وسرعة أخذ قرار الشراء، وهذ النهج تتبعة معظم إن لم يكن كل دور النشر والمؤلفين المتابعين لحركة وتطور العلاقة بين الكتاب والقاريء بل إن بعض المؤلفين قام بإتاحة كتابة بالكامل مجاناً وفي نهاية الكتاب كتبت العبارة التالية:

«إذا أعجبك الكتاب وأحسست أنه أضاف لك شيئاً فيمكن المساهمة بدعمة من خلال شراء نسخة ورقية منه»

وهناك تجربة شخصيه قمت بعملها قبل 3 سنوات حيث تمت إتاحة كتاب « فن إدارة المواقف إلهام للقرار الصحيح عبر كل وسائل التسويق الإليكترونية مجاناً ولايزال. الأمر الذي أدى إلى تحميل مايقارب مليوني نسخة حسب تقرير متجر نون للكتب الإلكترونية. الذي أدى في النهاية إلى بيع طبعتين مكونة من 10.000 نسخة خلال سنتين ونصف.

مثال : كتاب فن إدارة المواقف

الرابط:

http://www.nooonbooks.com/catalogsearch/resul



التسويق عبر البريد الإليكتروني

هي طريقة تقليدية وغير مبتكرة إلا أنها كثيراً ماتؤتي ثمارها وبسرعة شديدة وبكلفة قليلة نسبياً مع بعض وسائل الترويج الحديثة. الأمر الآخر سهولة تعريف من نربطك بهم علاقة من أي نوع بمنتجك، وكتابة ماتريد عن الكتاب بحرية وإضافة بعض المقتطفات عن الكتاب أو جزء منه بالإضافة إلى الغلاف مع الرسائل أمر محبب للقاريء ويزيد من فرص بيع الكتاب والتعريف به وتمريره عبر وسائل الربط الاجتماعي الأخرى، ويمكن القيام بهذة العملية من خلالك شخصياً أي بالإشتراك ببعض مواقع البريد الإليكتروني، او من خلال شركات تقوم بهذة الخدمة نيابة عن المؤلف او الناشر ومن مزايا هذه الخدمة أن النظام الخاص بالرسائل يصطبك

تقرير مفصل بهذه الرسائل من حيث عدد العناوين المدرجة، عدد البريد الراجع، عدد من قاموا بفتح الرسالة، عدد من قاموا بالضغط على الروابط داخل الرسالة وهكذا.

رابط إضافي للمزيد:
http://www.forbesmiddleeast.com/read.php?story=1026



روابط لشركات بريد إليكتروني تقوم بإعطائك خاصية التحكم برسائل وتقارير البريد المرسل

https://www.icontact.com/features/email-marketing-solutions

https://www.icontact.com/affordable-email-marketing/

روابط لشركات تقوم بتقديم الخدمة نيابة عن المؤلف أو الناشر أو الموزع
www.gulfsender.com
www.clickjordan.net



التعريف بالكتاب عبر بعض المواقع المتخصصة.

ونقصد به تحديداً بعض المواقع العالمية والعربية المتخصصة بتسويق الكتب والتعريف بها بشكل مباشر دون تكاليف على المؤلف أو الناشر أو الموزع وهي تساهم بشكل مباشر بربط المؤلف بالقراء ومحبي الكتاب من خلال هذه المواقع وتلقى هذه الطريقة رواجاً وانجذاباً غير مألوف، كما أنها تسهم بشكل مباشر بارتفاع مبيعات الكتاب بشكل غير متحيز ومنهجي يضع القارئ في حالة تصويب قرار الشراء من عدمه.

مثال:

الرابط:

روابط إضافية لمواقع عالمية تقوم بالتعريف المجاني للكتب
http://www.amazon.com/books-used-books

http://www.goodreads.com/
http://authonomy.com/

روابط إضافية لبعض المواقع العربية التي تقوم بالتعريف المجاني للكتب
http://beta.kotob.me/
http://bazaralketab.com/BooksMain.aspx



http://www.neelwafurat.com/browse



الروابط التسويقية

هي طريقة حديثة نسبياً وتعني وضع البيانات الخاصة بالكتاب والغلاف وكذلك جزء منه عبر أحد المواقع من ثم إرسال الرابط لشبكة من القراء محددين سلفاً عبر رسائل البريد والوتس أب و mms، sms وهذه الخدمة يجب أن يديرها المؤلف أو الناشر أو الموزع بنفسه ولايسمح لأحد بإدارتها نظراً لخطورة إساءة الإستخدام او الإزعاج والتي قد تنعكس سلباً على حملات التسويق.



مثال: تعريفات ورسائل المؤلف الداعية محمد المنجد عبر الواتس أب

الرابط:

+966582129438

رابط شركات تقدم خدمة الرسائل النصية الجماعية BulkSMS بأسعار جيدة

http://strust.com/Default.aspx?pad=1
http://www.yamamah.com/Index.asp

حملات BR

وهذه الحملات غالباً تقوم بها جهات أو أفراد متخصصين لصالح المؤلف أو دار النشر أو جهة ما. وتحتاج هذه الطريقة لتحديد الجهات المستهدفة وطرق الإعلان وكلفته قبل البدء بالحملة. وهذه الطريقة تؤتي نتائج جيدة للتعريف الأولي للكتاب فقط. وهذا يعتمد بشكل أساسي على التحرير الجيد للمادة المراد الإعلان عنها وكذلك اختيار الأوقات والأماكن المناسبة للإعلان وقد تكون النتائج غير متوقعة من حيث البيع إلا أنها ممتازة من حيث التعريف بالكتاب وإعطاء ملعومات تفصيلية عند صدوره.

مثال: كتاب «الثورة الآن»

الرابط:

http://al-mashhad.com/News/aspx

الإتاحة المجانية للكتب

ويقصد بها إتاحة الكتاب إليكترونياً بشكل كامل إما لفترة موقتة أو دائمة. وهذا يعطي مثالاً حياً للتسويق والترويج خارج النطاق المألوف وبدأت هذه الظاهرة بالإنتشار عموماً في الولايات المتحدة من خلال كتاب جون ماكسويل في كتابة التواصل الفعال: كثيرون يتحدثون قليلون يتواصلون. حيث أدت هذة الطريق إلى مايلي:

- الترويج الورقي للكتاب بشكل غير متوقع.
- حصول المؤلف على 7000 تعليق على الكتاب.
- وصول 300 نصيحة للمؤلف عن الكتاب قام بإضافتها للكتاب في نسخة الورقية والإليكترونية اللاحقة.
- نمو العلاقة الطردية بين المؤلف وقرائه ومحبيه بشكل لافت في ظاهرة بدأت تأخذ بالإتساع في العالم العربي بشكل متسارع.

مثال: Everyone Communicates, Few Connect: What the Most Effective People Do Differently

الرابط:

http://www.amazon.com/Everyone-Communicates-Few-Connect-Differently

- التوزيع المقنن على بعض القطاعات والأفراد.



هذه الطريقة تنتهجها بعض دور النشر العالمية وبعض دور النشر العربية والمؤلفين وهي عبارة عن تخصيص مايقارب 6 % من عدد النسخ المطبوعة للتوزيع على القطاعات المعنية بموضوع الكتاب. وبعض الصحف والمجلات والمواقع الإليكترونية. وكذلك على بعض الأفراد من أصحاب التخصص. كما تطورت هذه الفكرة لاحقاً لتشمل بعض أصحاب الحسابات الكبيرة على شبكات التواصل الاجتماعي كفيس بوك وتويتر ويوتيوب. وهذه الطريقة أثبتت تجربتها مدى نجاحها من خلال اعتماد بعض دور النشر العربية عليها في المعارض الدولية للكتب مما يساعد على الترويج للكتب والتعريف بها بأنماط تحاكي التغير الحاصل في المعرفة البشرية.

مثال: المرجع في تربية الموهوبين

الرابط:

http://www.goodreads.com/book/show/13515311

ولايفوتني في نهاية هذه الأسطر أن أذكر أن هذه الوسائل ليست هي الوحيده في التسويق والترويج والتعريف بالكتاب. إذ ربما توجد هناك طرق أخرى فاتت على العبد الفقير، وربما بل من المؤكد أن المستقبل سيشهد تحولاً نوعياً في نمو وتطور تسويق الكتب والتعريف بها بشكل غير مسبوق وغير تقليدي، ولا أدل على ذلك من وصول رابط لي قبل يومين فقط لمكتبة تقوم بإتاحة الكتاب كاملاً لمدة أسبوعين مجاناً، ومن ثم تقوم برفعه من الحساب، ليقوم القارئ بعد ذلك بشراء الكتاب إما بنسخته الورقية أو الإليكترونية، وبذلك تكون هذه الطريقة غير مسبوقة في عالم النشر.

مثال: The Big Four

الرابط:

/http://openlibrary.org



للتواصل مع الكاتب:

https://twitter.com/malfriah
http://www.facebook.com/profile
http://www.linkedin.com/inbox/messages/received

المصادر:

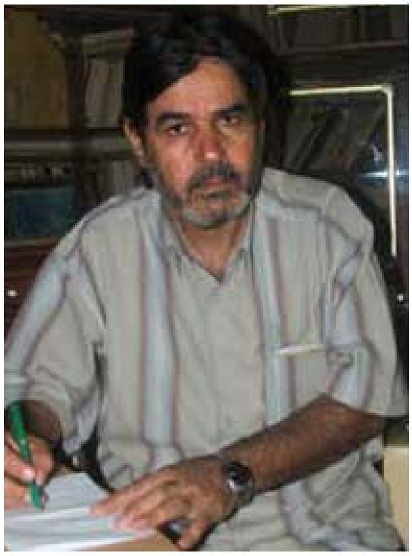
تسويق الكتاب العربي أعده د.سليمان بن صالح العقلا

http://tasweek-online.com/what-we-do/social-media-/marketing
http://ar.wikipedia.org/wiki
http://www.arabicebook.com/items/item-display.aspx?IID=667

العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني

الظاهرة الأدبية الصهيونية لا تخرج عن كونها تنظير للفكر الصهيوني وتكتيكاً لآلية فعله. فالأيديولوجيا هي مجموعة من التصورات والأفكار المترابطة والمتلاحمة التي تؤدي معنى محدداً للعلاقات الاجتماعية. وما أقصده بأداء المعنى هنا، هو أن المشتركين في هذه العلاقات يجدون أن تلك الأيجيولوجيا طبيعية مقبولة صحيحة ومبررة ومشروعة. وهكذا فإن أصحاب أيديولوجية معينة يشاركون فيها ويمارسونها عفوياً دون أن يكونوا مكرهين على ذلك.

استطاعت الأيديولوجيا الصهيونية خلق جسم مترابط من الأفكار المنبثقة عن المعتقدات والأساطير والحوادث التاريخية حقيقية كانت أم مزيفة، لتخفي بذلك التناقض الصارخ القائم بين شكلها ومضمونها. وهي بذلك تقوم على «ديماغوجية اجتماعية» بلا حياء وتؤثر على أناس مؤمنين غير ثابتين أيديولوجيا، وغير واعين سياسياً، وهي لأنها مبنية بشكل دقيق قادرة على التكيف حسب الظروف المختلفة، بحيث أصبح وعي ملايين الناس يهوداً وغير يهود عاجزاً عن التمييز بين الحقيقة والخيال «الميتافيزيقيا» بين ما هو صحيح وما هو مزيف تاريخياً فتدعي الصهيونية بأنها تمثل جميع يهود العالم وأنهم جميعاً أينما وجدوا يدينون بالولاء لها ويستجيبون لدعواتها دون تمييز. فهناك من يرفض إصباغ التفسيرات القومية الضيقة على الديانة اليهودية وقيمها الأخلاقية بمدلولها الإنساني.



د.خليل حسونة

كاتب وأديب فلسطيني

ومن هؤلاء «المجلس الأمريكي لليهودية الذي اتهم من قبل الحركة الصهيونية بالتنكر للدين اليهودي وخيانة أصولها ومحاباة العرب وتأييد قضاياهم.

من هنا يمكن الافتراض بشيء كبير من الدقة «أن الصهيونية واليهودية فكرتان متد اختلتان بعد أن عمدت الصهيونية إلى تزوير الشريعة الموسوية حتى يتسنى لها استعمار فلسطين. وعلى أساس ما كتب هرتزل من «أن الغاية تبرر الوسيلة». وهي القاعدة التي انحصرت فيها الأفكار الرئيسة للصهيونية كما صاغها كلاسيكيوها هرتزل وبنسكر وبوروخوف وغيرهم والمتمثلة في:

. اليهود هم شعب الله المختار.

. اليهود هم شعب ذو مصير تاريخي وسمات خاصة لا تتصف بها الشعوب الأخرى.

. كل يهودي ينتمي إلى الأمة اليهودية ويجب على اليهود أن يطمحوا للعودة إلى موطنهم القديم فلسطين!

على هذه الأسس استطاعت الصهيونية أدلجة الأفكار وتوظيف الأدب لتحقيق مآربها. فباتت الصهيونية الأدبية هي الوجه الأحدث للصهيونية السياسية بحيث واكبتها من مرة إلى أخرى مطوقة نفسها حسب كل مرحلة. ففي العشرينات كانت النظرة تجاه العرب تتمثل في: «العربي المسلم هو ذلك البدوي المتوحش القاسي الذي يتاجر في العبيد. ومع بداية السبعينات تحول إلى بدوي ثري عربيد نهم للنساء، لتصل الصورة في التسعينات إلى الإرهابي الأصولي المتعصب الذي لا يصلي قبل أن يقدم على قتل الأبرياء وتفجيرهم. فهو شخص همجي أشعث الرأس، يتحدث بلكنة ثقيلة يشتهي أن يملك أموال العالم، يشبه الخنزير في كيفية ابتلاعه للطعام، ويقتل الأطفال بلا رحمة إذا لم يغتصبهم» لذلك لا يحق له الأرض التي يعيش فيها، فهي أرض إسرائيل. هذه الأفكار المزروعة داخل وجدان الإسرائيليين تؤكد إلى أي مدى وصل التضليل الصهيوني البشع، وأن معظم الأدب الإسرائيلي أدب عدواني، يمثله العديد من الكتاب الصهاينة. «أمنون حيفر» مستوطن إسرائيلي في الضفة الفلسطينية يكتب للتلاميذ والطلبة الإسرائيليين محاولاً إعطائهم إحساساً عميقاً بالارتباط بالأرض بعد مئات السنين من الشتات وحياة «الجيتو» على حد قوله. في كتابه «مواضيع مركزية في تاريخ الشعب والدولة» وفي مستهل فصل بعنوان «نعلم كيف نجيب على السؤال بصدد حقوقنا على الأرض» يقول: «إن كل الأقوال بشأن الحقوق التاريخية التي يحفل بها النقاش بيننا وبين العرب تفتقر إلى الحقيقة وناجمة على أي الأحوال لدينا عن قلة الفهم وقلة المعرفة والدراية بتاريخ الاستيطان اليهودي على أرض إسرائيل. إن أميتنا ولدت فرضيات كاذبة بينها تلك الفرضية القائلة أنه لدى عودتنا إلى البلاد، بعد هجرة دامت ألفي سنة، وجدنا البلاد مستوطنة من قبل شعب آخر، أقام هنا مئات السنين. وهذا غير صحيح لا من قريب ولا من بعيد. الحقيقة هي أننا عندما أتينا إلى هنا الآن لم بالتأكيد شعباً أقام مئات السنين».

سمات الحياة الأدبية الإسرائيلية

يشير النقاد إلى ثلاث سمات في الحياة الأدبية الإسرائيلية تؤكد ماهية الثقافة التي تجري ممارساتها بهدف خدمة الأيديولوجية الصهيونية. هذه السمات هي:

1 - هناك تدخل فظ في حرية التعبير الأدبي الإسرائيلي إذا جنح إلى مخالفة جوهر أهداف السلطة الإسرائيلية وهو أمر يمثل الجانب الضيق من عملية شاملة تستهدف تجنيد الأدباء الإسرائيليين من أجل العودة إلى مفاهيم السياسة الإسرائيلية ومرتكزات الفكر الصهيوني.

2 - الأدب العبري في إسرائيل يواكب أهداف السلطة وهو أداة في يدها لتحريك الجماهير اليهودية وهو أدب يحمل سمات الصنعة. والأدباء العبريون «أبواق السلطة الحاكمة والصهيونية هدفها إقناع القارئ العبري بأن ليس أمام العربي إلا الرضوخ لما تمليه عليه الصهيونية وأن العرب لا يفهمون إلا لغة القوة».

3 - هناك أدب يتحرك لخدمة الدعوة الصهيونية لما يسمى «بالقومية اليهودية» وارتباطها بفلسطين أرضاً وتاريخاً. وفقاً «للمبادئ التي قام قادة الحركة الصهيونية يخوضون على أساسها حملاتهم السياسية لتحقيق الأهداف الصهيونية» وقد عبر عن ماهية هذه الدعوة في إطارها الأدبي الكاتب الصهيوني «حاييم هزاز» الذي شغل ذات مرة منصب رئيس اتحاد الكتاب العبريين حين قال «إن عنصرية الشعب اليهودي تكمن في ذاكرته التي ظلت تنمي على امتداد عشرين قرناً كونه وحدة غير قابلة للتفتت» وحينما يقول هزاز. هذا إنما يريد أن ينفذ منه دور الأديب الصهيوني وتحديده. أن هذا الدور يتحدد في العمل على تغذية الذاكرة الجماعية لدى أبناء الطوائف اليهودية وإثارة مشاعر الانتماء القومي الموهوم لديهم. والعزف على وتر العلاقة التاريخية التي تربط بين اليهودي والأرض الفلسطينية» وكما جاء في سفر ارميا «أيها الرب. رجاء إسرائيل كل الذين يتركونك يخزون».

الأرض التاريخية ومعاداة السامية

إن دراسة الوثائق الصهيونية وأقوال الحكومة الإسرائيلية تبينان لنا مفاتيح المذهب الصهيوني والذي هو مدون في نظريات وأقوال هرتزل وايزمن وبن غوريون وغولدا مئير وقيادات صهيونية أخرى. ونستطيع أن نوجز مجمل آراءهم:

1 - أن العالم الخارجي اللايهودي هو عالم بطبيعته ضد السامية وسيلجأ هذا العالم أخيراً إما لتدمير اليهود وإما لامتصاصهم.

2 - لا مفر لكل اليهود في العالم من مغادرة أوطانهم التي يعيشون فيها «المنفى»! ويعودون إلى أرض إسرائيل الخاصة والمطلقة لهم. والهدف من العودة أحياء دولة داود وسليمان القديمة. بحدودها المقدسة وبلطيف العبارة فهذه الأرض وطن اليهود!

3 - في سبيل الحفاظ على نقاء العنصر اليهودي يجب طرد كل إنسان غير يهودي وإذا ما رفضوا فإنهم يجب أن يعيشوا تحت شروط سيكولوجية قادرة على خلق جدار منيع يفصل بين المجتمع المقدس والغرباء وهذا تعبير مأخوذ من التوراة. ويحمل الازدراء والاستخفاف. من هنا تسلحت الصهيونية ومنذ البداية بطرق تشوه الوقائع التاريخية محاولة استخدام الحوادث الغابرة لخدمة أهدافها. لهذا يركز الصهاينة في وثائقهم ونشاطهم الدعائي على محاولة البرهان على حق اليهود في فلسطين كوطن تاريخي لهم طردوا منه بالقوة. وذاقوا الأمرين طيلة عدة قرون. ولكنهم ظلوا يحلمون بالعودة إلى هناك لهذا أتقنت الصهيونية كل دعوة لعداء اليهود لدفعهم للانغلاق والمحافظة على «الجوهر اليهودي» ثم دفعهم لتحقيق المآرب الصهيونية لإنجاز الوطن المزعوم وهنا باتت الهجرة والاستيطان ضروريين لتحقيق قيام إسرائيل على الأرض التاريخية المزعومة. ولقد أشار بيجين ذات مرة في برنامجه الانتخابي إلى الهجرة وأهميتها للكيان الصهيوني قائلاً: «ستعمل الحكومة على تشجيع الهجرة باعتبارها على رأس الأولويات» من هذا المنطلق تم ذبح قرى بأكملها على الطريقة النازية وإصدار القوانين المساعدة للاستيلاء على الأرض. ووصم كل من ينتقد تصرفاتهم بصفة اللاسامية ورغبة إبادة اليهود.

وبما أن الظاهرة الأدبية الصهيونية ظاهرة مصطنعة لعدم وجود أدب يهودي بالمعنى العلمي لهذه الكلمة نظراً لأنه لا يغوص في العمق إنما يسير باتجاه السطح لغاية إعلامية تخدم أهدافاً سياسية في العصر الحاضر كما كانت في العصور الوسطى بينما كان هدفه قديماً خلق نوع من النزوع المتعالي بوجه الأحداث التاريخية والانضواء لاجترار تعاليم أثرت تأثيراً مباشراً على بنية اليهود السيكولوجية والفكرية



والإيحاءات الدينية المستمرة ومنها انطلق تصور مشترك كحل لمشكلتهم باللجوء إلى «الجيتوات» فأدى ذلك بهم إلى العنصرية الشوفينية وبالتالي إلى توقفهم أمام تيارات التغير ونواميس التطور.

وتمثل رواية «العشب الأحمر يشتعل ببطء. النهر الأخضر يتدفق للأبد» للكاتب الصهيوني العنصري بنحاس سادية نموذجاً رمزياً للكتابة الأدبية الصهيونية فيها يحاول الكاتب بث توحد صوفي في نفس قارئه بالأرض العربية عبر مقولة «الأرض التاريخية» مستمداً رموزه والحدث في القصة من الموقف الراهن المباشر دون استخدام رموز تراثية أو خوض صريح فيما يسمى بالعلاقة التاريخية وتجسد الشخصيات الثلاثة الرئيسية في القصة ذلك البناء الفلسفي الذي تقوم عليه القصة والذي يرتبط بالشوق الصوفي للأرض والحلم التوراتي الذي يصوره أرض إسرائيل.

«قالت: شيء ما بداخلي يغني. لكن دون نغم

- بماذا يغني؟

- إنه يغني هكذا... العشب الأحمر يشتعل ببطء. النهر الأخضر يتدفق للأبد.

- ماذا بعد ذلك؟

- ليس بعد ذلك شيء. فما قلته يتكرر... ويتكرر للأبد».

التوحد الصوفي بين الأرض والمستوطن

هذا هو التوحد الصوفي بين الأرض العربية والمستوطن الصهيوني الذي يحاول عبر أغنيته الاستحواذ عليها بصورة تزيف الواقع والحقائق التاريخية والتوحد هنا بين «افيجيل» الأرض، و«افشالوم» الشعب اليهودي الذي تصلها به وشيجة الدم كما يقول الكاتب الصهيوني. وهنا «التزييف الحقيقي في أبرز مظاهره» إذ أنه ينفي وجود الشعب العربي في صورة فاضحة لا تتمشى وحقائق التاريخ ويستمر ذلك ليقول: إنها «الأرض» محروسة منه بلا إرادة منها أو منه «أي أن العلاقة هنا قدرية تستحضر التراث اليهودي «لنسلك أعطي هذه الأرض».

ورغم مرور أحداث كثيفة أبعدت هذه العلاقة. إلا أنها لا تنتقل عنه. ففي أعماقها تتردد دائماً أغنية التوحد به. أغنية العشب الأحمر التي تذوي في باطنها رغم الأضواء والرياح الساخنة والدور القائمة الغارقة في السبات والمتداخلة في حروف اللغة العربية وهنا إشارة إلى الوجود العربي، الذي رفض الكاتب الصهيوني جذريته فنعته باللون الباهت.

«عندما خرج افشالوم من الأزقة المتداخلة المتشابكة كحروف اللغة العربية. كانا قد وصلا إلى سوق. محنة يهودا. المقفرة» هنا تخيلات أدبية لما يقال بصراحة في وصف حالة الأرض المقدسة عبر ما يسمى بسنوات النفي لليهود هي لا تيأس من عودة افشالوم فها هي «الكراكي المهاجرة» طلائع الهجرة اليهودية تبشرها بقرب وصولها.

«مرت أسراب وأسراب من الكراكي متتابعة متلاحقة. كانت هذه الأسراب فيما يبدو قوام الجماعة المهاجرة الرئيس. أما ما كان قد ظهر منها قبل ذلك فلم يكن سوى طلائع للقوة الأساسية على فترات متباعدة كان يتردد صوت أشبه بنداء قصير. وفيما عدا هذا كان السكون مخيماً. من أسراب الكراكي ما كان صغيراً يضم خمسة أو ستة طيور ومنها ما كان يضم عشرين أو أكثر. غير أنهم جميعاً كانوا يتحركون على شكل رأسي صوب هدف لا يحيدون عنه» وهي صورة وضحها بن غوريون في رسائله حينما قال «وفلسطين ليست إلا إحدى البلاد التي غزوها. يقصد العرب. أما أهل البلاد الأصليون فهم اليهود!! وقد اعتبروها وطنهم عبر أجيال النفي والتشتت» وقد يكون الكاتب اعتمد على قول بن غوريون هذا فحرض في قصته على التسرع في الفعل وتكثيف الهجرة نحو الأرض المقدسة التي يدعي. زوراً. أنها لهم «الليلة.. الليلة أستطيع» هنا دعوة حقيقية للإسراع بهذا الفعل. «لاحت الدموع في عينيها.. أمسك وجهها بين يديه فأحس بمدى سخونة وجنتيها. أحس برائحة جلدها وشعرها المسكرة كانت شفتاها ترتعشان وعيناها المشرقتان تطفحان بتعبير من الألم والرضا في نفس الوقت. وكانت بكل ما فيها بتلك اللحظات جزءاً من حلم» إنه يقارن هنا بين الوجود العربي وطلائع الغزو الصهيوني وارتباط ذلك بالأرض التي هي في حالة حلم وذهول بعينيها المشرقتين تطفحان بتعبير من الألم لوجودها تحت السارية العربية. والرضا لبداية الوجود اليهودي الذي باتت تحلم به.

«وفجأة بدأت ترتعش أراد أن يطمئنها فضمها إليه وجعل يداعب شعرها وكتفيها العاريتين في رقة أحس بأنفاسها الحارة على وجهه وعنقه وسمعها تتمتم بكلمات مختلفة. كلمات غريبة ربما قالتها في أوقات أخرى وطفت على سطح ذاكرتها المضطربة» عله يشير هنا إلى الوجود العربي، وارتباط عرب فلسطين بلغتهم ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم. ويعتبر ذلك دخيلاً غريباً على الأرض في فلسطين كما يصور الكاتب. لكن افشالوم «الشعب» وهو راقد بين اليقظة والمنام تطالعه رؤيا التوحد بـ «افيجيل» التي التحقت بدار الدعارة وفقدت طهارتها لأنها تعيش في كنف العرب ويعيش افشالوم بأمل تطهرها من الدنس. ويتجسد هذا التطهر في دمائها عندما تذبح لتبعث من جديد أي عندما تغسلها الدماء من آثار العرب. الكاتب الصهيوني سادية يدعو هذا صراحة لقتل العرب. يدعو للمذابح الجماعية التي بها وحدها يسيطر اليهود على البلاد لتصبح الأرض طاهرة خالصة للقادمين اليهود. وهو هنا يستحضر ما قام به «يوشع» عندما استطاع بالخديعة والمذابح الاستيلاء على «أريحا» من أهلها الكنعانيين العرب قبل آلاف السنين والذين لا زالوا يمارسونه حتى الآن باعتبار «أن الشعوب غير اليهودية خارج القانون» ويذكرنا هذا بحال بني إسرائيل بعد ظهور المسيح ثم بحال الذين دانوا باليهودية من الأقوام الأخرى. والذين صاروا غالبية اليهود وعاشوا في أوروبا الشرقية والوسطى فقد عاشوا في جو الأسفار وتلقيناتها ينظرون إلى غيرهم نظرة استعلاء وكيد وكره ومكر وشر. وخلال مسيرة «أفشالوم» و«ايفيجيل» في الطريق الطويل نحو اللحظة المرجوة لتحقيق الرؤيا يظهر لهما الشخص الغريب المفزع. هذا الغريب «المقصود به العربي صاحب الأرض الحقيقي» يعترض المسيرة. ويظهر متلصصاً متربصاً في الظلام. «فجأة أفلتت ايفيجيل» وهبت واقفة. جعلت تصيخ السمع وراحت تنظر فيما حولها دون أن ترى شيئاً عدا بضع أشجار هنا وهناك. و«أفشالوم» ينظر إليها مشدوها قالت في صوت خافت: أشعر أنه هنا.

- من؟ أنك مريضة بالأوهام يا ايفيجيل.

- كلا... أنه يختبئ ربما خلف إحدى الأشجار.

- سأبحث عنه... قال «افشالوم» وهو ينهض من مكانه.

ورغم التزوير الواضح للتاريخ لأن العربي لا يواجه في الظلام. إلا أن عنصرية الكاتب أثرت على رؤياه فأسقط ما يدور في نفس اليهود على العرب. فهم الذين يعملون في الظلام وهم الذين سرقوا فلسطين بالدسائس والتآمر. وصهيونيتهم هي التي جعلت دور الدين بالنسبة لليهود «يختلف عن دور الدين عند الشعوب الأخرى وذلك بهدف جعل الوجه الديني للحياة اليهودية مصدراً للوعي الصهيوني الذي هدف منذ قيام الصهيونية إلى استعمار فلسطين وما حولها» بأية طريقة وهذا لن يكون إلا بالقوة لقد ظلت هي العامل الأكبر في تأكيد المقولة الصهيونية «الأرض التاريخية» وبكل انعكاساتها على الأدب والأدباء. فها هي الكاتبة الصهيونية «روث الموجي» تدعو في قصتها «كان يمكن شراء مدفع بهذا المال» «لاعتماد هذه القوة من وقت قريب وزعوا عندنا منحاً مالية على الأدباء ألم يكن من الممكن شراء مدفع بهذا المال. يكفينا الخبز. عش الغراب من الكماليات تماماً مثل الحلوى».

تدعو الكاتبة هنا إلى الحرب التي لا يمكن بدونها أن تتوحد بالأرض فالكاتبة «روث» في قصتها هي الأرض وميخائيل بطل القصة هو الشعب والأرض هي التي تطلبه وبأي ثمن لتتوحد به وعبر جو جنسي يبرز هذا التوحد «كان في مقدوري أيضاً أن أقول له: أن الصلة الجسدية هي غالباً العدو رقم واحد ولأنها تؤدي بنا في الواقع إلى تحويل الحب» تحويل الحب من النظري إلى العملي. من الحياة في أوروبا وغيرها. من موطن اليهود إلى التوجه نحو فلسطين أي أنها تدعو لرفض الاندماج في المجتمعات الغربية والمواطن الأصلية لليهود. في قصته «لا لون للخوف» التي تتحدث عن الحرب للكاتب جدعون تلباز قد



يبدو للقارئ السطحي من تتبع أحداث القصة أن الكاتب يتألم للحرب وأنه يقف منها موقفاً راديكالياً، ولكن متتبعاً لأحداث القصة يؤكد عكس ذلك، إذ أن الموقف الراديكالي والموضوعي للكاتب ومن الناحية الإنسانية على الأقل يتطلب توضيح حقوق الآخرين، والآخرون: الفلسطينيون .ولكن الكاتب لا يتطرق إلى ذلك، إنه يتألم للقتلى اليهود الذين يذهبون للاعتداء على الغير لتحقيق مقولة الأرض التاريخية.

«كان الموت أسهل الطرق بالنسبة إليه وجدوه محترقاً ومختلطاً بجزئيات إحدى الدبابات كان من المستحيل معرفة أين تبدأ جثته وأين تنتهي جثة الدبابة لم يبق على أصله الأول سوى الأشلاء وقطع الصلب المغطاة بالتراب أما سائر الأشياء فكانت منتمية إلى الماضي، كالدودة المتحجرة أما الحاضر فقد كان الذباب، ذباب الجيل في بداية الوحشة النظيفة» ورغم الألم الذي يبديه الكاتب للقتيل اليهودي إلا أنه يظهر إعجابه ببراعة الطيار اليهودي المقاتل الذي يلاحق الأعداء «الأغيار» الذين يقلقون اليهود ويظهر الكاتب بهذا المعنى فوقيته البغيضة وهو بهذا لا يخرج عن مقولات الصهيونية في تفوق العنصر اليهودي الذي يستعمر الأرض ويجلب لها الخير على حد زعمه «لن يجلب مجيئنا إلى غور بيسان أي ضرر على عرب المنطقة، العكس هو الصحيح» ويستدل الصهاينة على هذا بقول أحد الخونة قبل عام 1948 حسب ما أورد ذلك بعض الكتاب الصهاينة على لسان عربي من حوران: «إسمع.. أعمل في منطقتكم أكثر من سنة، وكذلك في منطقة حيفا وأرى التقدم وبناء البيوت عندكم وكل هذا بسبب الهجرة اليهودية إلى فلسطين بسبب المهاجرين الذين يبنون البيوت والحدائق، ومزارع الأبقار والشوارع والأرصفة إنهم بحاجة إلى العمل وكل عائلة يهودية تستوطن فلسطين تعيل ثلاث عائلات عربية، هذا هو سبب تقدمكم هنا، وعدم تقدمنا في حوران لأنه لا توجد عندنا هجرة يهودية».

هذه هي الصهيونية وهذا هو الاستيطان والغطرسة، عائلة يهودية تعيل ثلاث عائلات عربية، والعرب يرحبون باليهود في حوران «سوريا» وهذا كله لن يكون إلا بالقوة، يقول تلبلا في نهاية قصته «وبعدها اختفت جلبة المحرك من أذنيه وفتح الطيار عينيه واستقبلته أحضان حارة وربتات على الكتف وهو ينزل إلى الممر.

.هل لدى أحدكم سيجارة؟ سأل.

من كل جانب مدت إليه علب مفتوحة سحب سيجارة من إحداها وأشعلها له أحدهم جذب الطيار نفساً عميقاً ثم أطلق الدخان من رئتيه ثم ألقى السيجارة وداسها بقدمه، وما زال كل هذا غير حقيقي، ذلك أنه لم يبدأ في الإحساس بصلابة الأرض تحت قدميه إلا بعد الخطوة العاشرة» يعني ضرورة الاستمرار في القتل حتى النهاية!؟.

في قصة «ش.دوفين» بعنوان «مأخذ الشيطان على فاوست» نرى نموذجاً فنياً مركباً لأدب مقولة «معاداة السامية» ودفع اليهود للهجرة إلى الأرض التاريخية في جانبها الوصفي وإذ أن المعروف أن الشيطان في سفر أيوب يلعب دور الشر، والسفر من كتابات التأمل اليهودية المتأثرة بروح الحكمة والتفلسف اليوناني خلال فترة الحكم اليوناني في الشرق وهو يناقش مسألة الشر في العالم ويطرح تساؤلات محددة حول مبررات العذاب الإنساني الذي يلحق الأخيار من الناس، الشيطان في سفر أيوب يوعز إلى الرب لإنزال ضربات متلاحقة بأيوب لاختبار إيمانه لأن ذلك سيكشف زيف عقيدته ويستجيب الرب للشيطان ويأمره بالتصرف «أبسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فإنه في وجهك يجدف عليك» هذا هو دور الشيطان في سفر أيوب دور محرض القوى السماوية العليا على إلقاء العذاب بالناس ودوره في مسرحية «فاوست» كما يفهمه كاتب القصة دور الشرير الذي يغوي البشر ليعرض عليهم ممارسة الشر والوقوع في الخطيئة، فما الدور الذي ينيطه كاتب القصة هنا بالشيطان؟

يوضح د. البحراوي في تحليله لهذه القصة «أن الكاتب أبرز الشيطان وجعل له دوراً أساسياً فيها فهو الراوية ومقدم التقارير للذات الإلهية ورغم شروره، إلا أن العذاب الذي أصاب اليهود جعله يرق لهم أي أن من يعذب اليهود أشد ضراوة من الشيطان نفسه»!

«يبدو الشيطان أكثر الجميع دهشة، إنه يحاول أن يحد من انفعالاته لابد أنه سيثور معرباً عن موقفه بوضوح غير أنه لعجب الجميع، فيما عدا النائب، لا يفعل لم يجد أمامه سوى النائب ولكن يبدو أن دهشته الكبيرة لم تكن بالقدر الكافي لإخراجه عن صمته.

سأل النائب عن الرجل الذي يتعذب من سنين في أوشفيتس قال النائب «أعني الرجل الذي لا يكف عن الاستشهاد بسفر أيوب».

أي أن الكاتب يريد أن يقول لنا أن هناك العديد من المعتقلين في سجون النازي ورغم هذا لا يهمه منهم سوى اليهودي ذلك الذي «لا يكف عن الاستشهاد بسفر أيوب» أي التوراة وهنا محاولة رخيصة لغزو العقل الإنساني وشده للتعاطف مع اليهودي المسكين وإبراز الأنانية التي يتميز بها اليهود وهذا يوضح احترام اليهود وعدم قتلهم أو اعتقالهم دون أي اعتبار إلى الآخرين، وفي أتون ذلك الموقف تبرز فوقية الكاتب وغطرسته لتتضح الثقافة العنصرية للشعب المختار!! الذي يميز بالبطولة الفذة، حتى الأطفال فيه يجابهون الألمان ويتخطون أسلاكهم الشائكة المنيعة وهذه لهجة «السوبر طفل» الإسرائيلي بكل معانيها والتي تكثر في أعمال الكتاب الصهاينة مثل كرميلي وسروج وسبتر وغيرهم وقصة «ديندين» الطفل اليهودي

المقاتل الذي يهزم الأعداء في كل زمان ومكان.

في قصة «أنا مهاجر» يدعو أي.ش. مأمور اليهود للعمل في فلسطين لخدمة الصهيونية.

«المهاجر هو اليهودي الذي يسافر إلى إسرائيل لتكريس حياته من أجل الوطن ومصالحه. عندما سمعت هذا التعريف تذكرت يهودياً كنت أعرفه عرف كلمة «حالوتس» رائد الهجرة. بأنه كتلة الحديد الخام الذي يخلق للوطن ما يحتاج إليه. لم يكن اسم ذلك اليهودي «ساشا» بالطبع وإن كان اسمه قريباً من هذا في جرسه «أوسيا» ترومبلدور وهنا دعوة للاقتداء بمن يسمون في الحركة الصهيونية بالرواد الأوائل ومنهم هذا المدعو «ترومبلدور» ومن جانب آخر دعوة لصهينة اليهود الروس وعدم اندماجهم في مجتمعهم الروسي حيث ولدوا وعاشوا. لهذا يستحضر شخصية «ترومبلدور» الحالوتسي الأول «المهاجر» الذي حارب في روسيا وفي الشرق. وفقد ذراعه وقرر أخيراً الذهاب إلى فلسطين للعمل والقتال فيها من أجل الصهيونية فهو «ساشا» الروسي. ولكنه استبدله بأوسيا ترومبلدور وهكذا تترجم مقولة الأرض التاريخية القاضية بحق الملكية المطلق للأرض العربية في فلسطين في شكل فني تتداخل فيه مقولة العداء للسامية الساعي للقضاء على اليهود مع الأرض التاريخية لليهود. واليهود وحدهم.

العنصرية والتفوق

الدور الذي لعبه الأدب الصهيوني على الصعيد الدولي لا يقل عن الدور السياسي الذي قام به رواد الصهيونية السياسية الأوائل. والأثر النفسي الذي أحدثته روايات وكتابات «بنسكر وهرتزل وأحاد هاعام» الأدبية لا تقل أهمية عن كتاباتهم السياسية والأيديولوجية. لقد وقف الأدب السياسي الصهيوني أمام التسامح بقوة ومنذ البداية مقاوماً أي تطلع جدي لحل المشكلة اليهودية. ممارساً التزوير وقلب الحقائق ومرتكزاً على أحداث الماضي لتبرير أحداث مستحدثة ليتعدى ذلك الزمان وذلك المكان مثيراً عداء الشعوب بسلوكيته الشاذة على الصعيد العملي والنظري وإذا كان جام الغضب صب على العرب قديماً وحديثاً. فإنهم ركبوا المركب تجاه الشعوب الأخرى فلم يسلم أحد من شعوب الأرض من سهامهم العنصرية الموروثة ولما كان الأدب الصهيوني أدباً موجهاً فإنه بالتالي يعكس سياسة وفكراً وفلسفة تتبناها الصهيونية جميعها وتعززها لتلعب دورها المرسوم والمخطط لها وتشكل فكرة التفوق أحد المكونات الأساسية للفكر الصهيوني والتفوق الذي يحدث عنه الصهاينة تفوق شامل بالإضافة إلى أنه أبدي أي أنه ليس مرهوناً بفترة زمنية معينة تمتد منذ صراع اليهود مع فرعون ودخول «يوشع بن نون» أريحا ووقوف اليهود ضد الرومان وحتى الحروب الحديثة بكل ما يرتبط بذلك من أساطير وخرافات قديمة وغطرسة وتزوير متعمد لتاريخ المنطقة. لأن ربط هذا التفوق بمرحلة تاريخية معينة يؤدي إلى حرمان الحركة الصهيونية من استثمار هذا المفهوم أيديولوجياً ومن أجل ذلك نرى الصهيونية أن بيجن مثلاً هو صهيوني نقي. فإن يكن المرء يهودياً يعني عند الصهاينة أنه متفوق بذاته ولذا يحسده الأغيار ويودون لو يزيحوه من طريقهم. فالذات اليهودية هي محور العالم ولا يهم أن يكون للأغيار أي نصيب. ويذكرنا هذا في الوقت نفسه بقول بن غوريون «لا يهمني ماذا يقول العالم بل اليهود». لأن الصهيونية في نظر اليهود جزء من إرادة السماء وأن اليهود قد توحدوا بالرب وأن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائد «لا وجه الشبه» ففي حين يجلس اليهودي في المرتبة العليا وينحدر من الصنف الأسمى تقبع بقية الأمم من الدرك الأسفل وتنحدر من أدنى صنف. وهكذا نرى أنه من العبث البحث عن وجه للشبه بينهما. وحسبما جاء في كتاب «هاجره المقدس عندهم «فإن الجسد اليهودي يختلف كلياً عن أجساد بقية الشعوب وذلك من حيث أكلهم وشربهم وطينتهم وإن كنا نرى ثمة تشابها في الأجساد فما ذلك إلا في المظهر الخارجي فقط أما داخلياً فالفرق بينهم كبير إلى حد يجعل الجسد اليهودي لا يمت بأية صلة كانت إلى صنف بقية الأجساد لأبناء الأمم الأخرى وما يصح على الجسم «المادة» يصح أيضاً على النفس «الروح» إذ أن أصل أرواح بني إسرائيل هي من الروح المقدس ذاته» ولهذا فإن الانتصارات اليهودية الحديثة كما يرى الصهاينة «ليست فقط لأفضلية إسرائيلية بل للمميزات أخلاقية. أي أن في اليهود روحانية تميزهم وتجعلهم يتفوقون وينبغون أكثر من غيرهم» من هنا استنبطت مفاهيم سياسية. التعصب إحدى أبرز سماتها. كما تقول الشاعرة العنصرية الصهيونية «أنا جرينو» في إحدى قصائدها التي تتعالى فيها على العالم:

قالت لي أمي بأني
ابنة لشعب غني بالأسفار.. والأغيار جهلة
حدثتني أن أكون بالمقدمة
لأني يهودية
قالت أمي «إنني ابنة شعب لا يقبل الضياع
واجبي مواصلة الدرب.. درب أبي
لمواجهة الأغيار الأعداء
ولو كانوا كل العالم».

مقابل هذا الاستهزاء بالآخرين فإن هذا الأدب ما برح يضخم المميزات الذاتية المكونة لماهية الصهيوني. فهو باعث حضارة الأمم ودافع عجلة تقدم الشعوب وأساس المدنية. إن النظرية الصهيونية تعتبر بحق من أكثر النظريات الرجعية العنصرية الشوفينية خطراً على الفكر التقدمي العالمي وذلك من خلال جوهرها الذي ينم عن معاداة الشعوب في العالم أجمع لأن «المفاهيم» الفلسفية التي تعتمدها الصهيونية سلاحاً أيديولوجياً تكمن في جوهرها حقيقة العقيدة الدينية الوضعية الجامدة للديانة اليهودية وهي تتجلى في الأسطورة التي تتحدث عن اتحاد اليهود مع الله والاعتقاد باستثناء اليهود والرجعية المعتمدة في هذا الكيان لها طابع أكثر توسعاً وعمقاً ومن هنا كانت دعوات الصهيونية البحث عن أرض تضفي صفة الشرعية لكيانها بأي وسيلة حتى ولو كان القتل والاغتصاب أساساً لها. في مقطع بارز للشاعر «جبرائيل اليشع» يظهر وضوح ما تكنه الحركة الصهيونية للإنسانية من كره ها هو يقول:

لا نطلب الغفران كقط ساعة النزو
هذا زمن الذئاب المغتصبة
لا التنسك والصومعة

هكذا استطاع المنظرون الصهاينة النفاذ إلى أعماق الفرد الصهيوني بالإيحاء المستمر بشبح الدياسبورا «الشتات». وكان الأدب الوسيلة الممكنة لاقتحام نفوس اليهود والسيطرة على غرائزهم العدوانية فالأديب الصهيوني «حانوخ برطوف» يرى أن التغير هو معرفة القتل والمشكلة هي مشكلة وجود يهودي. لكي يستطيع الوجود يتوجب عليه القتل. بهذا المنطق غمرت الكتب الأدبية أسواق الأرض المحتلة. وكلها تشيد بالجندي السوبرمان والجيش الذي لا يقهر في الوقت نفسه وبنفس القوة تحاول الحط من القدرات العربية وتنتقص من مبادئها الإنسانية وتراثها.

في قصة «الينبوع» يفسر الكاتب الصهيوني «هشتر» أعمال أبطاله العدوانية في فلسطين بسبب الأعمال النازية في ألمانيا: اليهودي بات المفجوع بمقتل حبيبته سارة التي لقيت مصرعها على يد النازيين يقتل العرب ثأراً من الألمان «كان متعباً ولكنه أحس جسده خفيفاً بصورة لا تصدق واستدار نحو الدبابتين هذا من أجلك يا سارة من أجلك» وجوزيف في رواية لصوص الليل يمارس الإرهاب في فلسطين لماذا؟ لأن «دينا» قتلت في ألمانيا. أما إذا كان الكاتب مثالياً فقصته ستتضح بطولات خارقة وقدرة تفل الحديد. يمكن معها إدراجها ضمن الأساطير وقصة «ساعة واحدة لإستر» للكاتب الصهيوني «كونراد برمش» تسير بهذا الاتجاه.

في قصة «خربة خزعة» يورد القاص «يزهار سمولنسكي» أحاديث كثيرة ومتنوعة بين الجنود الإسرائيليين قبيل احتلال القرية وبعد احتلالها. ويمكن أن نفهم من هذه الأحاديث نفسية الجندي الإسرائيلي «البطل!!» ورأيه في العرب من النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية فيدرك القارئ ماذا تضمره هذه الشخصية من شعور تجاه العرب.

مما لاشك فيه أن قصة «سمولنسكي» خربة خزعة هي صور متعددة انتزعها المؤلف مما وصل إليه من فظائع الحرب الفلسطينية وفيها تظهر آثار التربية الصهيونية للناشئة أنذاك وما حشدته فيهم من غطرسة وشعور بالتفوق والتسامي. والكاتب «عاموس عوز» في قصته «الرجل والأفعى» يبرر هذه الأعمال ضدهم فلقد جاء في قصته هذا النص: «البدوي يشم رائحة الضعف من بعيد فإذا لاطفته بكلمة طيبة أو ابتسامة يهجم كالحيوان المفترس يحاول اغتصابك حتى أنني هربت منه. أنا لا أرتجف من المياه الباردة بقدر ما ارتجف من الاشمئزاز. ما أشد اسوداد أصابعه كيف أمسك بي من رقبتي فقط بالضرب وبالرفس هربت منه يجب أن أغتسل بالصابون» إن صورة العربي في هذه القصة كما رسمها «عوز» حالات صراع بين «الإنسان المتحضر الذي يمثله عادة اليهودي ابن الكيبوتس والطبيعة المهددة بالخطر وممثلوها هنا هم «بنات آوى العرب والجبال».

إذن هل يحق لهؤلاء العرب، في رأي الصهاينة، الحياة؟ بالطبع لا، وهنا تكون البطولة هي القتل، والقتل فقط ومن يقتل هو البطل. ففي قصيدة «أيوناثان غيفن» تحت عنوان «عدت من إجازتي» يقول الشاعر القائل:

يجب عليك أن تقتل

حين تعود وتقص على والدتك

أشياء كثيرة وجميلة

أشياء جميلة

لماذا القتال؟

لماذا هذا السلوك من العرب؟

لأن العربي حسب الأدباء الصهاينة لا يفهم سوى لغة واحدة، فهو يحترمك كلما عاملته بقسوة وفظاظة. القوة هي اللغة الوحيدة التي يجب أن يعامل بها، وإذا ما ارتفعت عنه القوة وعومل بليونة فإنه يعتقد أنك تخشاه فيتمرد. إذن فالعربي في نظر الكاتب العبري يجب أن لا يعامل عن طريق الند للند وكثيراً ما نجد أن هذه العبارة في قصص الأدباء الصهاينة «إن العرب لا يحترمون جاراً ضعيفاً». ويضيف «يهودا آشربير» في قصته «القائد الأول ليهوذا» اعتداءات العرب المتكررة صباحاً ومساءً على اليهود الذين يسكنون على الحدود بين يافا وتل أبيب بأنها تسلية يتسلى بها العرب «وكأنهم ليسوا أصحاب قضية» وهنا إشارة إلى أنهم قتلة همهم الاعتداء فقط ويقول الكاتب: إن مجموعة من الشبان اليهود قرروا الانتقام ومهما كان الثمن. وفعلاً توقف اعتداء العرب بل وتقدموا بالشكوى إلى السلطات البريطانية. وهذا الرأي شائع بين اليهود في فلسطين المحتلة. فلقد أجرى «يوحنا بيرس» وهو أستاذ في جامعة تل أبيب استطلاعاً للرأي دل على شيوع هذه الفكرة بين أبناء الطوائف الشرقية بشكل خاص إذ أجاب 89 % منهم بوجود مثل هذه الفكرة عن العرب. وتجدر الإشارة إلى أن كاتب القصة لم يذكر الأسباب الحقيقية التي حفزت العرب لقيام بهذا الهجوم سوى أنه كان انتقاماً للاعتداء على لص آثم «اللص هنا هو العربي» لم يذكر الكاتب لمن كانت هذه الكروم والمزارع وهنا تزوير حقيقي للتاريخ!!

ويتبع شموئيل عجنون لإبراز هذا المعنى في قصته «من عدو إلى محب» أسلوباً رمزياً فهو يتحدث عن صراع مع الأيام ذلك الصراع الذي بدأ عندما نزل الكاتب في منطقة «تلبيوت» إحدى ضواحي القدس حيث بنى خيمته فيها: «قبل أن تبني تلبيوت كان يحكم كل البلاد ملك الرياح ووزرائه وعماله. رياح قوية تسكن في الجبل وفي السهل، والتل، والبراري وتعمل ما تشاء. وكأن البلاد أعطيت لها وحدها فقط» وتعترض الرياح سبيله وتسأله ماذا يفعل هناك فيجيب بأنه يتجول وتهزأ منه الرياح فتهب وتوقع الأذى به وبخيمته ولا يدع «عجنون» الأسى يتسرب إلى نفسه ويعود ليبني بعزيمة ونشاط بيتاً قوياً ذا أساسات عميقة في المكان نفسه في «تلبيوت» وتأتي الرياح فلا تستطيع هدم البيت بل تهدم ما حوله وتخربه ويقوم عجنون بزراعة الأرض وتأتي الرياح لتفعل فعلها من جديد ولكنها تفشل لأن الأشجار ضربت جذورها وصمدت أمام الرياح ومنذ ذلك الحين أصبحت الرياح تزور الدار بصورة مهذبة وكذلك تعرفت أنا عليها ومنذ ذلك الوقت أصبحنا أصدقاء». هذه القصة إشارة واضحة للصراع العربي الصهيوني بتسلسله التاريخي فالريح هم العرب وقفوا في وجه الهجرة الصهيونية المبكرة «الخيمة» لكن ازدياد هذه الهجرة وضرب الخيمة أوتادها بتكوين دولة الكيان الصهيوني أفشلت الفعل العربي فكانت هزيمة 1948 «الأشجار ضربت جذورها وصمدت أمام الرياح» فلم تستطع الرياح هدم الدار عندما صارت متينة الأساس قوية محاطة بأشجار عميقة الجذور. وأن هذه القوة غلبت العرب وفرضت عليهم أن يحبوا صاحب البيت «إشارة إلى السلام المبني على القوة الذي يجب على العرب الاقتناع به» لأن دبابات الجيش الإسرائيلي كما قال ديان «هي التي تأتي بالسلام» والأدب العبري يظهر العربي إنساناً متخلفاً لا يعرف كيف يتصرف وأنه بعيد عن الثقافة والتحضر. «فموشيه ستايبسكي» يؤكد «أن شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تكون منعدمة بين العرب» ويضيف «إن عادة الاستحمام تكاد تكون غير مألوفة عندهم باستثناء غسل بعض أعضاء الجسم من أجل الصلاة والوضوء». ويدعي زورا أنه نقل عن امرأة أنها «أقسمت بالله أنها ولدت ستة أولاد دون أن يمس الماء جسدها» ولا يشعر «ستايبسكي» بالكذب عندما يقول إنه «لا يستبعد أن يبصق صانع القهوة في الفناجين كي ينظفها». في قصته «بلاد بنات آوى» يوضح «عاموس عوز» على لسان شاب يهودي يدعى «متيتياهو» بعض تخيلاته التي هي صورة مخيفة لسيل جارف من القذارة «جمهور قذر غامق اللون، يقشر القمل والبراغيث وله رائحة كريهة، والجوع والكراهية بسبب جفاف وجهه تتوقد عيونهم توقداً جنونياً».

وقد امتدت هذه الأوصاف لتشكل توجهاً



تربوياً لأطفال الصهاينة بكل ما يخلقه من شعور بالاستخفاف المهين بالعرب. ويرى علماء الاجتماع أن الإسقاط الذي يدفعه الصهاينة ويلصقونه بالعرب يدخل في إطار ما يعرف بالاتجاه العرقي والذي يقصد به «اتجاه يتبناه الشخص حيال بعض أو كل أعضاء جماعة عرقية بشرط أن يتأثر هذا الاتجاه بمعلومات مفترضة حيال الأفراد والجماعات».

وبناءً على ما سبق فإن القيم الصهيونية والتي تشكل معياراً لأصحابها وترتكز على مجموعة نظم من المعتقدات في جانبها الأدبي تتمثل في المضمون النوعي من الاتجاهات كحالة مركزية تحدد سلوك الأفراد في المجتمع الصهيوني رغم أنه قد لا يعي الشخص القيم التي تشكل نسقه على المستوى الشعوري وبالتالي فإن التعبير الصريح عنها يكون مضللاً إلا أننا نرى في أعمال الصهاينة وبدون استثناء قوالب من العداء ثابتة ضد كل ما هو عربي كالخيانة والقذارة والتخلف أي الهمجية بشكل عام. إذن ينبغي أن ينتهي العربي المتوحش القذر ويبقى اليهودي المتحضر والمسالم!! الذي يعمر المنطقة ويبقى عليها سمات حضارية رفيعة. هذا التزوير انعكاس لصفات اليهود «السلبية» الكثيرة أبرزه الكتاب العالميون فقد وصف تشوسر اليهودي بأنه يحمل صفات سلبية مختلفة كالخائن وقاتل المسيح والمتوحش وغيرها. وقال مالرو في رواية يهودي مالطا: «إن اليهودي مسبب لانتشار الأوبئة» كما أطلق نفس الصفات على اليهود الأديب البريطاني وولتر سكوت وتكررت أسطورة شايلوك في رواية ايفينهو وفي رواية أولفر تويست لديكنز كما لمسنا صورة اليهود عبر القناعات الثابتة في أعمال برايت وانتوني ترولوب ودامورنا. وغيرهم وجاء بحث لروينجر بأن صفة اليهودي في الأدب الإنجليزي ظلت ثابتة لم تتغير وأن التغيير الذي طرأ عليها كان غير ذي أهمية وسيطرت عليها القوالب الثابتة ورغم هذا تحاول الصهيونية إسقاط صفاتها على العرب وفي محاولتها ترسيخ هذه الفكرة اصطدمت بمقاومة الشعب العربي الفلسطيني الذي لم تستطع أن تنفي وجوده كلية وأوقعها هذا في تناقض حاولت تجاوزه من خلال تركيز دعايتها على شخصية العربي القذر الذي يتنازل عن أرضه راضياً. ومن الأمثلة على ذلك شخصية «رشيد بك» في كتاب هرتزل «الأرض القديمة الجديدة» التي ترحب بالمشروع الصهيوني بما يعني أن العربي لا يستحق هذه الأرض.

وهذا ينسقه ما ورد في يوميات «يوسف فايس» مدير شعبة الأراضي والأحراش حول تخطيط وتنفيذ عمليات التشريد «وقد لاذ الأهلون بالصمت التام عدا رجل واحد انبرى قائلاً: ليس على وجه المعمورة كلها أفضل من ترابنا ولا أعدل من مناخنا وأن حفنة تراب بين صخورها تساوي سهول العالم بأسره».

كتب أحد طلاب المدارس العليا موضوعاً إنشائياً حول العرب فقال: «إن العرب يريدون مواصلة ما بدأه الألمان وقتل جميع اليهود في أرض إسرائيل». وقال تلميذ آخر في وصف العربي: «وجهه غريب صغير، مثير للغضب، وشعر أخضر من بلاد ليست بلادنا» ومن الملاحظ هنا وجود عبارة «ذو شعر أخضر» وهي تدل على البعد الهائل وانعدام الالتقاء والجهل «وكأن العبارة مقتبسة من أدب العلوم الخيالية الذي يصف مخلوقات غريبة ومثيرة للرعب، تهددنا لكونها غريبة عنا» إذن الفكرة الصهيونية توجه الأجيال اليهودية عبر كتّابها نحو عنصرية ضد العرب يحاولون غرسها في نفوس الطلاب. ففي سؤال من مجموع أسئلة امتحان «الإعانة» لطلاب «جفعون» عام 1971 جاء ما يلي:

«لم يتوقف استيطان اليهود لفلسطين أبداً. وبغض النظر عن عددهم الإجمالي في البلاد. كان الكثيرون منهم مفكرون وحكماء ومبدعين وبالمقارنة معهم فإن العرب والمسيحيين الذين

استقروا في هذا المكان لم ينتجوا في فلسطين أي شيء له أهمية بالرغم من قدسية البلاد لأديانهم. وفي كتاب قواعد اللغة العبرية المقرر على مناهج الثانوية نقرأ عن العرب في صفحة 277: العرب سلبوا، وقتلوا.

ونقرأ عن اليهود في صفحة 117: «اليهود جلبوا الحضارة إلى الشرق الأوسط» وفي مقدمة كتاب دراسي أعده الدكتور «شفروني» ورد التأكيد على أن «شعب إسرائيل هو صفوة الشعوب كلها، وأكثر العناصر افتخاراً لأنه تكون عن طريق انتقاء الأفضل» وجاء في وصف العرب وتحديد طابعهم «هذا العنصر الغريب في البلاد بطينته والدخيل على رسالتها وتطلعاتها يعيش الآن فوق ترابها ويستغل خيراتها. ولابد من أن نحاربه كما حاربنا من سبقه من الغزاة والأجانب الذين استولوا على البلاد في العهود الغابرة ونهبوا ثرواتها» وبالتالي فهؤلاء العرب غرباء في العرف الصهيوني يجب طردهم أو قتلهم. وهذه حقيقة الفكرة الصهيونية.

في ملحق صحيفة «هآرتس» ينشر شاعر صهيوني يدعى «اكور» بتاريخ 1982/7/2 قصيدة له بعنوان «لو كنت قائداً لجيشنا الأسطورة» .. «لو كنت قائداً لمنطقة بيروت المحاصرة والمختنقة لصرخت في وجه كل أولئك الذين يطالبون بإعادة المياه ويصرخون ويتألمون ويطلبون إعادة الدواء والطعام إلى المدينة المحاصرة».

ولا يتوقف «اكور» عند حد الصراخ فهو ذو مزاج مختلف وعمله يتطلب أكثر من ذلك.. القتل. لكنه يطالب بأكثر من وسيلة «لو كنت قائداً لجيشنا العظيم لزرعت الموت والدمار في كل المزارع والشوارع في كل المساجد والكنائس».

فالفلسطينيون في نظره شعب زائد أو فائض عن حاجة البشرية لذا يجب إلغاؤه فلا وجود له في وطنه وهذا يذكر بمقولات منظري الصهاينة هرتزل وجابوتنسكي كتجسيد قانون لأحد أبرز أشكال الصهيونية وهو العنصرية التي تقتضي فلسفتها القضاء على حقوق ووجود الأمم الأخرى. والشاعر هنا يتقمص شخصية «يوشع» في تدميره لأريحا فيتخيل الدماء تسيل أمامه فيسعده المنظر لذا يطلب المزيد ليس للمحاربين بل لجميع أفراد الشعب. وهنا يمكن القول أن الأمثلة التي أوردناها تثبت بدون شك نظرة الأدب الصهيوني العنصري ضد العرب بما يتنافى مع الدور الإنساني الذي يستحق الحصول على جائزة «نوبل» فهو أدب ميكافيللي بكل أبعاده تخلى عن واجبات الأدب الضرورية «الحق، والخير، والجمال» وآثار الالتصاق بالتوراة التي جعلت مفهوم المطلق والجوهر في خدمة الأحبار وبالتالي فقد جاء أدباً مصطنعاً يرشح بالكراهية والحقد إلى أبعد الحدود.

البراءة الزائفة والأحزان الموضوعية

يقع دارس الأدب العبري أسيراً لحالة من الحيرة والدهشة لدى اطلاعه على اتجاهات هذا الأدب بعد حرب أكتوبر 1973 ومحاولة إيجاد علاقة انعكاس وتأثر تربط بين الاتجاهات العامة في هذا الأدب وبين التغيرات التي أحدثتها الحرب فلقد لحقت بالنموذج الفكري الصهيوني الذي يصوغ الموقف من العرب والأرض العربية ارتعاشة أثارت موجة المراجعات الفكرية فبدأت تظهر في المصادر الصهيونية تأملات فلسفية تطرح أسئلة من نوع هل كانت الأيديولوجية الصهيونية في أساسها أيديولوجية عنف وأنانية قومية أم كانت أيديولوجية تسعى إلى العدل وتنشد التفاهم مع شعوب العالم بما في ذلك الشعوب العربية؟! وراحت تطرح توصيفات للوضع الأيديولوجي السائد قال عنه أحد الصهاينة «أنا لا اعتقد أن دولة إسرائيل أو الصهيونية جواب شاف على قضية الشعب اليهودي».

من تحليلنا لنصوص ما بعد حرب أكتوبر نرى الاستجابة الأدبية الصهيونية وما تلاها من ارتعاشات في قاعدة المقولات الزائفة بمثابة إضافات كمية لم تبلغ القدر الكافي لإحداث تحول كيفي في أوضاع الحياة الإسرائيلية سواء في مستوى الوجود المادي أو مستوى الوعي فيها. أصبحت المقولات الصهيونية بين مد وجزر ترتبط بالعلاقة الجدلية بين الرفض العربي وحلم القبول بها.

ومن هنا استمرت في الأدب الإسرائيلي حتى الآن تلك الاستجابة المكونة من شعبتين «شعبة التأمل والتوجع الموضوعي، وشعبة البراءة الزائفة في تفسير ما حدث في إطار المقولات الصهيونية والأدب تعبيرات وأحاسيس ذاتية وانعكاسات للمجتمع على نفس الأديب الذي يتكلم لغته ويحيا ظروفه. ومعاناة الأديب جزء من معاناة الجمهور ولكن الإضاءات الإنسانية مفقودة في النتاجات الأدبية الصهيونية فهي إما اسقاطات مرضية تستهزئ بقيم الغير أو انضواء واجترار لتواريخ معينة. إنها أكثر تجسيداً لمعاناة المستوطن.

بناءً على ما سبق أو المفترض على الأقل أن تكتسب صورة العربي في الرؤية الأدبية ملامح مختلفة فلا يعود ذلك القاتل المتعطش للدم اليهودي دون دافع سوى غريزة معاداة السامية، وأن تتغير بالتالي في هذه الرؤية صورة المحارب الإسرائيلي ذلك الإنسان «المسالم» الذي يضطر إلى القتال والبلاء المجيد فيه ضد موجة الخطر الجديد الذي بثه العرب. في قصيدة «الحرب المقبلة» للشاعر الصهيوني «يعقوب باسار» التي كتبت عام 1962 يتصور القارئ أن الشاعر رافض للمقولات الصهيونية وأنه متمرد ضد أصول السياسة الصهيونية:

وفي قاع العيون جملان في لون الليل البهيم
يرشف كلاهما من فم الآخر
مياه الرعب الخضراء
ذلك لأننا نستثبت في تأن وثقة
زهرات الحديد في الحرب المقبلة
ما بين حجرات النوم وحجرات الأولاد

إذا ما تنبهنا إلى هذه الفقرة من القصيدة وإلى صورة الجملين الأسودين اللذين يتبادلان الحقد ويرشف كل منهما من الآخر مياه الرعب لاكتشفنا أن الرؤية التي تحكم الشاعر رؤية موضوعية لا تتجاوز الاستجابة لوقع الآلام التي تتأمل أصول الصراع ودوافع إثارته فليس الجملان سوى طرفي الصراع والشاعر يختار رمز الجمل للإشارة إلى كل منهما على أساس تصوره أن العرب الساميين المنحدرين من أصول صحراوية لا يجابهون اليوم سوى العبريين الساميين المنحدرين من نفس الأصول. من جانب آخر أستطيع الادعاء بل التأكيد بأن عنصرية الشاعر وارتباطاته الأيديولوجية الصهيونية تبرز في التعبير المستلهم من الصحراء بمعنى ارتباط اليهود بهذه المنطقة وجذريتهم فيها. وهذا تزوير للتاريخ فالوجود اليهودي في المنطقة كان عابراً ولفترة قصيرة جداً ليس لها وزنها بالمطلق في التاريخ وهذا يلغي بالطبع تعريف الصهيونية للقومية اليهودية القائل بعدم تجريدها من الأرض. لأنه لو تم ذلك لكان هذا قضاء على طابعها المميز الذي يستهدف الوجود العربي كله ومع ما في طرح الشاعر الصهيوني من خطأ تاريخي حيث أن الصهيونية ليست تعبيراً عن امتداد سامي سلالياً أو حضارياً أو عرقياً. فإن الشاعر رغم براءته الزائفة ينتصر لهذه الصهيونية. فهو في كونه وضع الطرفين في وضع متساو «الجملان» فكلاهما يبادل الآخر

الحقد والرعب. لكن عدم توضيح الشاعر من المعتدي عليه يجعل حزنه موضعياً دون أن يشير إلى الطرف صاحب المسؤولية في ذلك ويحاول الشاعر الإرهابي أن يلبس جلد حمل ويبرز براءته وأنه ضد الحرب والقتل. ولكن ليس كل القتل فهو يحزن لقتل الصهاينة فقط لأنه يزور التاريخ بإبراز أن أرض الشعب الفلسطيني له.

وضع الأقلية العربية الصعب

في دراسة أجراها أحد أساتذة الاجتماع في فلسطين المحتلة على طلاب المدارس الابتدائية خرج بالنتيجة التي تقول أن 60 % من 1066 طالباً قابلهم في مقابلات مفتوحة وتتراوح أعمارهم بين 9 ـ 14 سنة أيدوا الإفناء الكلي للعرب المدنيين المقيمين في إسرائيل في حالة أي صراع مسلح مع الدول العربية وفي مثل هذا الجو النفسي يمكننا أن نتصور الجو الإرهابي الخانق الذي تعيش فيه الأقلية العربية في فلسطين المحتلة. والرغبة في الإفناء التام ليس مجرد تفكير صبياني بل عقيدة. وليس أدل على ذلك من أن الصهاينة يعتبرون مرتكب مجزرة الحرم الإبراهيمي من الشهداء والقديسين.

وتقوم حرب أكتوبر ويتحرك الأدباء الصهاينة لإبراز براءة الذئب الصهيوني ويصبح السلام مخرجاً. ولكن أي سلام هو المرغوب. الشاعرة الصهيونية «حنفاه هركابي» تبين ذلك فتقول:

لذا... فإني أقول
الحزن هو مجرد حزن والألم ليس سوى الألم
حتى الجبال يمكن تحريكها
رغم قدرتها على الرفض

تريد الشاعرة أن تحرك الجبال العربية وتزحزحها لتتسنى لها حياة هادئة مع رجلها على حساب الآخرين.

في قصيدة تحمل عنوان «أغاني أرض صهيون» كتبها الشاعر يهودا عميحاي عام 1974 يمزج الشاعر بين الآلام الصهيونية المدعاة وضرورة إنهاء هذه الآلام عن طريق الاستيلاء على الأرض العربية «والاحتفاظ بأرض فلسطين عام 1948» مبرزاً مقولة أحد المستوطنين الأوائل «ترومبلدور» بشكل إيحائي ليثبت ضرورة التمسك بذلك. وهذه القصيدة تتميز بتركيب الرؤية والبناء الشعري فهي تقدم المقولات الصهيونية في حالة التشابك والاتساق الهندسي الداخلي. وهذه هي حالة المقولات في نسقها الفلسفي:

لعل الكلمات الأخيرة التي لفظها «ترومبلدور»
ما أحلى الموت في سبيل أرضنا بنو الوطن الجديد
مثل نخل الحقل في مجموعات مجنونة
حتى ولو لم تكن هذه كلماته
أو أنه قالها ثم اختفت
لظل مكانها محفوراً كالكهف
فاق الملاط والأحجار صلابة
هذا هو وطني

الشاعر هنا يجتر قول «هرتزل» عن الدولة المرتجاة «اللاثنينية» على قاعدة التمسك بالأرض حيث يدعى أن اليهود هم الذين عمروها فهي صحراء بدونهم ومقفرة بدون جهودهم وهنا ترديد غير مباشر لمقولة «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب» بكل ما فيها من زيف وتضليل وخداع وتآمر.

الوطن المتعين الذي يراه الصهاينة والذي اكتسب ملاط بنائه صلابة وتماسكاً يفوقان صلابة وتماسك الأحجار «مقولة الأرض التاريخية الممزوجة بالوجد اليهودي الكلي» حيث يمارس اليهودي حياته العادية على حساب الآخرين بالاستبسال حتى الموت لأن كنوز هذه الأرض «فلسطين» فليست من المعادن الطبيعية بل من عظام الموتى اليهود الذين قاتلوا في سبيلها ليحققوا لها الوصول إلى عصر «المسحاء» «عصر الخلاص اليهودي المطلق» الأمر الذي يعني أن الطرف الآخر في المواجهة ليس سوى ذلك العدو اللاسامي الذي يحاول أن يقطع طريق شعب في التزاوج مع أرضه. وهذه ليست سوى نفس الرؤية التي تغص بها المقولات الصهيونية.

بعد حرب 1967 ومروراً حتى الانتفاضة الفلسطينية 1987 انبثقت عن الأدب الصهيوني تطلعات وتوجهات متباينة حسب الظروف والمتغيرات. فهي تدعو للاغتصاب والقتل بعد كل انتصار صهيوني وتدعو إلى السلام المزيف مغلفة ببراءة غير حقيقية تعتمد على الإحباط الذي يعانيه المستوطنون الصهاينة فيجترون آلامهم دون أن يتخلوا تماماً عن المقولات الصهيونية. ويمكننا رصد حركة تأثر المعنويات وملاحظة الحالة النفسية الصهيونية المنعكسة على الأدب بعد الانطلاق للانتفاضة المظفرة في فلسطين والتي يسفح بها الأطفال بقوة الغطرسة الصهيونية. فها هي الدلائل تؤكد مدى تأثير القدرات النضالية للأجيال الفلسطينية الجديدة مما خلق في الجانب الصهيوني انتكاسه حقيقة. فالحجارة تزداد معها الآلام. فتذكر بالآلام القديمة وقد رسمت الشاعرة «أنا نجرينو» مسيرة هذه الأزمة النفسية في قصيدة لها بعنوان «البداية» تقول فيها:

وفرضت أشعار نحيب متعددة
حتى لم يبق لي ما أقوله

إذن هنا حالة نفسية متأزمة. قرف من القتل المتبادل. وقتل الأطفال. لكن دون التخلي عن جوهر الصهيونية. ونرى هذا بوضوح في قصيدة الشاعرة الصهيونية «داليا رابينوفتش» في قصيدة لها بعنوان «حجارة» تقول فيها:

بين اعتقال واعتقال
وربما ضربة هراوة
وربما رأس مجروح ويد مكسورة
كل شيء جائز بالنسبة لهم
أيها الأولاد. الأولاد. الأولاد
عودوا إلى البيت أيها الأولاد
كيف ستعيشون بلا استراحة

ماذا تريد الشاعرة أن تقول؟ هل هي تتألم هنا من أجل الأطفال الفلسطينيين؟ يبدو أن الأمر كذلك إذا نظرنا إلى القصيدة نظرة سطحية لكننا إذا ما تعمقنا في بنيانها الداخلي نجد أنها تستبق الأحداث فترثي وجود الكيان برمته. فلقد أصبحت الانتفاضة هاجساً مرعباً لكل الأجنحة الصهيونية بل «دقت طبول القبيلة» في نفوس أولئك الذين كانوا يقولون عن أنفسهم أنهم تقدميون ومتنورون.

إذن فالشاعرة تدعو الأطفال ليستكينوا حتى لا يصابوا بالجراح. وتلتقي أجسامهم الغضة مع الهراوات الغليظة لجنود الاحتلال. وكان أجدر بالشاعرة أن تدعو إلى انسحاب هؤلاء الجنود بل وإلى تقويض المجتمع الصهيوني إذا كانت تدعي التقدمية والإنسانية وهذا لا يمكن أن يكون إلا إذا فرغ اليهودي من صهيونيته فهل يحدث هذا؟ بالطبع لا يمكن لأن الصهيونية مرتبط بالتوراة والأفكار التلمودية التي هي أساسها وبالتالي فإن الشاعرة تعالج إذن ظاهرة مجتزأة من سياقها الاجتماعي والسياسي وكأن الأمر يتعلق بلعبة خطرة يمارسها الأطفال على حساب العودة إلى البيت والاستراحة ولكن أي بيت؟ وأية استراحة؟

قصة الأسير

لا شك أن قصة الأسير من أشهر قصص البراءة الزائفة «يزهار سمولنسكي» تتحدث هذه القصة عن راع عربي يدعى «حسن أحمد»

أسرته فرقة عسكرية صهيونية بينما كان يجلس تحت شجرة متفيئاً ظلها في يوم صيف قائظ ويرقب قطيع أغنامه باطمئنان ويوضح الكاتب كيف كانت المعاملة سيئة «شتم، إهانات، ضرب، سخرية» وتوضح القصة الصراع النفسي عند الجندي الذي طلب منه نقل الأسير إلى معسكر قريب. هذا الصراع المتماوج بين الواجب والإنسانية الجندي يخاطب نفسه في حوار داخلي: «يجب أن نوقف السيارة ونطلق سراح هذا الأسير. وهكذا ستكون النهاية نهاية مختلفة». لكنه يصحوا إلى نفسه ويتساءل: «كيف أستطيع ليس الأمر في يدي.. لا.. لا.. هذا غير صحيح لست صاحب الأمر أنا مجرد رجل ينفذ الأوامر وليس على ذنب فيما أصابه».

«سمولنسكي» في هذه القصة يريد أن يضرب عصفورين بحجر يغذي القارئ بالقيم الإنسانية للدعاية الصهيونية والتمسك بالواجبات العسكرية في وقت واحد وان كان في نهاية الأمر قد رجح الدافع العسكري على الروح الإنسانية. من جانب آخر نجد أن سمولنسكي الذي يدعى الإنسانية لم يستطع أن ينزع من نفسه صفة التعالي التي أصبحت طابعاً عاماً في الأدب العبري فاختار للقصة بطلاً ساذجاً «عربي طبعاً» الأمر الذي يظهر كثيراً في الأدب العبري.

عن هذه القصة يقول غسان كنفاني «إنها محاولة لتصوير ما تردده وسائل الإعلام عن البطولات اليهودية الخارقة. إن البطل العربي في القصة ما زال يختار بعناية ودقة ليؤدي دوره في الموزاييك الصهيوني إنه تقريباً، بهلول «ساذج فثمة حرب وهو خارجها تماماً وبكلمة أخرى إنه العربي غير القادر على مواجهة خصمه»، أما الدكتورة «حياة جاسم» فتقول عنها: «لم يكن هناك شر في العالم يحذر من شرور آتية».

وبشكل عام فإن سمولنسكي يوجه النقد لأصحاب الادعاءات الصهيونية ولكن هذا التجاوب مع العقلانية لا يغير صورة العربي عنده فهو عدو لا يزال جباناً وأخرق أمام شجاعة الصهيوني. وبوسع جندي صهيوني واحد أن يعبث بمجموعة من الجنود العرب ويسخر منهم والأسير العربي هنا يستدر عطف الكاتب لسذاجته لا لعدالة قضيته. إن تجاوبه مع الشخصية العربية تجاوب ظاهري وسلبي ولا يخرجه عن دائرة الولاء للصهيونية. سمولنسكي يعاني صراعاً مريراً لإطلاق سراح الأسير العربي ولكن ولاءه للصهيونية، يتغلب على نداء العدالة في نفسه فيرسل الأسير العربي إلى حتفه وهو ما ينسحب على معظم أعمال سمولنسكي ففي قصته «خربة خزعة» التي يتحدث فيها عن قرية عربية لحتلها فرقة من الجنود الإسرائيليين عام 1948 في هذه القصة يدور حوار بين الكاتب ومجموعة من الأفراد اللذين يؤمنون بآرائه من جهة وجماعة أخرى من الجنود ممن يؤيدون الحرب والاحتلال والطرد والقتل. من جهة أخرى ومن ثنايا القصة يصور الكاتب مختلف الآراء تجاه العرب لدى فئات متعددة من الإسرائيليين يقول «سمولنسكي»:

«وشاهدنا امرأة عربية مع بعض رفيقاتها وكانت تمسك بإحدى يديها ولداً في السابعة من عمره» هذه النزعة الإنسانية ينسفها سمولنسكي تماماً عندما يكرر في ثناياها الإشارة المستمرة إلى ما حل باليهود في العهد النازي ويدعى أنه خجل أمام المرأة العربية «لقد شعرت بالخجل أمامها وأشحت بنظري عنها ولقد رأينا فيها امرأة لبوة. عبرت تقاطيع وجهها عن صبر واحتمال أنها مستعدة لتحمل المشاق. وتأبى أن تنهار أمامنا على الرغم مما حل بها ولقد لمسنا ما يعتمل في نفس طفلها أن تقاطيع وجهه تدل على ما سيكون في المستقبل. الطفل الضعيف الذي لا يستطيع غير البكاء سيكون أفعى سامة».

ادعاءات إنسانية زائفة

عجيب أمر سمولنسكي الذي يدعى الإنسانية أنه لا يريد الطفل الذي سيصبح رجلاً أن يقاتل الذين انتزعوا أرضه. ويواصل سمولنسكي في قصته القول «وبعد قليل تحركت السيارة الثالثة. أي جمود يسيطر علينا وأية لا مبالاة كأننا لم نكن لاجئين أبداً وكأننا مهاجرون فقط لكن ما هو المخرج؟». سمولنسكي هنا يدعى أنه ضد التهجير وطرد الفلسطينيين لكنه لا يقدم على عمل يمنع ذلك سوى أن يذهب إلى النازحين ويقول لهم عودوا إلى بيوتكم ولكنه لم يفعل هذا إذن ما الفائدة من سرد هذه الأفكار وما فائدة وقوفه مكتوف اليدين. إنها البراءة التي تظهر زيفها إذ أنه لا يختلف مع معارضيه ولعله شاء أم أبى، شريكهم في عملية التهجير في قصة «على حد رصاصة» بقلم «يتسحاق أورباز» نجد فكرة مشابهة للفكرة التي أوردها سمولنسكي في «الأسير» غير أن أحداث القصة كتبت بعد حرب سيناء عام 1956. وهي كذلك تدور حول حياة جندي عمل في قطاع غزة وفي سياق هذه القصة يأتي الجندي إلى أحد المغاور في تلك المنطقة فيجد عربياً مسلحاً ولكن هذا العربي سرعان ما يلقي بنقيته. ويبدأ بالتوسل إلى الجندي الإسرائيلي ويصل به الأمر إلى تقبيل قدميه كي لا يقتله. وأخذ يزعم في توسله أنه يحب اليهود وتستمر القصة «وعندما كنا جالسين نهض إبراهيم فجأة وأخذ يركض ولكنه اصطدم بالشجرة وسقط وأمسكت بالعوزي «البندقية» لكي أفعل شيئاً بهذا العربي. وفجأة رأيت أفعى سامة».

رغم أن الكاتب هنا يود أن يلمح بأن هذا العربي قد لا يكون جيداً فقد يكون نافعاً. إذ أنه حاول إنقاذ اليهودي من الأفعى. إلا أنه «الكاتب» لم يستطع أن يهضم ذلك في عقله الباطن فأظهر فوقيته وعنصريته وكأن هذا العربي شيء مهمل كأي جماد مثلاً «وأمسكت بالعوزي لأفعل شيئاً ما بهذا العربي «أي رغم الموقف الذي يبدو إنسانياً في هذه القصة إلا أن الكاتب لم يتحرر من نزعة سادية نحو العرب كأن يهوى الأسير العربي نحو قدمي الجندي يقبلهما. ويعلق أحد الكتاب على هذه القصة فيقول «أنه من جهة واحدة يصعب على الكاتب أن يعامل الأسير معاملة إنسان يبدو له أن هذا الإنسان بدون صفات إنسانية أنه مجرد حيوان».

وهكذا تتضح البراءة الصهيونية والأحزان الموضعية لبعض الكتاب لكن صهيونيتهم تدفعهم في النهاية للانتصار لتربيتهم الفوقية وغطرستهم ضد العرب فهم إنسانيون مع اليهود فقط. أما العرب الجهلة فلا داعي لذلك.

كتبت الروائية الإنجليزية ماريا إدجورث عام 1817 رواية بعنوان «هارنجتون» قدمت فيها شخصية يهودية تتمتع بصفات طيبة. إلا أن الكاتب الصهيوني «بنامين دزرائيلي» يرد عليها بروايته «دافيد ألوري» عام 1833 بإعطاء بطله الصفات التي امتازت بها الصهيونية: العنف، العنصرية، العظمة والإيمان برب الجنود بهدف إيقاظ الشعور القومي الحربي لدى اليهود. كي يتذكروا ذلك الرب المحارب الذي كان يقاتل معهم في حروبهم ومجازرهم في فلسطين. إن إعادة التذكير «برب الجنود» من شأنه أن يثير تلك الفئة المحاربة التي لم تعرف في حياتها الاستقرار. إلا من خلال الحرب ضد الشعوب أو من خلال الخضوع والسبي. وهذا ما لاحظناه في تاريخ بني إسرائيل واليهود ومنهم المقهورين الذين تبنوا هذه العقائد ليكونوا محاربين وليكون

انه الحرب ورب الجنود متناسياً مع تطلعاتهم الحربية والعسكرية إن هذا التعلق المنسي لابد أن يثير اليهود ويستثيرهم للقفز مرة أخرى والتحفز للعدوان. إذن فالاغتصاب والقهر والاضطهاد تشكل جوهر الفكر الصهيوني ومنطلقاته الأساسية «فالذئاب» سادة الأرض لا الإنسانيون المتسامحون.

ولا غرو في ذلك فسلسلة تاريخهم تروي تعطشهم للدماء حتى إذا لم يجدوا من يقتلونه أسقطوا حقدهم على أنفسهم إلى درجة وصلوا بها إلى قتل أنبيائهم. في زيارة لها لمنطقة الجليل تتوقف «جولدا مئير» فجأة، وتترجل من سيارتها أمام شاخصة تشير إلى اسم قرية عربية، كتب عليها الاسم بالعبرية والعربية فتأمر مرافقيها بحزم بطمس الاسم المكتوب بالعربية وإبقاء الكتابة العبرية قائلة: «لا مكان للعرب أو العربية في دولة اليهود» وهذا يوضح أن كل ما هو عربي مكروه عند اليهود، أو غريب غير مفهوم. وإسرائيل محاطة بدائرة كبيرة من الظلام وهذه الدائرة الخارجية هم العرب بلا ريب وهي تحارب الدائرة الداخلية المشعة بالنور أي إسرائيل بمعنى أن إسرائيل هي الممثل للحضارة في الشرق العربي، وما العرب إلا أعداء الحضارة الإنسانية وهكذا كان النفاذ إلى أعماق الفرد الصهيوني. وكان الأدب الوسيلة الممكنة لاقتحام نفوس اليهود والسيطرة على غرائزهم العدوانية. فالأديب الصهيوني «حانوخ برطوف» يرى أن «الوجود الصهيوني لكي يستطيع البقاء توجب عليه القتل». وقد لخص الكاتب الصهيوني «موشيه شامير» أهداف الأدب الصهيوني في المرحلة السابقة، فكان البطل فيه عاملاً ضد الظلم النازي عبر صور لا تخلو من الغزل وها هو الشاعر «شمعون هالكن» يناجي هذا البطل وأمثاله فيقول:

هلا كنتم كالقدماء تحدياً
يا حراس المزامير المقدسة
وليكن بعدها ما يكون
أنتم يا أحرار الجيتو تخلفون الأغيار
وراءكم في المحيطات
ومهما تريدون يكون
تتعلمون منذ الصغر
القطاف من الأمم وليكن ما يكون...
فهذا طريقنا ليس إلا...

البطل في الأدب الإسرائيلي

يأتي دور البطل الصهيوني في رفض الاندماج الذي لا يرضي التركيب العضوي للبنية الصهيونية والعقل الصهيوني المتزمت، ولقد وضح «هس» ذلك حين قال: «وقد يصبح اليهودي مواطناً في بلد يأخذ جنسيته، لكنه لن يقنع الأغيار أبداً بانفصاله عن قوميته» وهذه كانت وظيفة الأدب: زرع بذور الأفكار والرغبات الجديدة التي بدأت تأخذ فاعليتها بالعداء للألمان. وهنا يصبح الأدب الصهيوني دون رسالة تخدم البشرية، بل هو منظومة من النتاجات يمكن إدراجها تحت اسم «الأدب العنصري» الذي يحمل بين طياته الازدراء للآخرين والدعوة إلى العنف والاغتصاب واحتقار الشعوب صراحةً. ويتضح هذا العداء للشعوب في قصيدة نشرتها صحيفة «دافار»:

ليل الألمان طويل ونور عمرهم ضئيل
فنحن خالقو ألمانيا بيد حديدية فتية
ونحن قادرون على صنع نعشها بلا اعتراض
أرض ألمانيا طوع يدنا وروحها ترتعد
بعد الجبروت كأس ستجرعه مراراً

وهنا تظهر صورة البطل الصهيوني بقدر ما لديه من رغبة في الانتقام، فهو عادة مجازف وخارق لا يعرف الشفقة ولا يملك حساً أخلاقياً أو إنسانياً بل صوراً وكوابيس تسيطر على قواه العقلية ناتجة عما سمع به من مجازر لحقت باليهودي وتدفعه لاتخاذ الموقف ذاته ضد العرب إلا أن هذه الرؤيا وهذا المنطق يحتم على الكاتب تبرير التزام أبطاله لهذه الأخلاقية وهو الذي يدعي أنه عانى أهوال المعتقلات والإبادة مما يدفعه للوقوع في التناقضات، لذا يصبح هذا البطل على رأي «بيالك»:

لا يقيم صداقات فإرثه الألم
والقلب يضمر العواصف
والعاصفة دم.

هذا القلب الصهيوني هو الذي انتزع شعر العربية الفلسطينية «خديجة» وهو الذي سحق السجناء في «كفاريوناه» وقام بالعديد من المذابح. ويسحق البيوت كل يوم على قاعدة أن إسرائيل «هي أرض لنا، والعرب الذين يعيشون فيها إذا ضايقونا نطردهم. ولو رجعنا إلى ما كتب «دايان» عام 1967 نرى أشكال الأدب الصهيوني كما ركز على إبراز الشخصية الإسرائيلية المحاربة وكأنها «السوبرمان» الذي لا يختبئ ولا يؤسر ولا يهرب. وقد تراود الشاعر بعض الأفكار هنا أو هناك ولكن بطله دائماً يحب القتل. فها هو يوضح ذلك بقوله:

أرى العيون الميتة الصامتة
أرى حكمة الدولة
حكمة الحرب في أفواه المجانين
الحساب سنجريه فيما بعد
أما الآن فأنا القاتل

قد يعتقد قارئ هذا النص أن الشاعر يحتج على القتل ويدعو لمحاسبة الطغمة العسكرية المحركة للسياسة الصهيونية ولكن يتناسى أنه شارك في القتل، وكان يستطيع أن يرفض المشاركة برفض قتل الأبرياء ولكن عنصريته أبت عليه ذلك.

«مناحيم بيجين» كان طموحاً لتثبيت قيادته عبر مباشرته مذبحة دير ياسين فتفاخر بقتل 245 رجلاً وامرأة وطفلاً في هذه المذبحة. فأفكار هرتزل ما زالت حية في فلسطين المحتلة، فالقتل طهارة عند اليهودي وهذه «نعمة شيمر» توضح ذلك:

لو أنهم تلاميذ مجتهدون
لكانوا استخدموا الدبابة من مسافة قريبة
ودمروا البيوت والشوارع ولم يتركوا أحداً
وبهذا يكونون قد حافظوا على طهارة السلاح

وإذا لم يكن القتل فاحتجاز الضحية في قريته أو منطقته ومنعه من مغادرتها للقيام بأي عمل كان، لفترة غير محددة وقد كثر بصورة خاصة استعمال هذه القيود ضد مواطنين عرب لهم ارتباط بمنظمات سياسية أو لهم نشاط اجتماعي أو ثقافي لا يرضى عنه الحكم العسكري.

من المحزن والمأساوي أن نحاول فهم المسألة اليهودية والصهيونية وإسرائيل في الأدب خارج سياق التاريخ العام وبمعزل عن النظام العالمي. فالصهيونية تستمد خصائصها من خصائص النظام السائد في العصر الراهن وبالتالي فإن فضح خصائص هذا النظام فضح لخصائص الصهيونية، وعندما نتصدى لبعض المقولات الملفقة والخاطئة التي فرضتها القوة الغاشمة وأنتجتها الأوهام والأخطاء فإن ذلك يعني حكماً التصدي للمقولات الصهيونية.

لم يرث اليهود العهد القديم فقط، بل أيضاً تاريخياً طويلاً من اللاشعور الجمعي، بكل محتوياته ومكوناته وعقده النفسية «الشعور بالذنب»، وعقدة أوديب، الشعور بالدونية والتعالي... إلخ. وفلسفتهم وكتبهم زاخرة بالأقوال التي تدلل على تلك الحالات. في التوراة يمكن الاطلاع على مئات الكلمات مثل: السيطرة، القتل، التعالي، الشاذ، القذر، النجس، وكلها كلمات معروفة في العيادات النفسية ويرى

المسيحيون أن الشعور بالذنب عند اليهود ناتج عن الجريمة التي ارتكبوها بحق المسيح بينما يرى «فرويد» أن السبب وراء ذلك كان قتلهم موسى. فالقتل غير المبرر وغير المتسامي بحد ذاته يشكل سبباً سواء أكان المقتول المسيح أم موسى أم الشعوب. أما الخلود فتبلورت فكرته عند اليهود نتيجة الأحداث الصعبة التي زجوا أنفسهم في أتونها وهام بها اليهودي تفادياً للتحلل المحتمل في المجتمعات. من هنا أصيب اليهودي بعقد نفسية بالغة حيث السقوط الفجائي من الشعور بالعظمة إلى الدونية. فعلى عاتقهم تقع مسؤولية إنقاذ البشرية إلى جانب اعتبار «الغوييم» حيوانات في خدمة «شعب الله المختار». وهذه العقدة اللاشعورية تستحث تكراراً المشاهد عبر التاريخ وهذا ما تتبناه الصهيونية السياسية وقبلها الصهيونية الأدبية لإعادة تربية الأجيال وفق السلوكية المرضية هذه والمنطلقات الميتافيزيقية التي لا تخضع للمنطق العلمي. وبات الأدب مقتصراً على طرح هذه الأفكار. ففي قصيدة نشرتها «معاريف» بتاريخ 1978/5/10 نقرأ الآتي:

اعتمر الخوذة استعداداً لمسيرة الدم
جائلاً بعينين إلى آثار الحمقى
امتشاق السيف جزء من آدميته
لرعشة الفرح وحالة الحرب إلى سعادة

إن الصهيونية سبقت «النيتشوية» بعدة قرون بفكرة الرجل اليهودي المتفوق.

الرجل النقي الذي هو غاية في حد ذاته والذي خلق العالم من أجله. إذن فالبطل الصهيوني هو المحارب الذي يعتمر الخوذة ويمتشق السيف والدبابة ليجعل العالم من أجله. ولقد وضح «بيجن» أن عادة حمل السيف إنما هي عادة يهودية قديمة وليست ميزة صهيونية. وهذا الأمر يوضح أن التاريخ الصهيوني تاريخ عسكري ملفق استخدمت في تلفيقه براعة شيطانية لا يمكن إنكارها. فاليهود أكثر حشداً. والمفاجأة دائماً معهم رغم أن في التاريخ اليهودي لم توجد في أي حرب ولا في أي معركة ضمن هذه الحروب «مواجهة» بالمعنى الصحيح على هذه القاعدة سارت الصهيونية الأدبية فأصبحت القصائد التي تتضمن مفهوماً سياسياً في الشعر الصهيوني باستثناء ردة الفعل النفسية لا تخرج عن الأطر العامة التي حددتها المسيرة الصهيونية. فكلها سواء الصريحة منها أو الرمزية لا تتخلى عن الهدف الاستراتيجي. فكان يجب على البطل تنفيذ هذه الثوابت التي يطرحها «ديدي منوس» عندما جسد مبادئ «كامب ديفيد» في قصيدة «الفيبوية الساحرة»:

كذلك تذكر الأساطير
مجرى أحداث وأمور. وموالاف
دمر «بيت الملكة» قبل الإذن
رغم اليأس والبكاء
بكامب ديفيد تكمن الحياة
هناك «إذا لم تحكم الرغبة»
فسيفرض السلاح نفسه

موتية العربي مقابل الصهيوني

«يهودا بورلا» قاص صهيوني يظهر البطل في قصته «زوج في شعبه» مخلصاً لقضيته يقدم كل شيء من أجلها. يتخلى عن المكسب والمال في سبيل إنجاح مهمته «فلقد قبل جدعون المهمة المناطة به، شراء الأسلحة، دون نقاش، وقام بتنفيذها على أحسن وجه وحكمة». بينما يظهر لنا العربي غبياً يتراجع بسهولة أمام المغريات المادية. ومع أنه يعرف كما ذكر «بورلا» في قصته «أن السلاح سيصل إلى الهاجاناه». بورلا هنا يتفق مع «سمولنسكي» في قصته «في ظل البيارات» الذي أورد على لسان إحدى العائلات اليهودية التي تعيش في بيروت «إنك تستطيع شراء العرب بالمال. لأن المال عندهم هو كل شيء». وهنا تزوير حقيقي للتاريخ. ففرق كبير بين العربي في مروءته وبين اليهودي في جبنه وشحه القاتل. وليس غريباً ما أوضحته الآداب العالمية من هذا الأمر وأبرزها «قصة تاجر البندقية»!!

مفهوم البطولة عند الصهاينة

والبطولة عند الصهاينة قاعدة عريضة تمتد لتصل للأطفال أيضاً. فلقد برزت لهجة «السوبر طفل» الإسرائيلي. بكل صلفها ووقاحتها وعنفها واستخفافها في أعمال الكتاب الصهاينة «كرميلي، وعوديد، ووان سترنغ، وستمير». فكل أعمال هؤلاء تمجد بطل اليهود كبطل أسطوري. حتى كلاب اليهود أفضل من كلاب العرب. فالكلبة «غريته» توصل الورقة لمعسكر الجيش بل وتبلغ عن نشاط القوات السورية أي أن اليهودي يرى في الكلاب أفضلية على العرب ويرى هؤلاء الكتاب أن اليهود عندما يبدأون بإطلاق النار يصاب الجنود العرب بالهلع ويركنون إلى الفرار.

خاتمة

وهكذا يتضح لنا أن الاستيطان والاستيلاء على الأرض منذ البدايات الأولى للهجمة الصهيونية واكبتها حركة أدبية وفكرية نشطة تدعو لامتلاك الأرض محاولة تزوير التاريخ بأن هذه الأرض بدون سكان. وأن الصهاينة الرواد هم الذين عمروها بعد أن كانت مستنقعات وصحاري مليئة بالحشرات والأمراض. وما رواية شموئيل عجنون «بالأمس الأول» إلا صورة واضحة للصهيونية الأدبية المبكرة.

الاستيطان هذا وبالمفهوم الصهيوني لا حدود له. فهو قديم جديد ومتجدد تحكمه عوامل القوة واستغلال الظروف العالمية بما في ذلك الاتكاء على حليف قوي يمكن أيضاً استبداله في الوقت المناسب. وفي هذا المجال ها هي الصهيونية تعمل كل يوم على تهيئة الظروف الملائمة لابتلاع المزيد من الأرض عن طريق العدوان المتكرر هنا وهناك. وبمساندة الإمبريالية الأمريكية المعادية للأقطار العربية تمشياً مع السياسة الثابتة التي تقوم على فرض الأمر الواقع. وقد شكلت هذه الحملة الاستيطانية ذروة خطيرة لهذه السياسة التوسعية العدوانية دون أدنى اعتبار للمواثيق الدولية أو قرارات الأمم المتحدة التي تدين سياسة ضم الأراضي بالقوة.

على هذه القاعدة من الوعي الأيديولوجي السلبي. وظفت الصهيونية الأدب والفن لتمرير سياستها الاستيطانية ولخلق الجيل الإسرائيلي المشوه فكرياً بزرع الأفكار السامة والهدامة في عقله على أساس أن هذه الأرض للإسرائيليين فقط. ومن عليها من سكان من غير الإسرائيليين غرباء وبقايا مستعمر قديم. بل تطرقت الصهيونية الأدبية للشخصية العربية مبرزة إياها في أدنى مراحل الانحطاط البشري الجسماني والسلوكي. وكأن العرب من بقايا الحلقات المفقودة في كائنات علم التطور. فالعربي جاهل، سارق، جبان، سيئ، يشبه الخنزير في تناوله للطعام، دموي وقاتل، وغريب الملامح شعره أخضر وأشعث يحب القتل والنساء ويغتصب الأطفال. ورجل هذه صفاته الأجدر به أن يموت. هذه المفاهيم تزرعها الصهيونية في نفوس الأطفال كل يوم، وتحقن بها أفكارهم وعقولهم. وتشكل منهم بلدوزر الفعل العدواني القادم ضد العرب. بل وضد أنفسهم أيضاً.

الإعلانات في الشوارع مدينة ترحِّب بها وأخرى تحظرها

رانيا منير

تختلف الإعلانات في شوارع المدن والأماكن الخارجية عن غيرها لأسباب كثيرة تشمل توجهها إلى جمهور شبه محكوم بالاطلاع عليها ولا يستطيع تلافيها، وبالتالي تمتعها بفاعلية ترويجية قد تكون أكبر من غيرها من وسائل الإعلان. إضافة إلى أن حضورها الكبير والمتنامي في المدن الحديثة حوَّلها إلى قضية جمالية وبيئية تشغل المسؤولين عن البلديات وتنظيم المدن.

رانيا منير تعرض أوجه هذه القضية، والجهود المبذولة إلى ضبط عالم اللوحات الإعلانية الذي يبدو متجهاً باستمرار إلى مزيد من التضخم بفعل دوره الكبير في الحياة التجارية والاستهلاكية، حتى بات يشكل جزءاً أساسياً من نسيج المدينة الحديثة وشكلاً من أشكال الهوية المميزة لبعضها الآخر.

أصبح الإعلان اليوم ثقافةً وفناً وصناعة مستقلة، وتنوَّعت وسائله وأساليبه بين إعلانات الصحف والجرائد والسينما والتلفزيون والإعلانات الخارجية ومواقع الإنترنت، ولو ألقينا نظرة على تاريخ صناعة الإعلانات لوجدنا أنه فن قديم، إذ يعود تاريخ استخدام الإنسان للإعلان إلى أكثر من 4000 سنة قبل الميلاد.

فقد كان المصريون القدماء والإغريق والرومان يستخدمون ورق البردي للإعلان عن البضائع، كما وجدت رسوم جدارية تمثل دعاية تجارية في أجزاء من آسيا وإفريقيا وأمريكا. وكان بعض الصنَّاع يعلِّقون أدوات مصنوعة من الخشب أو الحديد فوق محلهم وترمز لطبيعة عملهم كالحداد الذي كان يعلِّق حدوة حصان وصانع الأحذية الذي يعلِّق حذاءً. بل إن الطبيعة نفسها من حولنا ترينا من مظاهرها ما يشير إلى وجود الإعلان فيما حولنا، إذ طالما كان الإعلان دائماً وسيلة الطبيعة للتواصل مع مخلوقاتها قبل أن يصبح وسيلة التجار للربح التجاري، فهي مثلاً تستخدم الرائحة واللون وتغير سلوك مخلوقاتها لتعلمنا بوصول الربيع، والطاووس يعلن عن نفسه ليجذب شريكه من خلال التباهي بريشه وألوانه الزاهية، وكذلك طائر الوقواق يعلن من خلال صوته تودده لشريكه.

كما كان الإعلان الخارجي لدى العرب قديماً يتمثل في شخصية المنادي الذي يستخدمه الأمراء والحكام للإعلان عن قراراتهم وما يودون إعلانه للشعب، ثم أصبح التجار يستخدمونه للإعلان عن وصول سفنهم وبضائعهم. وقد انتقلت هذه العادة للغرب، ولم يأخذ الإعلان شكله الحقيقي حتى بداية عصر الطباعة في القرن الخامس عشر والسادس عشر حيث أصبح على شكل منشورات توزَّع باليد. فظهر عام 1477 أول إعلان يهدف إلى زيادة مبيعات كتاب، وفي القرن السابع عشر بدأ ظهور الإعلان في الجرائد.

ظهور الإعلان الخارجي

لكن الحاجة الملحة للإعلان ظهرت مع بداية الثورة الصناعية، وتدفق كميات كبيرة من البضائع. فكان لا بد من الترويج لها وتعريف المستهلكين بها عن طريق الإعلان. فظهرت بالإضافة إلى إعلانات الجرائد والملصقات الجدارية، أشكال أخرى من الإعلان كبالونات الهيليوم، وكتابة الإعلان على القطار ووسائل النقل العامة.

ومع بداية عام 1820 زاد انتشار الدعاية في الشوارع، وبالتالي ارتفعت رسوم الضرائب المفروضة عليها، وازداد التنافس على مساحات الملصقات، مما جعل المعلنين يبحثون عن أفكار وطرق جديدة لجذب انتباه المارة. ففكروا بجعل الدعاية متنقلة، بأن يرفع شخص لوحة إعلانية ويتنقل بها في الشوارع أو أن يرتدي الشخص الذي يعمل كلوحة إعلانية ملابس غريبة تحمل الرسالة التي يعلن عنها. فقد ارتدى أحدهم قبعة أطول بثلاث مرات من القبعات المعتادة في ذلك الوقت وكتب عليها «زوج من الأحذية بـ 12 فرنكاً».

كما ظهر ما سمي بـ «سندويش اللوحة الإعلانية» وكانت عبارة عن قالب من الإعلان يلف الرجل به جسمه فيبدو فيه كسندويشة ليقرأ الناس الإعلان المكتوب حوله. وما زالت هذه الطريقة موجودة حتى الآن، فتجد الكثير من رجال الإعلان بزيهم الغريب يتنقلون في شوارع ويستمنستر حيث منعت اللوحات الإعلانية الكبيرة.

وهكذا بدأ الإعلان يُعد الوجه الآخر للنمو الاقتصادي، ويشكِّل دعماً كبيراً للاقتصاد الوطني بشرط ألا يكون مضللاً للمستهلك فيفقد صدقيته. وفي عام 1841 ظهرت أولى وكالة دعاية وإعلان في بوسطن، أسسها فولني بالمير. ومن ثم، ومع انتشار المحطات الإذاعية في أعوام 1920 أصبحت الإذاعة وسيلة إعلان وسرعان ما لحق بها التلفزيون في مطلع الأربعينيات.

خصوصية اللوحة الإعلانية

ومع بداية الستينيات من القرن العشرين، بدأت صناعة الإعلان تنحو منحى جديداً، إذ لم تعد الدعاية البسيطة المباشرة تكفي لإثارة انتباه المستهلكين، لهذا بدأ البحث عن أفضل المواهب والأفكار الإبداعية الجديدة. وأصبحت الدعاية فناً بحد ذاته، حيث تقوم شركات الإعلان بدراسة المنتج دراسة وافية وتصميم شعار له وعلامة تجارية خاصة به، وإعداد حملة إعلانية للترويج له. ففي إعلانات التلفزيون أو الراديو قد يتاح للمصمم مساحة تعبير أكبر في استخدام الصورة والصوت والحركة والألوان لجذب انتباه المستهلك، بينما في الإعلانات الخارجية فهي تُعد تحدياً حقيقياً لمصمم الإعلان حيث



لوحات دعائية في أحد شوارع نيويورك

إن المشاهد يكون متحركاً، وغالباً مستعجلاً. لذا يجب أن تكون الفكرة مختصرة ومقدّمة بشكل واضح يحقق التأثير المطلوب. ومن مميزات الإعلان الخارجي انخفاض تكلفته مقارنة ببقية أنواع الإعلان. وبهذا يتمكن أصحاب الشركات والأعمال المتوسطة والصغيرة من إيجاد فرص للإعلان من دون تكاليف باهظة.

وفضلاً عن أهمية الملصق التجارية، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفن الرسم. وكان من رواده وأساتذته في أوروبا جول دي شاريت وتولوز لوتريك اللذين كانا يرسمان الملصقات للمسرح والسيرك وأغلفة الكتب وعبوات زجاجات العطور. وكذلك قدم بابلو بيكاسو الكثير من الأعمال المميزة في فن الملصق حيث كان حوالي العام 1946 ولمدة عدة أشهر يتردد على شارع دي شابرول ويعمل يومياً كأي مصمم للطباعة الحجرية.

في الوقت الحاضر، انتشرت وكالات الإعلان المتخصصة، وراحت تتنافس في ابتكار الأفكار والوسائل الإعلانية الجديدة. فإضافة إلى الملصقات واللوحات الإعلانية تقوم بعض شركات الإعلان بتحويل شعار الشركة أو العلامة التجارية إلى تصميم ثلاثي الأبعاد على أي سطح كالأرضيات أو العشب في سهل أو حقل أو منحدر أو أرضية ملعب أو شاطئ البحر. وبعد نهاية الحملة يتم إزالة الإعلان دون أن يضر بالبيئة أو يترك أي أثر. وقد لاقى هذا النوع من الإعلانات رواجاً كبيراً لغرابة الفكرة وجاذبية التصميم، فقامت الصحف بنقل هذه الصور وانتشرت كذلك عبر الإنترنت من خلال هواتف المارة الذين كانوا يلتقطون الصور لها مما جعلها وسيلة فعالة تخلّف الدهشة والإثارة حول المنتج وتحقق له حملة إعلانية ناجحة.

السيطرة الكاملة على المشهد البصري للمدن

لا يتوقف الأمر على اللوحات الإعلانية ورسوم الجدران والأرضيات، بل إن تقنيات الدعاية المعاصرة جعلت من الممكن تحويل السيارات والقطارات والشاحنات والحافلات والطائرات إلى لوحات إعلانية متنقلة. وقد جاء في نشرة لإحدى شركات الإعلان تعرف بطبيعة عملها: هل تعتقد حقاً أن الأرصفة والشوارع وجدت فقط للمشي؟ وأن النوافذ وجدت فقط للنظر من خلالها؟ والأبنية وجدت فقط للعيش والعمل فيها؟ والشاحنات لنقل الحمولات فقط؟ وأن وسائل النقل العامة وجدت لنقل الركاب من مكان لآخر فقط؟».

وهذا ما يشير إلى أن ظاهرة الإعلانات اليوم باتت تغطي كل مكان، وأصبح من الصعب إيجاد أية مساحة فارغة لا تشغلها الإعلانات. بل إن عدم استغلال هذه المساحة أصبح يُعد نوعاً من السذاجة وإضاعة فرصة لتحقيق الربح. فهذه الوسائل، إضافة لوظيفتها الأساسية في نقل البضائع والركاب، باتت تحمل رسالة وتحقق مبيعات وأرباحاً.

لقد سيطر الإعلان تماماً على المشهد البصري لمدن العالم، وأصبح ظاهرة بصرية عالمية، لدرجة أننا قد لا نلاحظها أحياناً ولا نلتفت لها. في طوكيو مثلاً من الممكن جداً أن ترى شاحنات كبيرة من دون أية حمولة تتجوّل في المدينة بهدف عرض الإعلان الملصق على جانبيها فقط. كما تستهدف اللوحات الإعلانية والملصقات مواقف الحافلات ومحطات القطار باعتبارها الأماكن الوحيدة التي يقف الناس فيها من دون فعل شيء، سوى الانتظار. وبهذا يكون لديهم متسع من الوقت لقراءة الإعلان. لهذا تكون هذه الأماكن

مغطاة تماماً بالإعلانات، بل أصبح الإعلان يمثل شخصية بصرية لهذه الأماكن.

شروط اللوحة الإعلانية

يجب أن يتوافر في اللوحة الإعلانية عدة شروط لتتمكن من إيصال رسالتها للمتلقي، فهي موجهة إلى المستهلك المار في الشارع، وعليها أن تلفت انتباهه خلال بضع دقائق أو أثناء مروره على طريق عام أو شارع مزدحم، وتخلّف لديه انطباعاً قوياً يجعله يفكر بها، لهذا يجب أن تكون الكلمات واضحة وموجزة وألوانها متناسقة وأحياناً قد تغني الصورة المعبرة عن الكلمات، حتى إن «الحكمة» الغالبة على قلوب كثيرين وتقول «إن الصورة تُغني عن ألف كلمة» ظهرت أساساً من تقييم نوعية الإعلان على السيارات في أمريكا خلال النصف الأول من القرن العشرين.

كما يجب أن يراعى اختيار مكان اللوحة على الطريق، فلا توضع في اتجاه معاكس للمرور، وعلى التركيز على انتشارها في الطرق العامة الخالية أن يكون مفيداً للسائقين بحيث تدلهم على مراكز الطعام والوقود.

محاذير موضع خلاف

في أوروبا تُعد اللوحات الإعلانية عنصراً أساسياً يشكل المظهر العام للمدن ومصدر دخل مهم للبلديات والحكومات، وقد قدر الإنفاق على الإعلان عام 2007 بحوالي 150 مليار دولار في الولايات المتحدة الأمريكية، و385 مليار دولار في بقية أنحاء العالم، ففي أمريكا كان هناك ما يقارب 450000 لوحة إعلانية على الطرق العامة فقط في سنة 1991، وقد اشتكت بعض الجماعات من تلك اللوحات لما تسببه من إزالة مفرطة للأشجار وتتطفل على المناظر الطبيعية المحيطة، إضافة إلى ألوانها الصاخبة وإنارتها التي قد تشتت انتباه السائق مما يشكل خطراً على السلامة العامة، ولكن في المقابل، كان هناك جماعة أخرى ترى أن اللوحات الإعلانية تسهم بشكل كبير في تشكيل الثقافة الجمالية وتوفير شعور بالاكتمال والرضا لدى المستهلك من خلال ما توفره من بضائع وخدمات.

وقد بدأت منذ عام 1909 المحاولات في عدد من الولايات لوضع قوانين حظر وضبط لعملية انتشار اللوحات الإعلانية، وفي عام 1971 وضع قانون لحظر الإعلانات التي يمكن أن تهدّد السلامة المرورية وتشوّش انتباه السائق ولكن سرعان ما ألغي في عام 1981 لأنه يحظر اللوحات التجارية وغير التجارية على حد سواء.

ورغم الاتهامات الموجّهة إلى اللوحات الإعلانية، أثبتت دراسة قام بها باحثون في جامعة كارولينا عام 2001 أن بعض العناصر في السيارة كالإذاعة واللوحات الإعلانية والتحكم في درجة الحرارة لا تُعد من الأمور المشتّتة، كما قام خبراء السلامة المرورية بدراسة العلاقة بين وجود الإعلانات الخارجية والحوادث المرورية التي وقعت منذ عام 1950 فلم يجدوا أي دليل علمي موثوق يثبت أن لهذه اللوحات أية علاقة بالحوادث المرورية، إلا أنه تم التشكيك بمصداقية نتائج هذه الدراسات، واتهامها بالتحيز كونها ممولة من قبل وكالة الدعاية الخارجية الأمريكية.

ومن جهة ثانية تؤكد إحصاءات وزارة النقل وشركات التأمين في الولايات المتحدة التي تقوم بدراسة مفصلة لحوادث المرور عدم وجود أية علاقة بين الإعلانات والحوادث المرورية، بل على العكس، تُعد اللوحات الإعلانية في المناطق النائية مصدر إنارة وأمان لسائقي الدرّاجات، وتساعد على تبديد الملل لدى السائق، وبهذا تكون مساهمة في توفير المزيد من السلامة المرورية على الطرق العامة، ولهذا أعلنت وزارة الطرق العامة الفيدرالية أن اللوحات النظامية لا تشكّل أي خطر على السلامة المرورية، شرط أن تحدد معايير متفق عليها بين حكومات الولايات حول حجم وإضاءة ومساحة اللوحات الإعلانية المسموح بها، وتعيّن مناطق محددة لها، وتمنع الحكومة عن إزالة اللوحات المخالفة دون دفع تعويض للمالك.

ورغم وجود هذه المعايير والأنظمة التي تحد اللوحات الإعلانية النظامية إلا أن وجودها ما زال موضوع نقاش حاد من قبل خبراء سلامة الطرق حول العالم، وكمحاولة من بعض المدن للحد من التلوث البصري الذي يمكن أن يسببه الانتشار الكبير للإعلانات، قامت مدينة أثينا في عام 2000 بحملة استمرت سنوات أربع لإزالة اللوحات الإعلانية التي كانت تغطي تماماً سطوح المنازل والأبنية وتشوه المعالم الهندسية المميزة فيها، وكانت تُعد مخالفة للقوانين ولكن تم تجاهلها، إلى أن بدأ التحضير لأولمبياد صيف 2004، فكانت هذه الحملة الناجحة من ضمن التحضيرات لتجميل المدينة وتحسين مظهرها أمام السياح القادمين لحضور الألعاب الأولمبية رغم اعتراض المعلنين ومالكي الأبنية.

أما في مدينة سان باولو في البرازيل، فقد فرض عام 2007 حظر للوحات الإعلانية لعدم وجود نظام قابل للتطبيق يخص صناعة اللوحات الإعلانية، ويتم العمل حالياً مع شركات خارجية لإعادة بناء الهيكل العام الخارجي للمدينة، ووضع القيود والضوابط التي تنظم هذه اللوحات، وتحد من نموها العشوائي.

وفي بريطانيا يتم ضبط انتشار اللوحات الإعلانية كجزء من نظام التخطيط، ويُعد وجود أي إعلان مخالف لم يحصل على موافقة من سلطة التخطيط مخالفة للقانون يدفع مرتكبها غرامة تقدر بـ 2500 جنيه لكل ملصق، وكذلك الحال في مدينة تورنتو في كندا حيث فرضت ضريبة محلية على لوحات الإعلان في أبريل


لوحة دعائية عبارة عن حارس مرمى يتصدى للكرة

2010 يذهب جزء منها لتمويل برامج الفنون الجميلة.

بينما ما زالت المدن العربية تعاني من فوضى الإعلانات التجارية وعشوائية اللوحات الإعلانية والملصقات، التي تسبّب تلوثاً بصرياً شديداً يتمثل في غياب التوحيد والانسجام للافتات أسماء الشوارع والعناوين بالمدينة، وتداخل الإعلانات التجارية والاحتفالية والإرشادية، وفقدان الرسالة الإعلامية الخبرية، مع حجب الرؤية البصرية للمعالم التاريخية أو المعمارية أو الجمالية، وإهمال تجديدها والعناية بنظافتها وسلامتها، وتجاهل إزالة بعض اللوحات والبانرات والإعلانات عن أوجه نشاط واحتفاليات قامت بها مدينة ما وقد تمر شهور على نهاية هذه الاحتفاليات دون أن تزال هذه الإعلانات المنتهية الصلاحية، مما يسبب فوضى وتلوثاً بصرياً وتشويهاً للوجه الجمالي للمدينة.

ففي سوريا مثلاً ولمناسبة احتفالية دمشق عاصمة للثقافة العربية أزيلت 100000 لوحة إعلانية من شوارع دمشق القديمة. إلا أنه لا يزال هناك الكثير من المخالفات والتشويه لوجه المدينة ومعالمها الأثرية.

وقد حاول مدير الإعلانات بالمؤسسة العربية للإعلان تبرير ذلك قائلاً: «رغم معرفتنا بأن اللوحات الإعلانية الموجودة في دمشق تسهم في التلوث البصري وبالتالي عدم إظهار جمالية المدينة وتشويه معالمها، إلا أننا لا نستطيع منعها. فالإعلان حاجة اقتصادية لا أحد يستطيع الاستغناء عنها، لا المستهلك ولا المنتج. ولمعالجة هذه الظاهرة سمحنا فقط بوضع لوحات ذات خصائص فنية عالية، وذلك على أساس معايير حددتها اللجان الإعلانية المشكّلة من فنانين تشكيليين وأعضاء من محافظة دمشق والمتمثلة في وضع معيار جمالي يحقق السلامة العامة. فمثلاً يجب ألاّ تعوق اللوحات السير أو المشاة أو تؤدي إلى حوادث. ولذلك قمنا بإزالة أعداد كبيرة منها على الطرقات العامة، وأبقينا تلك التي تتمتع بالمظهر الجمالي والقيمة الفنية العالية. أما في مراكز المدينة مثل الصالحية وشارع العابد، فقد عوضنا عن اللوحات بأخرى وضعت على الأرصفة للدلالة. وقمنا بحملات إعلانية في التلفزيون والجرائد والإذاعات لتوعية الناس من مضار هذا التلوث، وفرضنا غرامات على أصحاب اللوحات الإعلانية المبعثرة عشوائياً. ولم يكن القصد من الغرامة هو العقوبة، بل تنبيه الناس إلى أن ما يفعلونه هو من المحرمات القانونية لما له من أضرار على البلاد».

وفي الأردن، ورغم المطالبة بإزالة اللافتات الإعلانية التي تغطي البنايات والجدران وتشوه جمال عمّان، فإن الشركات الإعلانية رفضت إزالتها بحجة أن ذلك يسبب خسائر فادحة لها، وأن التطورات الاقتصادية التي تشهدها المملكة تفرض وجود هذه الإعلانات.

أما في المملكة، فيُعد الوضع أفضل حالاً مما هو عليه في معظم البلدان العربية. ففي الرياض مثلاً تمت إزالة اللوحات الإعلانية التي تسبب تلوثاً بصرياً وتُعد مخالفة أو غير مطابقة للمواصفات التي أعدتها وزارة الشؤون البلدية والقروية. كما تُعد مدينة الخبر حالة نموذجية لواحد من أكثر أشكال توزيع اللوحات الإعلانية تنظيماً. إذ إن معظمها يحتل مساحات مؤطرة وموحدة على أعمدة الإنارة في الشوارع الكبرى ذات مساحة معقولة، تسمح بفعل تكرارها بإيصال رسالتها إلى المارة في الشوارع وذات مقاييس معتدلة لا تعوق أنظار السائقين ولا مشاهدة معالم الشوارع. في حين أن اللوحات الإعلانية العملاقة تأخذ شكل أسوار تحيط بالأراضي غير المبنية فلا تحجب رؤية أي شيء يستحق الرؤية. أما المشكلة الوحيدة التي يواجهها بعض هذه اللوحات، وخاصة تلك المتعلّقة بمناسبات محددة، فهي بقاؤها طويلاً في الشوارع بعد المناسبة وكأنها منسية، أو كأن من علّقها غير مسؤول عن نزعها بعد انتهاء المناسبة.

وحال اللوحات الإعلانية في مدن المملكة هو نفسه بتنظيمه وإيجابياته وسلبياته المحدودة ينطبق على حالها في معظم دول الجوار الخليجي، حيث بلغ التنظيم المدني مكانة مهمة، ويحظى باهتمام كبير من المسؤولين عن البلديات.

وفي مصر، تحوّلت القاهرة إلى معرض دائم للوحات الإعلان والملصقات. لهذا عمل المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية العمرانية على وضع أسس ومعايير التنسيق الحضاري للإعلانات واللافتات لعام 2008 بما يحقق المتطلبات المرورية والعمرانية والبصرية. وتشمل الأهداف العامة للدليل الأسس التالية: «تصحيح الصورة البصرية والمحافظة على جماليات المدينة، وضع أسس وقواعد تقنن علاقة الإعلانات واللافتات بحرم الطريق والمجال العمراني المباشر له، تحديد المسافات البينية للإعلانات واللافتات باختلاف أنواعها ورسالتها الإعلانية أو الإرشادية أو التوجيهية، تحديد مواضع الإعلانات واللافتات في حرم الطريق ومجاله والبيئة المحيطة، وضع القواعد المعيارية لمقاسات وأحجام وأشكال كافة الإعلانات واللافتات، وزوايا الرؤية واتجاهات الحركة الآلية والمشاة، تحقيق السلامة منعاً للحوادث والمخاطر الممكنة، ضمان توافق تصميم الإعلانات واللافتات مع البيئة العمرانية، وضع الاشتراطات المنظمة لنوعية ومستويات الإعلانات واللافتات، وضع ضوابط لعدم نمو عشوائيات الإعلانات واللافتات في المدن، وما ينتج عنها من تلوث بصري وجمالي وعمراني للبيئة». ولكن رغم هذا، وربما لتراخٍ في تطبيق هذا الدليل، ما زالت القاهرة تعج باللوحات الإعلانية، وبشكل لا يختلف كثيراً عما كان عليه الحال قبله.

حالة قصوى

وتتجلى مظاهر قضية اللوحات الإعلانية بأوضح صورها، وبكل سلبياتها وإيجابياتها في أماكن محددة أكثر من غيرها، ومنها لبنان مثلاً. ففي بيروت وعلى طول الطريق السريع الواصل ما بين العاصمة والمدن الرئيسة، تبدو جنبات الطريق وكأنها غابة من الصور العملاقة التي يختلط فيها كل شيء بدءاً من الترويج للملابس والعطور والجواهر وصولاً إلى الدعاية السياسية للانتخابات وتكريم الشهداء.

وعلى الرغم من الجهود الموسمية التي تبذلها الحكومة والبلديات لضبط هذه الصناعة الضخمة، والتي تسفر عن إزالة بعض هذه اللوحات من حين إلى آخر، فإن أضعافها يقوم لاحقاً مستفيداً إما من لي ذراع القانون وتفسيراته، وإما من طغيان اهتمام عام بقضية أخرى غير قضية الإعلانات في الشوارع. بحيث استباح المعلنون كل أعمدة الإنارة على طولها، وجدران الأبنية المجاورة وكل مساحة غير مبنية يمكنهم أن ينصبوا فوقها لوحة معدنية تؤجّر للمعلنين المختلفين تباعاً.

وعلى الرغم من عدم توافر أرقام دقيقة عن حجم صناعة الإعلان في لبنان، فمن المرجح أنها ضخمة جداً، وعلى الأرجح هي الأكبر عربياً مقارنة بعدد السكان، وبإجمالي الناتج الوطني. ومن ثمار ازدهار هذه الصناعة التي يعمل فيها الألوف من المصممين والعمال والموزعين (غير المنتج والمستهلك) هو بلوغ فن التصميم فيها مستوىً رفيعاً، بات ينتزع اعتراف الجميع بجدواه. حتى أن العقد الأخير شهد تحول الإعلان السياسي من عهدة الأحزاب إلى عهدة وكالات



ساحة تايم سكوير في نيويورك تعج بإعلانات الميديا والطباعة

التصميم التي صارت تتبع الملصقات الانتخابية وشعارات الأحزاب وملصقات المناسبات.

ختاماً، أصبح مظهر المدن اليوم محكوماً بالطريقة التي تسوق من خلالها لنفسها الثقافة التجارية السائدة. وعلى المسؤولين عن المدن أن يتمكنوا من ضبط عملية انتشار هذه الإعلانات وتنظيمها والنهوض بها إلى مستوى جمالي يرتقي بذائقة المشاهد ويحسن من مظهر المدينة بدل تشويهها. فالإعلان الخارجي أخطر من إعلان التلفاز أو الصحف، إذ يمكنك ألاّ تشاهد الأول أو أن لا تقرأ الثاني، بينما لا يمكنك تجاهل الإعلان الخارجي الذي يفرض وجوده شئت أم أبيت.

هل هناك قاعدة عامة يمكن فرض تطبيقها أن يؤسس إلى تقييم دقيق للإعلانات في الشوارع، فيساعد على التخلص من سلبياتها ويبقي على إيجابياتها؟

لو أخذنا حالة العاصمة اليونانية أثينا التي ورد ذكرها في متن هذا المقال، وحيث توجب إزالة مئة ألف لوحة إعلانية لتحسين مظهر المدينة عشية الألعاب الأولمبية، لوجدنا أن كثرة هذه الإعلانات كانت سلبية، وتشوّه منظر المدينة ومعالمها الأثرية والتاريخية. ولكن ماذا لو أزلنا مئة ألف لوحة إعلانية من مدينة لاس فيغاس الأمريكية؟ هل سيبقى منها ما يميزها كثيراً عن صحراء نيفادا المحيطة بها؟ ونحن نعرف أن صخب هذه اللوحات بأضوائها التي لا تعد ولا تحصى بات يشكّل البطاقة البريدية السياحية لهذه المدينة، تماماً كما تشكّل صور الإعلانات الضخمة هوية «تايمز سكوير» في نيويورك ورمزاً للمدينة بأسرها.

مما لا شك فيه أن الإعلانات في الشوارع سواءً أكانت ملصقات ورقية أم مضيئة أم رقمية على شاشات عملاقة باتت جزءاً من نسيج المدينة الحديثة. ولو قارناها بالحدائق العامة (التي هي من نسيج المدن نفسها) لوجدنا أن هذه الأخيرة تقام بجهد كبير كواجب وكضرورة، في حين أن الإعلانات تفرض نفسها فرضاً لدواعٍ اقتصادية وتجارية وأيضاً ثقافية واجتماعية. وتميل إلى إعادة الظهور والنمو حتى ولو تم اقتلاعها من مكان ما، ولأحياناً لبعض الوقت فقط.. فالمسألة إذن لا تخضع لقاعدة عامة، وتبقى مرتبطة بحالة كل مدينة على حدة، بخصوصيتها العمرانية وتخطيطها واهتمامات سكانها وغير ذلك.. وفي الحالة اللبنانية التي أشير إليها في متن المقال، يمكن القول إن كثرة الإعلانات في الشوارع، رغم سلبياتها الكثيرة التي نواجه بالنقد، باتت تشكّل جزءاً من معالم المدن والمساحات والطرق الواصلة ما بينها، ولهذا يمكن للبعض، وخاصة السياح أن يتطلعوا إليها باهتمام، وربما بشيء من الإعجاب أيضاً.

أما النقطة الثانية التي تستدعي التوقف أمامها فتتعلق بمحتوى اللوحة، فهذا المحتوى موجه إلى الجمهور العام، أي إلى كل شرائح المجتمع، ومثل هذا التوجه يفرض مستوى عالياً من الجدية في التعامل مع اللوحة عند إنتاجها.

صحيح أن الكل يعلم أهمية العناصر التصميمية، ولكن قلة تنتبه إلى أن خطأ بسيطاً في التعبير النصي أو التصويري يمكنه أن يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً، فيثير النقد والسخرية والنفور مما يفترض للإعلان أن يروج له. أما سباق الفنانين إلى التميز عن نظرائهم، واعتبارهم أن كل الوسائل مقبولة طالما أن الغاية هي لفت النظر، فيمكنها أن تؤدي إلى الوقوع في فخ الفشل نفسه. ففي أمريكا تعرّض معلنون للمقاضاة لأن إعلاناتهم كانت تتضمن تلميحات ذات طابع عنصري مثلاً، وفي لبنان أيضاً، تصدّى رجال الدين والمسؤولون أكثر من مرة لإعلانات مسيئة إلى الآداب العامة.

وكما هو الحال بالنسبة إلى كل إعلان ووجوب تقييمه على حدة، فإن حال مجموعة الإعلانات في مدينة ما، لا تقيّم إلا وفق شخصية هذه المدينة وهويتها.

الكتب العشرة الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية ؛

التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم.

الكتب العشرة الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية !

التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم، لم يظهر بين يوم وليلة .. إنما جاء من تراكم هائل للخبرات والمعلومات والرؤى والنظريات والأبحاث، التي توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل .. وقرناً بعد قرن ..

في هذه المقالة ، نستعرض معاً الكتب العشرة الذي أثرت في تاريخ (البشرية) بشكل كامل .. نتحدث هنا عن الأصول .. أمهات الكُتب كما يُسميها البعض، التي ارتكزت عليها الحضارة الإنسانية، وقامت بالبناء عليها والتطوير فيها ، حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن..

هذه الكُتب العشر ليست من اختياري أنا طبعاً .. بل هي نتيجة إجماع عدد من كبار المُفكرين والعلماء على عدد مُعين من الكتب، اعتبروها أصل العلوم الإنسانية والطبيعية والتقدمية، التي نستخلص منها البشرية دائماً وحي التجربة الأولى ..

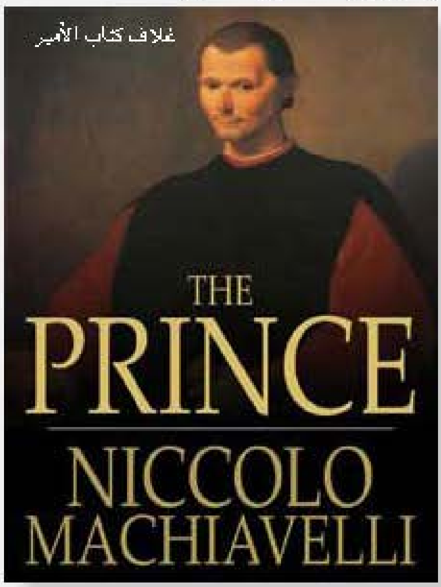
باختصار .. هي العشرة كتب الأساسية – غير الكتب السماوية – التي لو لم تكُن قد وجدت .. بالتأكيد لم تكن لنعيش بالطريقة التي نعيشها الآن !

الكتاب الأول: الأمير - ميكيافيللي

هذا الكتاب من أكثر الكتب ذائعة الصيت والتأثير في الوعي الإنساني، خاصة إذا تعلق الأمر بالنظام السياسي والإداري وشؤون الحُكم ..

وعلى الرغم من سُمعته السيئة لدى الكثيرين من الناس بمُختلف ثقافاتهم، خصوصاً مبدأ (الغاية تُبرر الوسيلة) التي أسسها ميكيافيللي، والتي أصبحت مُرادفاً للانتهازية على مر العصور .. إلا أنه يبقى تراثاً إنسانياً أحدث نقلة هائلة في نُظم الإدارة والحكم وتأسيس الدول ..

الكتاب تم تأليفه في العام 1513، وصدرت طبعته الأولى في العام 1532، أي في فترة القرون الوسطى المتأخرة .. وكان ميكيافيللي يهدف من خلاله نقل خبراته السياسية في الإدارة والحكم إلى الأمير (لورنزو دي ميديتشي) ، ليعلمه كيف يصل إلى السلطة ويحتفظ بها..



غلاف كتاب الأمير

فيما بعد تم الاعتماد على على هذا الكتاب بشكل كبير من قبل الدول الأوروبية في أساليب الحُكم والإدارة، ولا يُمكن لأحد إلى يومنا هذا – حتى مُنتقدي الكتاب – أن يُنكر دور ما جاء فيه من نصائح وتوجيهات في مُنتهى الدهاء والذكاء السياسي، ملازال حتى اليوم بعض الساسة ينتهجون هذه القواعد، وتؤتى ثمارها على أفضل نحو ممكن !

الأمير .. كتاب غيّر نظم الحُكم والسياسة في العالم أجمع بلا شك ..

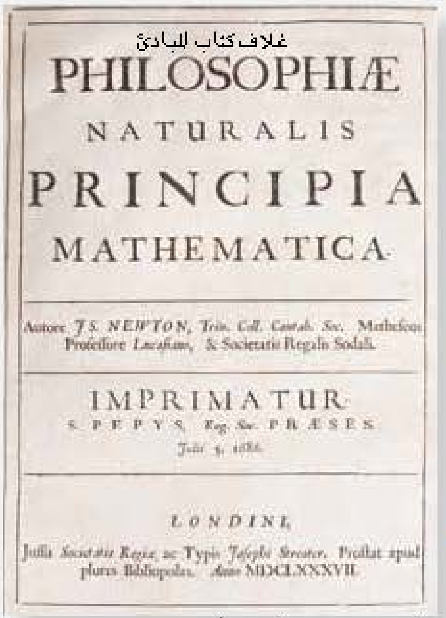
غيّرها إلى الأفضل أو الأسوأ .. هذا الحُكم متروك لك أنت !

الكتاب الثاني: المبادئ – إسحاق نيوتن

هذا الكتاب تم الاتفاق عليه أنه من أعظم الكتب التي أثارت تاريخ البشرية على الإطلاق، ويُعتبر هو النواة الأولى للطفرة العلمية الفيزيائية والرياضية، التي اعتمد عليها سائر العلماء والفيزيائيين والرياضيين في كافة اكتشافاتهم ولختراعاتهم العلمية إلى يومنا هذا..

(المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) للسير إسحاق نيوتن .. واحد من أعظم شخصيات التاريخ الإنساني، واعتبره البعض زينة للجنس البشري .. حتى أن كتاب (أعظم 100 شخصية في التاريخ) وضعه في المرتبة الثانية مباشرة، بعد الرسول العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم !

نيوتن كتب هذا الكتاب باللغة اللاتينية حتى يتجنب الجدال العقيم مع غير المُتخصصين –



غلاف كتاب المبادئ

لأنه كان ضيق الأفق جداً ! – ، وهو الكتاب الذي وضع فيه قوانين الحركة الثلاثة الشهيرة التي يعرفها اليوم طلابنا في المدارس الثانوية، والتي استطاع من خلالها تفسير كل ما هو معروف عن الحركة في الكون، وتحليل الظواهر الميكانيكية الطبيعية تحليلاً مُتناهياً في الدقة !

هذا الكتاب العبقري جعل عدداً كبيراً من العلماء – من الذين عاصروه والذين جاؤوا بعده – يتذمرون من نيوتن لأنه لم يترك لهم شيئاً يشتغلون به ! حتى إن أحد العلماء الفرنسيين الكبار (بيير دو لابلاس) قال عنه:

«إن نيوتن كان محظوظاً مرتين .. المرة الأولى لأنه كان يملك قدرة هائلة لاكتشاف أساس الكون فيزيائياً .. والمرة الثانية لأنه لا يُمكن أن يكون له منافس أبداً .. لأنه لا يوجد سوى كون واحد فقط يُمكن اكتشافه»!

الكتاب الثالث: النسبية – ألبرت أينشتاين

النظرية التي سمع عنها الجميع تقريباً، ولا يوجد أحد في العالم – مهما كانت ميوله الثقافية – لم يسمع عنها .. ولكن أغلب من سمعوا عنها لا يفهمونها !

ولكن فهم الفكرة العامة لها كاف جداً للغير متخصصين طبعاً..

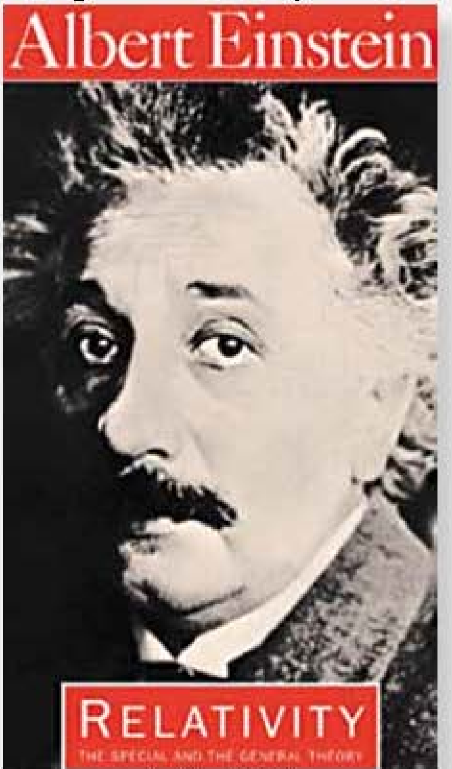
نشر العبقري أينشتاين بحثه عن النظرية النسبية العامة في العام 1916، بعد عشر سنوات كاملة من التفكير والبحث .. فتوصل من خلال نظريته تلك إلى العلاقات الأساسية للكون وقام

بربطها ببعضها البعض ..

النظرية النسبية هي باختصار شديد واحدة من أهم وأبدع النظريات التي توصل لها الإنسان من خلال عقل ألبرت أينشتاين . الذي كان غريب الأطوار جداً كما يعرف الجميع. وكما نرى في الصورة ! .. ولكن – عادة – ما يكون غريبو الأطوار هم العباقرة الذين يُساهمون في نقل البشرية جمعاء إلى الأمام..

المكان بأبعاده الثلاثة .. والزمان كبعد رابع .. ومركب (الزمكان) المُرتبط مع سرعة الضوء .. وهدم نظريات تقليدية، وإطلاق الحياة في نظريات أخرى كان يعتبرها الجميع نظريات خاطئة وفاشلة !

كل هذه المُتع العلمية – المُعقدة طبعاً – تجدها في كتاب لواحد من أعظم العباقرة الذين أنجبتهم البشرية على الإطلاق .. ألبرت أينشتاين !



غلاف كتاب النسبية

الكتاب الرابع: أصل الأنواع – تشارلز داروين

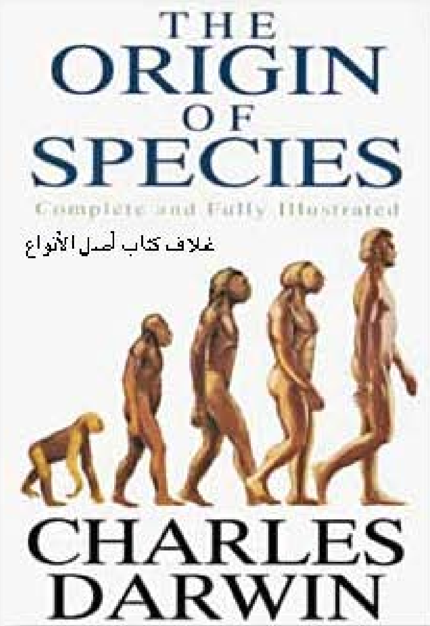
هذا الكتاب تحديداً ، يعتبر من أكثر الكتب التي أحدثت ضجة هائلة في عصره، استمر تأثيرها حتى يومنا هذا، ربما لاصطدامها جزئياً بالموروثات الدينية ..

(أصل الأنواع) الكتاب الشهير الذي ألفه العالم داروين في العام 1859، يعتبر – بعيداً عن النقاط المثيرة للجدل – أحد أبرز الأعمال التي أثرت في علم الأحياء التطوري بشكل هائل، فضلاً عن كونها حجر الأساس للعقلية الأوروبية البحثية والفلسفية، والتي امتدت حتى يومنا هذا..

وصف أحد كبار العلماء – توماس كون – نظرية التطور بأنها نموذجاً للثورة العلمية الحديثة؛ لأنها في نظره ليست مُجرد نقلة علمية تقنية شهدها العالم، بقدر كونها تأصيلاً لمنهج جديد في التفكير، وتغييراً جذرياً في العديد من المفاهيم العلمية والإنسانية والفلسفية والوجودية..

لذلك، صنف العديد من علماء العصر الحديث كتاب (أصل الأنواع) الذي استعرض فيه داروين نظريته للتطور، بأنه في أهميته يعتبر رأساً برأس مع كتاب نيوتن (المبادئ) .. بل واعتبر البعض نظرية التطور أكثر أهمية من النظرية النسبية لألبرت أينشتاين، لأنها جمعت بين القفزة العلمية من ناحية، ونظرة الإنسان إلى هويته من ناحية أخرى..

نظرية التطور – بلا شك – أحد أهم وأعقد النظريات المُثيرة للجدل، والتي – سواءً قبلتها أو رفضتها – لا يُمكن أبداً تجنبها أو تنحيتها جانباً، لما جاءت به من أدلة وبراهين علمية ومنطقية دقيقة..



غلاف كتاب أصل الأنواع

الكتاب الخامس: كفاحي – أدولف هتلر !

كتاب غني عن التعريف طبعاً ، ألفه الديكتاتور الألماني الأشهر في تاريخ البشرية أدولف هتلر وهو في السجن، ونُشر في العامين 1925 و1926 .. وهو عبارة عن خليط مجنون من خطط هتلر الطموحة، وسياساته التوسعية ونظراته السياسية ، فضلاً عن سيرته الذاتية..

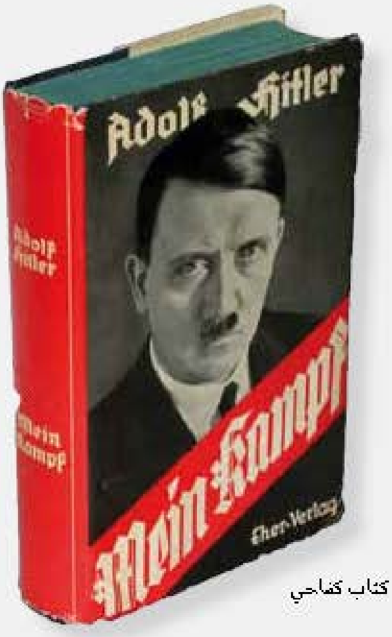
الكتاب كان عنوانه الأصلي الذي اختاره هتلر له هو: (أربع سنوات ونصف من الكفاح ضد الأكاذيب والغباء والجبن)، إلا أن الناشر اقترح عليه تسميته (كفاحي) كعنوان أفضل للكتاب .. وهو ما كان ..

وقد اعترف الكثير من الساسة الأوروبيين أنهم كانوا في منتهى الحماقة والغباء لأنهم لم يقرؤوا هذا الكتاب، أو لم يقرؤوه بالجدية اللازمة، لأنهم أدركوا فيما بعد أن الكتاب ببساطة كان يضم كل خطط هتلر ورؤيته السياسية والإستراتيجية، والتي نفذها حرفياً خلال الحرب العالمية الثانية !

زعامة تقترب من التأليه .. سُلطة مُطلقة .. إرادة ذاتية بمثابة قوانين للحزب الحاكم والدولة .. نظرة سياسية دكتاتورية شمولية كاملة .. عنصرية .. عرقية .. السيادة للأقوى .. حق القوة وليس قوة الحق!

هذه هي أفكار هتلر المجنونة التي وضعها على الورق في كتابه الشهير .. والتي نفذها على أرض الواقع بعدها بعدة سنوات..

والمحصلة: أكثر من 60 مليون قتيل في أعنف حرب شهدها التاريخ الإنساني .. أي حوالي 2.5 % من إجمالي تعداد السكان العالمي وقتها !



كتاب كفاحي

الكتاب السادس: ثروة الأمم – آدم سميث

كتاب حمل نواة الفكر الاقتصادي الرأسمالي العالمي، الذي استطاع تغيير النظريات الاقتصادية التقليدية إلى مفاهيم الاقتصاد الحر..

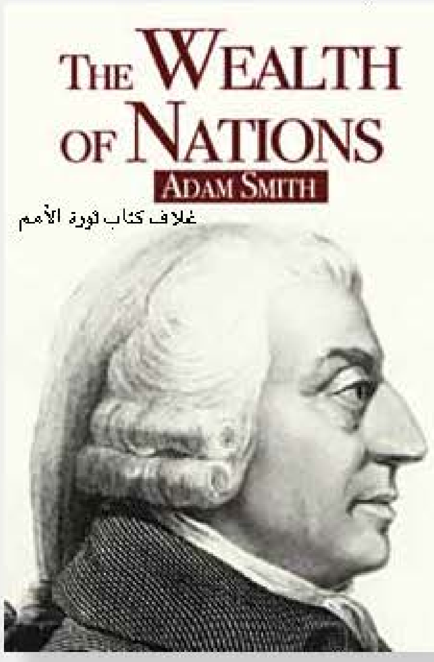
الكتاب يستحيل ألا يتعرف عليه أي مُهتم بعلم الاقتصاد، لأنه ببساطة شديد أبو الاقتصاد الحديث بالمعنى الحالي العصري، وأحد الأسس الرئيسية التي قام عليها الاقتصاد الليبرالي

العالمي المعاصر..

آدم سميث الاقتصادي الاسكتلندي البارز، الذي عاش في القرن الثامن عشر، اعتبر أن ثروة الأمم تُقاس بقدراتها الإنتاجية في الأساس الأول، وأن الإنتاجية – كمقياس للثروة – يُمكن مضاعفتها بتقسيم العمل – على عكس الموارد الطبيعية..

نظرية سميث تطرقت بشكل موسع إلى توزيع الثروات على المجتمع، ووسائل تنظيم التجارة وتقسيم العمل، فضلاً عن نظرياته في حرية السوق، والعلاقة بين السوق وتنظيم العمل ودور الدولة، وطرق دفع الحركة الاقتصادية وتشجيع الاستثمار، وغيرها..

ثروة الأمم .. كتاب قامت على أفكاره نظم اقتصادية كاملة، تطورت تدريجياً حتى وصلنا إلى معاني الاقتصاد العالمي والرأسمالية والاقتصاديات الحرة والعولمة، وغيرها من المفاهيم المترابطة ..



غلاف كتاب ثروة الأمم

الكتاب السابع: رأس المال – كارل ماركس

أحدث هذا الكتاب ثورة عقلية واقتصادية واجتماعية كبيرة جداً، أدت لانشقاقات عقائدية وحروب باردة طالت نحو نصف قرن من الزمان .. وتحول اسم مؤلفه (كارل ماركس) إلى مذهب سياسي واجتماعي واقتصادي وديني هو (الماركسية)!

الكتاب يعرفه الكثيرون .. ولكن قليلون جداً هم من قرؤوه..

الكاتب الألماني العظيم، الذي عاش في القرن التاسع عشر، تناول في كتابه هذا العلاقة بين المنازعات الاجتماعية والإنتاج الرأسمالي، ورؤيته لمعنى التطور الصناعي للبلدان، وتحليل البضائع، والاقتصاديات السياسية لرأس المال، وقوى البيع والشراء، والعديد من المفاهيم السياسية والمجتمعية والدينية والاقتصادية..

يجب أن أقول أن الكتاب مُعقد جداً على إفهام الكثيرين، ويجب أن يكون لدى القارئ الصبر والحس النقدي والتحليلي الذي يؤهله لقراءة هذا التصورات..

الكتاب ضخم فعلاً، ويتألف من 9 مجلدات! ..

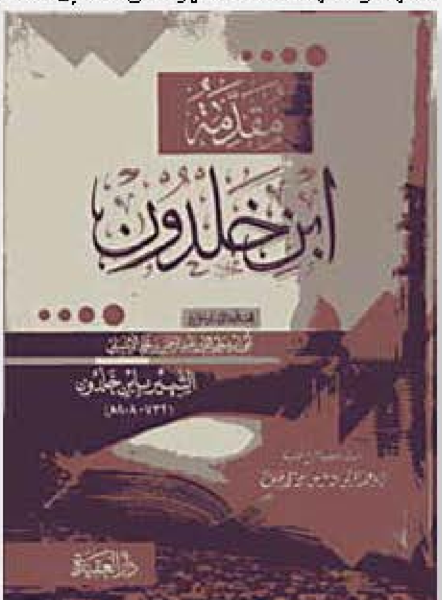


كتاب رأس المال

الكتاب الثامن: المقدمة – ابن خلدون

هذا الكتاب الذي مازال حتى يومنا هذا رمزاً لعبقرية الحضارة العربية الإسلامية، والذي يحمل في طياته تأصيلاً مباشراً لعلم الاجتماع أو السوسيولوجيا، وأتى فيها بما لم يستطع أحد من قبله أن يأتي بمثله..

ابن خلدون العالم العربي المُسلم، الذي كان – كأغلب العلماء العرب المسلمين – موسوعة علمية وثقافية متنقلة تسير على قدمين؛ فقد كان فلكياً واقتصادياً ومؤرخاً واستراتيجياً وعالماً للرياضيات وفيلسوفاً .. ولكنه اشتهر أكثر بكونه مؤسس علم الاجتماع..



غلاف كتاب مقدمة ابن خلدون

مُقدمة ابن خلدون جعلت الكثيرين ممن جاؤوا بعده يجدون صعوبة بالغة في الزيادة على ما وصل إليه في كتابه القيّم .. لهذا السبب – وغيره – يحتفي به العالم أجمع احتفاءً شديداً حتى يومنا هذا..

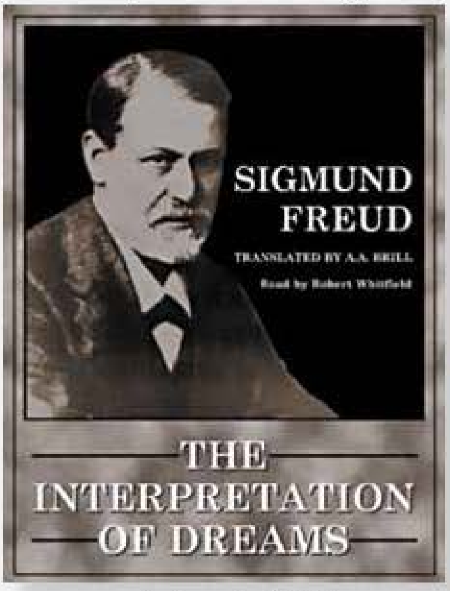
الكتاب التاسع: تفسير الأحلام – سيجموند فرويد

الكتاب الذي يُعتبر التنظير العلمي الأساسي والأشهر في علم النفس، نظراً لشهرة ومكانة مؤلفه الطبيب سيجموند فرويد بين علماء عصره..

وضع فرويد في كتابه (تفسير الأحلام) العديد من النظريات النفسية، التي تُعد الآن مرجعاً رئيسياً لكل المشتغلين في الطب النفسي أو المجالات ذات الصلة بعلم النفس، والتي حاول من خلالها الوصول إلى تفسيرات علمية قاطعة لماهيّة الأحلام وكيفية تفسيرها نفسياً..

الكتاب مليء بالمُفردات العلمية النفسية المُعقدة التي تُساهم هي ذاتها في جلب كل الأمراض النفسية الممكنة إليك أثناء القراءة! .. فضلاً عن كون الرجل مُقتنعاً تماماً أن (الجنس) هو السبب الرئيسي في كل المشاكل النفسية التي يُعاني منها الإنسان!

كتاب (تفسير الأحلام) لسيجموند فرويد .. كتاب أضاف الكثير جداً – بلا شك – لعلم النفس الإنساني، بشكل يجعله – عن جدارة – واحداً من أكثر الكُتب تأثيراً في تطور البشر ..



غلاف كتاب تفسير الأحلام

الكتاب العاشر: دورة الأفلاك السماوية – كوبرنيكوس

مثل هذا الكتاب بداية الانقلاب الكامل على النظريات الفلكية التقليدية، التي كانت سائدة في ذلك الوقت، بأن الأرض هي مركز الكون، وأن الأجرام السماوية بما فيها الشمس هي التي تدور حول الأرض..

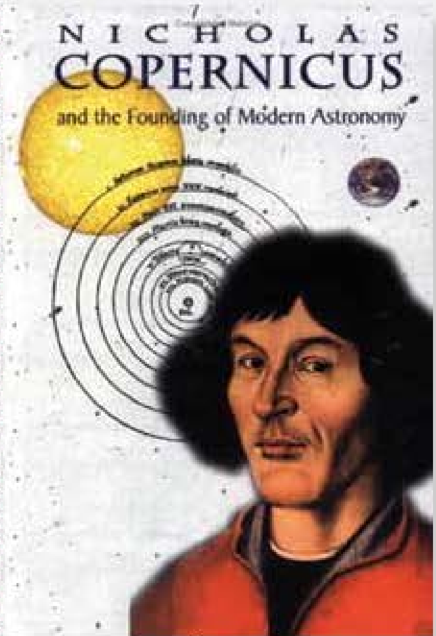
كوبرنيكوس أحد أهم وأعظم العقول البشرية، التي ساهمت في إطلاق علم الفلك بمنظوره الحديث، عندما أثبت أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية، وان الأرض والكواكب الأخرى هي التي تدور حولها، وليس العكس..

اصطدم طبعاً كوبرنيكوس بطرحه هذا مع العقل الجمعي الرجعي الذي كان سائداً في أوروبا هذه الفترة من القرن السادس عشر، فضلاً عن الاتهامات بالزندقة والتكفير والتشكيك في المسيحية، وغيرها من الاتهامات التي كانت سائدة وقتئذ في أوروبا..

من قرأ الكتاب علّق عليه أنه متعة حقيقية عندما تجد عقلاً نشطاً ذكياً يحطم القيود التقليدية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، ويُعمل عقله في موضوع كان يتعامل معه الجميع كأمر مُسلّم به تماماً ولا يقبل النقاش أو الشك..

كتاب دورة الأفلاك السماوية للفلكي العظيم كوبرنيكوس، يُعتبر هو المفتاح الرئيسي لعلم الفلك بمعناه الحديث بلا أدنى شك .. لذلك استحق طبعاً أن يكون من ضمن العشرة كتب التي أثرت على البشرية !

أي من هذه الكتب العشرة ترى إنها الأكثر تأثيراً في التاريخ الإنساني من وجهة نظرك؟



غلاف كتاب دورة الأفلاك السماوية

رأفة العرب باليهود خلال الحرب العالمية الثانية

محمد عيساوي

حين نقرأ اللائحة التي وضعتها مؤسسة (ياد فاشيم) الإسرائيلية التي تعنى بإحصاء (الصالحين بين الأمم) – أي الأشخاص الذين أنقذوا يهوداً من يد النازيين خلال الحر لعالمية الثانية- لا نعثر على أي اسم عربي أو مسلم من فرنسا أو المغرب العربي.

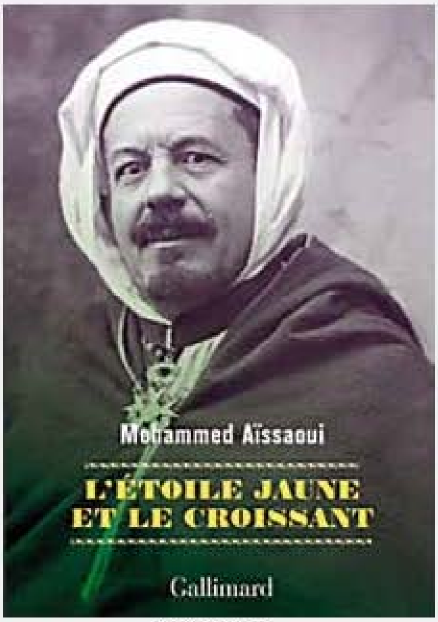
أكثر من ذلك، لا تزال صورة العرب والمسلمين في الغرب وإسرائيل خلال تلك المرحلة السوداء محصورةً في العلاقات التي ربطت هتلر بمفتي القدس آنذاك أمين الحسيني وبفرقة الحماية (SS) التي تألّف عديدها حصراً من المسلمين. ولتبديد هذا الجهل الفاضح بوقائع تلك المرحلة، وضع الصحفي الجزائري الفرنسي محمد عيساوي بحثاً مثيراً صدر حديثاً في كتاب عن دار نشر (غاليمار) الباريسية تحت عنوان (النجمة الصفراء والهلال).

وتجدر الإشارة بدايةً إلى أن هذا البحث تطلّب من عيساوي فترة عامين ونصف العام من الجهد الدؤوب قام خلالها بنبش وثائق وتتبّع آثار شهود وجمع شهادات خطّية وشفهية قبل خطّ كتابه الذي يُشكّل من دون شك مرجعاً فريداً بشأن هذا الموضوع ويتركّز خصوصاً على الدور الذي لعبه مسجد باريس وأئمّته في إنقاذ الكثير من اليهود من موت محتّم على يد النازيين.

وفي هذا السياق كان لقاء عيساوي مع المخرج السينمائي الجزائري دري بركاني الذي أخرج الفيلم الوثائقي (مسجد باريس.. مقاومة منسية) الذي يُشكّل شهادةً دامغة على دور هذا المسجد وعميده آنذاك سي قدور بن غبريت في إنقاذ العديد من اليهود عبر إيوائهم في أماكن سرّية في المسجد وتسليمهم أوراقاً مزوّرة تثبت اعتناقهم الديانة الإسلامية، وذلك بشهادة اليهوديّين ألبر أسولين والمغني الشهير سليم هيلالي.

وفي السياق ذاته كان لقاء عيساوي باليهودي الفرنسي الشهير سيرج كلارسفيد (محامي أبناء اليهود المبعدين عن فرنسا خلال الحرب) الذي أقرّ له بأن أمه حصلت بدورها على أوراق مزوّرة تثبت أنها عربية مسلمة، من دون أن يحدّد الجهة التي منحتها هذه الأوراق.

مدونة وشهادات



صورة غلاف الكتاب

أما في قسم الأرشيف لوزارة الخارجية الفرنسية، فقد عثر عيساوي على مدوّنة رسمية وجّهها المدير السياسي لهذه الوزارة إلى الجنرال فيغان الذي كان يحتل آنذاك منصب وزير الدفاع في حكومة فيشي، ويقول فيها «سلطات الاحتلال تشتبه في موظّفي مسجد باريس بمنح أفراد من العرق اليهودي شهادات تثبت أنهم من الطائفة الإسلامية. لقد تم إنذار الإمام، بشكل تهديدي، بالامتناع عن أي ممارسة من هذا النوع».

ومن الشهادات المهمة الأخرى، التي نقرؤها في بحث عيساوي الشيّق عن شهامة عميد مسجد باريس، شهادة الفرنسي ميشال ناردبو التي أكّد فيها أن أمه اليهودية أورو بوغانيم التي كانت تعمل ممرضة في مستشفى بوبيني أخبرته مراراً أن بن غبريت اتصل بها هاتفياً لإبلاغها بأن الألمان يحقّقون في أسماء موظفي المستشفى بحثاً عن اليهود وتنصحها بالهروب فوراً.

وكذلك شهادة حمزة بن إدريس عثماني الذي وضع سيرة لبن غبريت أشار فيها إلى إنقاذ هذا الأخير عازفة بيانو يهودية تدعى جورجيت أستورغ عبر إيوائها في مسجد باريس خلال بضعة أيام ثم تسهيل عبورها إلى مدينة تولوز. وشهادة الفكاهي الفرنسي الشهير فيليب بوفار التي أكّد فيها دور بن غبريت الرئيسي في تحرير والده بالتبنّي، اليهودي جول لوزانو، من قبضة الغيستابو.

ولأن بن غبريت لم يكن الشخص الوحيد الناشط في هذه المسألة داخل مسجد باريس،

يقدّم عيساوي شهادات على دور معاونين له نشطاً في تسليم أوراق مزوّرة ليهود فرنسيين من أصل مغاربي، وساعدا الكثيرين منهم على الفرار إلى دول المغرب العربي، كالإمام الجزائري محمد بنزواو ومواطنه الإمام عبد القادر مصلي الذي انخرط في المقاومة الفرنسية ونشط في مدينة بوردو قبل أن يتم توقيفه على يد عناصر الغيستابو وسجنه في معسكر «فور دو هاء ثم إبعاده إلى معسكر (موناوسن) فمعسكر (داخاو).

ولا يقتصر بحث عيساوي على سلوك بن غبريت ومعاونيه النبيل تجاه اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، بل يتناول أيضاً سلوك شخصيات ومجموعات عربية وأمازيغية كثيرة نشطت في هذا الاتجاه آنذاك.

ومن هؤلاء الجزائري علي زيتوني الذي اتهمته شرطة باريس بالانتماء إلى (كتيبة أفريقيا الشمالية) النازية وسجنته عام 1944 قبل أن يتبيّن أنه أنقذ عدداً كبيراً من اليهود عبر منحهم أوراقاً تثبت أنهم مسلمون بحكم عمله في أحد أقسام الشرطة في باريس، بشهادة المحاميين اليهوديين رونيه هايو وويناجيلا عيّاش.

هناك أيضا التونسي علي سكّات الذي أنقذ نحو ستين يهودياً تونسياً فرّوا من معسكر للعمل الإجباري، ومواطنه خالد عبد الوهاب الذي استقبل عائلتين يهوديتين في معصرة الزيت التي كان يملكها، بشهادة المؤرّخ روبير ساتلوف.

أمين الحسيني

ولا ينسى عيساوي التوقف عند سلوك السلطان محمد الخامس في المغرب ومنصف باي في تونس اللذين رفضا الالتزام بقوانين حكومة فيشي التي حاولت عبثاً أن تفرض على يهود بلديهما وضع نجمة صفراء على ملابسهم وانتزاع ملكية متاجرهم.

وكما توقف عند نضال «المجموعة الأمازيغية» ضد النازيين في باريس وإصدارها بعد فترة وجيزة من انطلاق حملة الاعتقالات ضد اليهود بياناً بعنوان (مثل أطفالنا) قالت فيه: «البارحة، عند الفجر، تم توقيف جميع اليهود في باريس، أطفالاً نساءً وعجزة. إنهم في المنفى مثلنا، إنهم عمّال مثلنا، إنهم إخوتنا، أطفالهم مثل أطفالنا، إذا التقى أحدكم بواحد منهم، عليه إنقاذه، يا رجال وطننا، قلبكم كبير».

أما في ما يتعلّق بأمين الحسيني فيُذكّر عيساوي في نهاية بحثه أن سلطة الانتداب البريطاني على فلسطين التي كانت عليمة بعدائه لليهود هي التي عيّنته مفتياً للقدس بهدف إحداث فتنة بين العرب واليهود وتطبيق مبدأ (فرّق تسد).

ومع ذلك، لم يتبع هذا الرجل في مغامرته النازية سوى حفنة قليلة من العرب مقارنةً بعدد الأوروبيين المتعاونين الهائل، فوفقاً للأرقام التي يمنحنا إياها الباحث اللبناني جيلبر أشقر في كتابه المرجعي «العرب والمحرقة اليهودية» الذي يستشهد عيساوي به، لا يتجاوز عدد العرب الذين التحقوا بتنظيمات عسكرية نازية 6300، في حين بلغ عدد العرب الذين التحقوا بجيوش الحلفاء 259 ألفاً، بينهم 9000 فلسطيني.

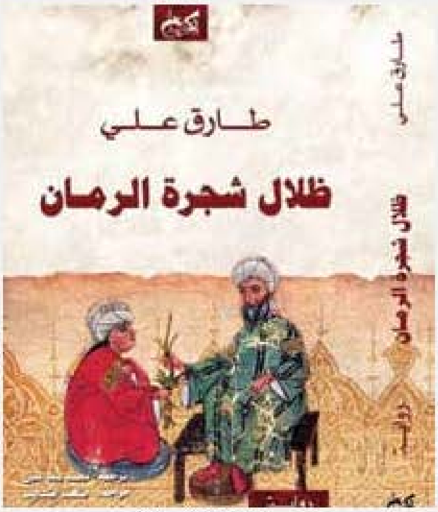
سقوط غرناطة في (ظلال شجرة الرمان)

في روايته (ظلال شجرة الرمان) يتوقف المفكر البريطاني طارق علي أمام مشهد تاريخي عاصف ترك بصماته على مستقبل العالم في سنوات أعقبت سقوط غرناطة، ولكن المؤلف لا يلجأ إلى مقولات جاهزة، بل ينسج خيوطاً معقدة ومتداخلة لشبكة من العلاقات الاجتماعية والفلسفات والأديان في دراما أشبه بالتراجيديات الكلاسيكية.

وسقوط غرناطة عام 1492م، لم يكن تسليماً طوعياً لمدينة وإنما إنهاء لمرحلة وفتح أبواب الجحيم على المنتمين إليها من المسلمين واليهود معاً والاستيلاء على أملاكهم وتقسيمها بين الكنيسة الكاثوليكية والعرش «وتحريم ممارسة الشعائر الإسلامية أو التحدث بالعربية وتحويل غرناطة إلى محرقة خطرة».

وفي الاستعراض الدرامي لهذا الموقف لا يميل طارق علي إلى تصوير الأندلس كفردوس مفقود وإنما يرصد على لسان أبطاله ومن خلال سلوكهم ما يمكن اعتباره حتمية تاريخية جعلت النهاية غير مفاجئة، حيث خير المسلمون بين التحول إلى الكاثوليكية أو القتل، فاختار البعض أن يتحول، في حين لجأ آخرون للثورة المسلحة التي لا يكتب لهم فيها النصر.

وقبل الثورة والمواجهة المسلحة التي تنتهي بها الرواية أو بالتزامن معها حدد المنتصر هدفه وهو محو ذاكرة المهزوم، ففي المشهد الافتتاحي للرواية في نهاية عام 1499م يحرق نحو مليوني مخطوط (السجل العامر لثمانية قرون) وجمعت من مكتبات 12 قصراً و195 مكتبة عامة في



صورة غلاف الرواية

غرناطة بأمر من (راهب الشيطان) الأسقف خمينيث دي سيسنيروس الناطق بلسان الكنيسة والتاج معا، ولكن بضع مئات من الكتب نجت من المحرقة بحيلة من جنود كانوا يلقون المخطوطات الأثقل وزناً على عتبات أبواب مغلقة، فيتسلل رجل ملثم ويلتقطها ثم عبرت تلك المخطوطات إلى مدينة فاس بالمغرب.

وطارق علي – الذي ولد في باكستان عام 1943، وتسجل مقدمة الرواية أنه كان رئيس اتحاد طلاب جامعة البنجاب– درس الفلسفة والاقتصاد في لندن، وأصبح عام 1965 رئيس اتحاد طلاب جامعة أوكسفورد وتولى رئاسة تحرير عدة صحف ومجلات منها (اليسار الجديد).

وهو يعد من أبرز مناهضي العولمة ومعارضي النموذج الأميركي ومن مؤلفاته (باكستان حكم عسكري أم سلطة شعبية؟) (1970) و(الثورة من أعلى: الاتحاد السوفياتي إلى أين؟) (1988) و(صدام الأصوليات: الحملات الصليبية والجهاد والحداثة) (2002) إضافة إلى روايات أبرزها (خماسية الإسلام) التي يتناول فيها جوانب من تاريخ الحضارة الإسلامية.

وتقع الرواية في 320 صفحة متوسطة القطع وترجمها الكاتب المصري محمد عبد النبي وراجعها المترجم المصري طلعت الشايب ونشرت في القاهرة عن (الكتب خان للنشر والتوزيع) التي ستصدر تباعاً الأجزاء الأربعة الأخرى وهي (كتاب صلاح الدين) و(امرأة الحجر) و(سلطان في باليرمو) و(ليلة الفراشة الذهبية).

نهاية أسرة وأمة

وتدور أحداث (ظلال شجرة الرمان) في قرية (هذيل) القريبة من غرناطة، والتي أسستها عشيرة الهذيل في القرن العاشر الميلادي وكان

المؤسس ابن فرج يجمع بين شجاعة الأسد ومكر الثعلب. ولم يبق منه بعد خمسة قرون إلا سيف ورثه حفيده عمر بن عبد الله رب الأسرة التي ستشهد نهاية غرناطة.

وتضم الأسرة مربيته ومرضعته العجوز الصارمة وزوجته زبيدة وولديه زهير ويزيد وابنتيه كلثوم وهند إضافة إلى أخته زهرة والعم ابن هشام والعم ميغيل الذي تحول ظاهريا وأصبح أسقفاً.

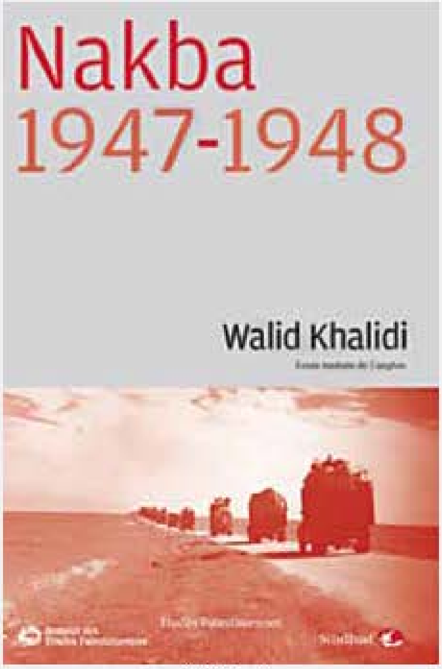
وتتبع الرواية تداعيات سقوط غرناطة من خلال سردية طويلة لتلك الأسرة التي تحاول كغيرها البقاء على قيد الحياة والهروب من التصفية بعد انهيار عالمهم ونشوء عالم آخر معاد لا يعرف التسامح. وكانت شجرة الرمان بظلالها الوارفة التي شهدت اجتماعات الأسرة ولقاءات العشاق والمحبين فيها هي نفسها التي شهدت على نهايتها.

ولا يميل الروائي الباكستاني الأصل إلى تصنيف الناس إلى أشرار وأخيار. ففي الرواية يتصدى لعنصرية الأسقف خمينيث دي سيسنيروس رجل عاقل هو الكونت دون أنيجيو لوبيز دي مندوثا القائد العام لغرناطة وعمدتها. وتبدو أفكاره قريبة من آراء خلفه أورتادو دي مندوثا (1506م-1575م) الشاعر والمحارب والدبلوماسي الذي سجل شهادته على مواجهات بين الإسبان والأقلية المسلمة التي كانت تحارب بأسلحة بدائية وتنتظر عونا من الأتراك والمغرب والجزائر في كتاب (حرب غرناطة) بين عامي 1568م و1570م ويوبخ دي مندوثا دي سيسنيروس قائلاً إن المسلمين لم يحرقوا معابد اليهود أو الكنائس ليقيموا مكانها مساجدهم، وإن سفك الدماء سيؤدي إلى مقاومة المسلمين «وسوف يسفك المزيد من الدم دمهم ودمنا، محكمة التفتيش تجمع ثروة فاحشة من أجل الكنيسة. كان لحراق كتبهم عاراً كبيراً، لطخة لوثت شرفنا»، مشدداً على أن المخطوطات العلمية العربية لا نظير لها.

وتوجه الرواية أصابع الاتهام إلى المسلمين أنفسهم عن ما انتهت إليه أحوالهم إذ يقول (وجيد الزنديق) في الرواية «نبدد أعمارنا على الدوام نحو الماضي بدلاً من التطلع للمستقبل، فشلنا في ترسيخ قواعد سياسية قادرة على حماية جميع مواطنينا ضد نزوات الحكام، لم نستطع أن نتلمس الطريق نحو الاستقرار وحكم ينهض على العقل».

ظروف النكبة وحقائقها في كتاب مرجعي

وليد خالدي



غلاف الكتاب

يشكل كتاب (نكبة) للمؤرخ الفلسطيني وليد خالدي خير مساهمة في تأريخ الأحداث المأساوية التي حصلت في فلسطين بين عامي 1947 و1948 وكانت نتيجتها طرد نحو 800 ألف فلسطيني من وطنهم على يد الصهاينة ضمن ما يسميه الفلسطينيون النكبة.

ويتألف الكتاب - الذي صدر عن دار نشر (أكت سود) الباريسية بالتعاون مع معهد الدراسات الفلسطينية في بيروت- من ستة مقالات مطولة وموثقة نشرت للمؤرخ بين عامي 1959 و1993.

لماذا رحل الفلسطينيون؟

ففي المقال الأول الذي حمل هذا العنوان، ينقض خالدي على الأسطورة التي روّج لها الإسرائيليون في الغرب للتبرؤ من مسؤولية اللاجئين الفلسطينيين، ومفادها أن هؤلاء نزحوا إلى الدول العربية المجاورة إثر أوامر تلقوها من الحكّام العرب بواسطة الراديو تحضهم على الرحيل موقتا بهدف فتح الطريق أمام الجيوش العربية النظامية.

فبعد بحث وتدقيق يتبين لخالدي عدم وجود أي دليل يُثبت الادعاءات الإسرائيلية، لا في المصادر الصهيونية لعام 1948 علماً بأنه كان من البديهي العثور فيها على أثر لهذه الأوامر، ولا في أرشيف جامعة الدول العربية الذي يتضمّن جميع التصريحات الصادرة عنها خلال تلك المرحلة، ولا في أبرز الصحف العربية، ولا سيما أنه من المستحيل إهمال هذه الأخيرة لأوامر بهذه الخطورة وعدم الإشارة إليها ولو بسطرٍ واحد!

بل إن كل ما وجده خالدي في هذه الصحف هو قرار اللجان المركزية التي تشكّلت آنذاك في لبنان وسوريا ومصر بعدم منح إقامات للفلسطينيين الذين لجؤوا إلى هذه الدول والقادرين على حمل السلاح، وإرسالهم إلى الجبهة الفلسطينية.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى نشرات وبرامج الإذاعات العربية عام 1948 التي استمع المؤرّخ إليها يوماً بيوم ولم يعثر على أي أثر لأوامر من هذا النوع بل على القرار المذكور أعلاه وعلى دعوات من (المجلس العربي الأعلى) للفلسطينيين الموجودين في فلسطين، من موظّفين وعناصر شرطة ورجال قادرين على حمل السلاح، إلى البقاء في وطنهم ومتابعة عملهم.

سقوط حيفا

كان هذا عنوان المقال الثاني الذي يبيّن فيه خالدي أن هجوم منظمة الهاغاناه الصهيونية على الأحياء العربية من مدينة حيفا في 21 و22 أبريل/نيسان 1948 شكل جزءاً من هجوم عسكري شامل هدفه إحلال دولة يهودية في فلسطين بقوة السلاح، وأن هذا الهجوم تم تنسيقه بشكل وثيق مع الجنرال البريطاني ستوكويل الذي مارس أيضاً ضغوطاً كبيرة على المفاوضين الفلسطينيين كي يقبلوا الاستسلام بالشروط التي فرضتها الهاغاناه.

أما النزوح الكثيف لسكان المدن العربية فلا علاقة له بأي أوامر وُجّهت إليهم من قبل الحُكّام العرب بل بسببه الإرهاب والحرب النفسية اللذين مارستهما المنظمة الصهيونية المذكورة خلال هجومها.

في المقال الثالث يكشف خالدي تفاصيل (مخطّط داليه) الصهيوني كما نُشر في كتاب (تاريخ الهاغانا) «المكتبة الصهيونية بتل أبيب» الذي يتجلّى فيه بما لا يقبل الشك أن العمليات العسكرية المتلاحقة التي قام بها الصهاينة عام 1948 في مختلف أنحاء فلسطين لم تترابط مصادفةً كما ادّعى المؤرّخون الإسرائيليون فيما بعد، بل تم تنفيذها وفقاً لمشروع واضح وشامل غايته طرد الفلسطينيين من بيوتهم ومصادرة أراضيهم من أجل منحها لمئات آلاف اليهود

الذين كان مقرراً استقبالهم في الدولة العبرية الجديدة.

وفي هذا السياق تم تفريغ 369 قرية فلسطينية من سكانها بالقوة والترهيب قبل أن يتم تدمير هذه القرى كليًا بهدف منع سكانها من العودة إليها.

قرار التقسيم

وفي المقال الرابع يتفحّص خالدي قرار الأمم المتحدة الذي اتخذ عام 1947 وأدّى إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، محللاً مضمونه على ضوء الوقائع الديمغرافية والعقارية في فلسطين آنذاك وكاشفًا نتائجه المأساوية والجائرة بحق الشعب الفلسطيني.

فعلى خلاف ادّعاء الأمم المتحدة بأن مشروع التقسيم هو صيغة تسوية شرعية وأخلاقية وعادلة ومتوازنة، يبيّن خالدي أولا عدم شرعية هذه الصيغة نظراً إلى عدم استجابة الأمم المتحدة للمطالب الشرعية التي تقدّمت البعثات العربية بها.

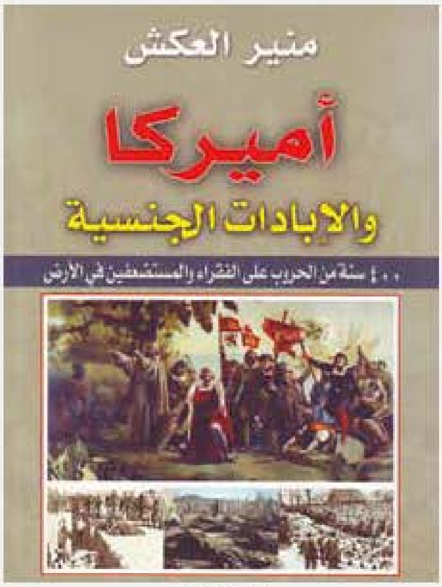
ويظهر القرار الأممي عدم أخلاقية هذه الصيغة نظراً إلى الوثائق العديدة التي تشهد على الضغوط وعمليات التهويل التي مارستها واشنطن على الدول الصغيرة كي تصوّت لصالح القرار. قبل أن يفضح جور هذه الصيغة وعدم توازنها من منطلق أن قرار التقسيم منح اليهود -ومعظمهم من المهاجرين حديثًا إلى فلسطين- 55% من الأراضي الفلسطينية، علمًا بأنهم كانوا يشكّلون أقل من ثلث سكان فلسطين ويملكون أقل من 7% من أراضيها.

وبينما يرصد خالدي مقاله الخامس لفضح انتقادات المؤرّخ الإسرائيلي بيني موريس غير المبنية والمُغرضة لكتابه (قبل شتاتهم)، يتناول في مقاله السادس سذاجة الحُكّام العرب خلال نهاية مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وثقتهم غير المبرّرة بالبريطانيين والأميركيين، وانقسامهم وعدم جاهزيّتهم العسكرية، حتى بعد قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين، إلى جانب صراع العواصم العربية الكبرى من أجل السيطرة على الجامعة العربية.

أميركا والإبادات الجنسية

منير العكش

عرض/ زياد منى



غلاف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب أستاذ اللسانيات واللغات الحديثة ومدير البرنامج العربي في جامعة سفك ببوسطن بالولايات المتحدة الأميركية.

له 24 كتاباً ألفه أو ترجمه أو حرره، منها أربع مجموعات شعرية للراحل محمود درويش مترجمة إلى الإنجليزية، إضافة إلى تأليفه كتبا عديدة بالعربية عن الولايات المتحدة الأمريكية، من منظور نقدي. في عام 1983 حصل على وسام أوروبا، قدمه له ماريو زكاري نائب رئيس البرلمان الأوروبي تقديراً لجهوده في (حوار الحضارات)، بما يعني أنه شخصية علمية وفكرية تحظى باحترام عبر الحضارات، علماً بأنه يعرف نفسه بأنه سوري المولد فلسطيني بالاختيار.

هو أيضاً رئيس تحرير مجلة (جسور) jusoor الإنجليزية، ومؤسسها أيضاً، والتي يصدرها بالتعاون مع جامعة سيراكوس الأمريكية.

صفحات المحتوى

عندما اقتنيت هذا الكتاب لقراءته، عنوانه دفعني للظن بأني سأقرأ بياناً دعائياً سياسياً، وهو، وبكل صراحة ما أخر اقتنائي له ودفعني، المرة تلو الأخرى، لتجنب المزيد من ارتفاع في ضغط الدم والإحباط، مع أني كنت أتابع كتابات الدكتور منير العكش باهتمام حقيقي، حيثما توفرت الفرصة.

لكنني اكتشفت بعدما عاينت الكتاب، للتأكد من منحاه العلمي، بأني كنتُ مخطئاً. تقويمي لأي مؤلف، أرى أنه يتناول موضوعاً يمكنني الادعاء بأني مطلع عليه، يبدأ بالعنوان حيث كثيراً ما أتجنب اقتناء أي مؤلف محتواه ذو طابع يحمل الإثارة.

بعدها أقرأ صفحة المحتوى، والمقدمة وأقفز بعد ذلك إلى قراءة الاستنتاجات، فإن تبين لي توافر التناسق العلمي بين المكونات الثلاث، أبدأ بالقراءة، متجاهلاً العنوان (الإثاري) منطلقاً من تجربتي مع ناشر غيّر من عنوان مؤلف لي، خلافاً للعقد، ووضع بدلاً منه عنواناً إثارياً جر عليّ غضب نقاد وزملاء، ونقمتهم، ظناً منهم أني المسؤول عن ذلك.

هذا توضيح للقارئ غير المطلع على بعض خفايا النشر في عالمنا، ولا علاقة له بناشر الكتاب موضوع هذه القراءة، ولذا وجب التنويه.

كنت من قبل قرأت كتباً علمية تتعامل نقدياً مع تاريخ الولايات المتحدة الأميركية كتبها مفكرون أوروبيون وأميركيون وفي مقدمتهم المؤرخ الأميركي هَوَرْد زِن صاحب كتاب (التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأميركية/ A People's History of the United States) الذي رحل عنا أخيراً، إضافة إلى كتاب مؤرخ تاريخ الكنيسة الأول عالمياً الألماني كارلهاينس دشنر صاحب كتاب (المولوخ – إله الشر. تاريخ نقدي للولايات المتحدة الأميركية) فقلت لنفسي: هل ثمة من جديد في تاريخ تلك البلاد/ الدولة لم نقرأه بعد.

أكثر ما أثار دهشتي في المؤلف ودفعني لقراءته بتركيز إشارة الكاتب في المقدمة إلى معلومات رسمية عن اقتراح برنامج حكومي أميركي في وثيقة وضعها هنري كيسنغر عام 1974 لقطع دابر نسل 13 دولة بينها مصر العربية، ضمن فترة ربع قرن، وتأكيده أن هذه السياسة متبعة إلى الآن، في عهد الرئيس الأسود البشرة، وإن تحت مسميات محايدة ذات مضمون إنساني.

التخلص من النسل

موضوع الكتاب إذن هو التخلص من نسل أمم ترى المؤسسة التي تحكم الولايات المتحدة أنها تشكل عبئاً على برامجها. كنت سمعت عن هذه الوثيقة السرية عندما أفرج عنها، لكنني كنتُ منشغلاً وقتها في عالم آخر. ومعنى ذلك أيضاً أن محاربة الفقر والجهل تتم بالتخلص من الفقراء والمهمشين والمستضعفين.

المؤلف اختار الإشارة إلى هذه الوثيقة مدخلاً للخوض في تاريخ نشأة عقدة التفوق

الأنغلوسكسوني على بقية مخلوقات الأرض، فتبين له، وعن حق، أن أصولها تكمن في التطرف الديني البروتستانتي، الذي يعد نفسه الاستثناء وخليفة الله على الأرض (ينقل المؤلف عن ممثلي هذا المنحى العنصري قناعتهم، بل إيمانهم بأن الولايات المتحدة يحدها شمالاً القطب الشمالي، والقطب الجنوبي جنوباً، أما حدودها الشرقية فتبدأ بالإصحاح الأول من سفر التكوين، وحدودها الغربية يوم القيامة). أي إنها مملكة الرب على الأرض وهي وريثته في هذا العالم، ثقافياً واقتصادياً.

لا شك في أن أي إنسان عاقل سينظر إلى هكذا فكر بابتسامة على «هبل» أصحابه، لكن عندما يعلم المرء اتكاء هذه الأفكار والنظريات على مراجع عن الموضوع، كثيرة، أشار إليها الكاتب ضمن المؤلف وفي قائمة المراجع، لم يكتبها مجذوبون مصابون بجنون العظمة، وإنما علماء خريجو جامعات يشكلون مؤسسة قائمة بذاتها ترعاها إدارة المؤسسة الحاكمة في تلك البلاد وجامعات منها جامعتا واشنطن وجون هبكنز اللتان تبنيتا وثيقة هنري كيسنغر المومأ إليها أعلاه، فلا بد من أن يصاب بالهلع، لا بل بالرعب، وهذه الصفة (كتاب رعب) التي أطلقها على هذا الكتاب المهم فعلاً، لأنه يمس حياة كل منا في ديار العرب والإسلام أيضًا، لكنه يمس غيرنا من الشعوب أيضاً.

الرعب يتضاعف عندما نعلم مدى القوة العسكرية التي تملكها الإدارة الأمريكية هذا يذكرني بقول معلق سوفياتي في ثمانينيات القرن الماضي: القدرات العسكرية (Fire Power) للولايات المتحدة لا تخيفنا. ما يخيفنا حقاً قدراتها العقلية (Brain Power).

المؤلف عاد إلى جذور فكرة التفوق العنصري فعثر عليه في البدايات، في وهم التحدر من إسرائيل التوراة، وبالتالي وهم حق امتلاك الأرض وما عليها. فغزو أوروبا الغرب، عنى للأغلبية في ذلك الوقت، تماه مع (خروج العبرانيين) إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، كما تقول التوراة، وهذا ما يشرح تكرر ورود إطلاق المهاجرين الجدد أسماء مثل (فلسطين، أريحا، دمشق، لبنان. . . إلخ) على مستقراتهم الجديدة في (أميركا) التي قطنها وقت الغزو الأوروبي أكثر من مئة مليون هندري (الهنود الحمر) فأبادهم الغزاة القادمون من الشرق، وفق برامج وخطط، وليس بالصدفة، كما يثبت الكاتب، اعتماداً على مؤلفات من شارك في أعمال الإبادة المروعة تلك، والتي شارك في بعضها أشخاص صاروا رؤساء على تلك الدولة المتشكلة حديثاً.

يلاحظ القارئ أن نصف صفحات المؤلف تحوي الهوامش وقائمة المراجع وكلها صادرة في الغرب، ما يمنح الكتاب صفة علمية بامتياز، مع أن المؤلف أنهاه بملحق محتواه سياسي تماماً، ورغم أنه استخدم في بعض الأحيان أسلوباً أو تعبيرات تهكمية.

والمرء يعثر على جذور وَهَم تفوق العرق الأنغلوسكوني في أصل اسم إنجلترا (England)، الذي يعني، وفق قواميس الاشتقاق الإنجليزية (أرض الملائكة/ Angels Land)، وثمة كتب كثيرة صدرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تؤكد ! تحدر الإنجليز من عبرانيي التوراة، تماماً كما تؤكد وَهَم الدانماركيين بأنهم يتحدرون من سبط دان التوراتي الخرافي، ولذا وجب التوجه غرباً (لكن هذا عكس الفهم التقليدي لجغرافية الخروج التوراتي).

عقدة التفوق تعني، تطبيقياً، حق التحكم بمصير الشعوب الأخرى والتخلص من أي معوق لذلك. هذه الأفكار العنصرية نشأت ليس حديثاً، وإنما نجدها في مؤلفات تدعي العلمية تعود للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ومن المثير للاشمئزاز أيضاً النظريات التي تدعي العلمية بخصوص التكاثر السكاني وكيفية التغلب على الصعوبات الناتجة منه والمرافقة له، ذات منبع ديني ومنها نظرية مالتوس الذي يرى أن الحروب والأوبئة نعم لهية لأنها تقضي على (فائض) السكان في العالم.

وهنا ترد نظريات (الداروينية الاجتماعية = (البقاء للأفضل)، حيث صرحت مرغريت سانغر إحدى نجومها بالقول: أرحم ما تفعله الأسرة الكبيرة لواحد من أطفالها أن تقتله انطلاقًا من مبدأ (حق التضحية بالآخر).

وانطلاقاً من هذه الفرضيات اللاإنسانية، التطبيقية في السياسة، يرى المؤلف، ككثير من نقاد هذه الاتجاهات العنصرية المخيفة، أن هتلر، صاحب المحرقة، ما هو إلا تلميذ محرقة أميركا، حيث طبق ما قال به الآباء المؤسسون للفكر العنصري وتفوق نسل بشري على آخر (يوجيني/ Eugenics = علم تحسين النسل)، لكنه قرر في نهاية المطاف أن العنصر الآري يتفوق على غيره.

المؤلف، كما العديد من العلماء يتمسكون بصحة استخدام مصطلح المحرقة للإشارة إلى إبادة أكثر من مئة مليون هندري، رغم عنف معارضة الصهاينة المتمسكين بفرادية محرقة هتلر.

محرقة النازية

وهنا ينوه الكاتب إلى أن محرقة النازية قضت على (غير اليهود) أضعاف الستة ملايين يهودي المفترض أنهم قضوا فيها، حيث أبادت نحو عشرين مليون سلافي (شعوب الاتحاد السوفياتي سابقاً) عدا عن قتلها نحو نصف مليون سندي وروما (الغجر)... إلخ.

ومن الأمور غير الطريفة إطلاقاً في مقام الحديث عن العنصر الآري الموجود في العقول المريضة فقط، ما يدعى عن لون بشرتهم الأبيض وزرق عيونهم وشقر شعورهم التي هي صفات الشعوب السلافية. العنصر الآري، إذا صح الكلام في هذا هم حمر الشعر، ذوو بشرة لونها يميل للحمرة مع كثير من النمش، ولون عيون داكن.

من الأمور المحزنة التي ينوه إليها المؤلف تورط بعض العاملين في المجال الفني في الترويج لأبطال وهميين كل ما عرف عنهم قتلهم آلاف الهنادرة بسلخ جلودهم وحرقهم. . . إلخ، ومنهم سدني بولاك مخرج فيلم (جرميا جُنسن) الذي عرف عنه أكل أكباد الهنادرة الذين قتلهم، مع أنه ينفي ذلك، علمًا بأن الممثل والمخرج الشهير رُبرت ردفرد أدى دور البطولة فيه.

الكتاب، رغم أنه مكثف إلى حد كبير، هو مدخل مهم لفهم كثير من منابع سياسات التفوق التي يمارسها الغرب، ليس تجاه الآخر فقط، وإنما تجاه الغير هم ضحايا نظام اقتصادي قائم على تحصيل الربح، أياً كانت الوسائل، تماماً كما بدأ هتلر بتطبيق النظريات العنصرية على الآخر، غير الآري، ثم انتقل، نطقياً، إلى تمييز الآري الصالح من الآري الطالح.

ليت المؤلف يجد الوقت لإعادة كتابة مؤلفه هذا، بالتفاصيل المطلوبة، آخذين في الاعتبار عدم توافر هكذا مراجع مهمة في بلادنا وبلغتنا.

كيف خسرت إسرائيل؟

للصحفي اليهودي بن كرامر

عرض/ بدر محمد بدر

هل خسرت إسرائيل؟ وماذا خسرت بالضبط؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى خسارتها؟ وكيف يمكن علاج هذه الخسارة؟ هذا ما يتحدث عنه الكتاب، الذي نعرض له في هذه المساحة، عبر فصوله الأربعة التي تطرح أربعة أسئلة: لماذا نهتم بإسرائيل؟ ولماذا لا يكون للفلسطينيين دولة؟ وما المقصود بدولة يهودية؟ ثم لماذا لم يتحقق السلام؟

ومؤلف الكتاب (بن كرامر) هو صحفي يهودي أميركي الجنسية، نشأ في مدينة روشستر بنيويورك، وعمل مراسلاً لعدد من الصحف الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، عاين من خلالها الكثير من الأحداث والمواقف والآراء على الجانبين.

ويلخص المترجم في البداية وجهة نظر المؤلف فيقول: إن إسرائيل خسرت بالفعل قضيتها، وخسرت تعاطف الرأي العام العالمي الذي كان يقف إلى جانبها في السابق، وبخاصة الولايات المتحدة وأوروبا، ولم تراع التطورات المحلية والعالمية.

خسرت قضيتها التي أوهمت العالم بعدالتها من خلال الدعاية الصهيونية، ورحلات الترويج والتفسير والتبرك بالأراضي المقدسة، التي كانت تنظمها لمناصريها السذج في أوروبا وأميركا، قبل أن تصبح إسرائيل دولة محتلة لأراضي الغير بالقوة في حرب الأيام الستة، حيث احتلت أراضي سيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة.

وخسرت قضيتها أيضاً عندما بدأت سياسة هدم البيوت وضم الأراضي والاغتيالات والتمييز العنصري، وأصبحت تباهي بذلك على نحو علني. وخسرت قضيتها لأنها تريد أن تحصل على كل شيء، ولا ترغب في التخلي عن شيء. إنها تريد الأرض كما تريد السلام الذي لا تملكه. إنها دولة تعيش على شيئين: الوهم بأنها الضحية، والصراع في المنطقة.

سر الاهتمام

ويتساءل المؤلف في الفصل الأول: لماذا نهتم بـ(إسرائيل)؟ مع أنها ذلك الشريط الرفيع من الأراضي على شاطئ شرق البحر المتوسط،



غلاف الكتاب

وفي بعض مناطقها لا يزيد عرضها على عشرة أميال، وبإمكانك قطعها بالسيارة من شمالها إلى جنوبها في نصف يوم، وهي أيضاً ليست بالمكان الثري ولا بالدولة العريقة، وهي أيضاً بلا تأثير سياسي، ولم يكن لها ناقة ولا جمل فيما سماه (بوش) الأب: النظام العالمي الجديد، وفي الأمم المتحدة على سبيل المثال لا يمكنك الخروج عن المألوف للحصول على دعم إسرائيل، إلا إذا كنت تحتاج إلى وقوف الأغلبية الساحقة من دول العالم الثالث ضد قرارك.

وعن يهود الولايات المتحدة يقول المؤلف: إن قدرتهم التصويتية كانت 3 %، انخفضت إلى 2 % فقط، وهم أقل التجمعات في أميركا تماسكاً، وأطفال اليهود اليوم في حالة يمكن أن نطلق عليها: لا مبالاة، ومن زعموا أن (بوش) الابن قد شن الحرب على العراق خضوعاً لرغبة إسرائيل، قد فشلوا في ملاحظة أن منظمي المظاهرات الكبيرة المناهضة للحرب كانوا أيضًا من اليهود.

اليمين المسيحي

ويشير بن كرامر إلى أن اليمين الأميركي المسيحي يؤمن بأن اليهود يجب أن ينالوا الأراضي المقدسة، في المقام الأول لأن الكتاب المقدس ذكر ذلك، وذكر أيضاً أن المجيء الثاني للمسيح يتطلب (تجمع) اليهود مرة أخرى على أرض صهيون، الأمر الذي يؤدي إلى نشوب معركة (أرمجدون)، التي تؤدي إلى عودة المسيح (عليه السلام). كما أن هناك التقاءً سياسياً للأفكار، يعود إلى الأيام التي رأى فيها اليمين المسيحي في اليهود الحصن الحصين للقيم اليهودية المسيحية، الشجاعة المضادة للسوفيات (ومؤخراً المضادة للإسلام).

ومن المثير للدهشة -كما يقول المؤلف- أن هذا السبب الغامض الأخير هو الأقرب إلى الإجابة عن سؤال: لماذا نهتم بإسرائيل؟ ومن هذا المنطلق لا توجد مصلحة منطقية للولايات المتحدة من الناحية السياسية العملية لدعم إسرائيل، سواء على المستوى الدولي أو على مستوى الحملات الانتخابية داخل أميركا، فلا يوجد لوبي أو جماعة في الولايات المتحدة قادرة على الضغط على الحكومة، لجعل إسرائيل المتلقي رقم واحد للمعونة الأميركية (ثلاثة مليارات دولار كل عام، بالإضافة إلى مليارين ضمانات قروض، قبل أن نبدأ في إضافة المعونة العسكرية الخاصة، والمعاملات التجارية الخاصة، وغيرها من الصفقات السرية).

دولة فلسطين

ويطرح المؤلف في الفصل الثاني تساؤلاً مفاده: لماذا لا يكون لدى الفلسطينيين دولة؟ ويجيب بأن الفلسطينيين لم يتعلموا من اليهود كيفية التحكم في رواياتهم القومية، واستخدامها بالتالي لتحقيق أهدافهم، ونتيجة لذلك فإننا ببساطة لا نعرف (كأميركان) قصتهم، وهو ما يعترف به كثير من الفلسطينيين.

ويتحدث الكتاب عن سياسة (الإغلاق) التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي لمناطق في الضفة الغربية، لافتاً إلى أن شعباً عربياً متعلماً ومثقفاً يزيد تعداده على ثلاثة ملايين نسمة يتعرض للإذلال بشكل دائم، ومن الناحية الاقتصادية يجري دفعهم بشكل ثابت وخطة واضحة، إلى العيش في ظل عصر ما قبل الصناعة، وأي جزء من أراضيهم يرغب فيه محتلوهم من الممكن أن يؤخذ منهم في أي وقت لأغراض عسكرية أو لإقامة مستوطنات أو لإنشاء نطاق أمني أو طريق أو حتى سياج.

وطوال معظم فترات الاحتلال لم يحظ أي شيء بناه الفلسطينيون بالصفة القانونية في المحاكم الإسرائيلية، ولذلك لا شيء يبنى من أجل الخير، والفلسطينيون شعب أعزل لا يملك قوة عسكرية تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم، لا مدرعات ولا مدفعية ولا سفن حربية ولا طائرات، وذلك في مواجهة يومية ضد جيش من أفضل جيوش العالم، علاوة على ذلك فإن هذا الجيش الذي يواجهونه يخدم سياسة مصممة لتعويق وتنغيص الحياة المدنية اليومية، التي تمثل أبسط حقوق وواجبات الوجود الإنساني.

ويقول المؤلف: عندما تسأل الفلسطينيين عن السبب في أنهم آخر شعب في العالم ستكون له دولة، فإن الإجابة تتلخص في كلمة واحدة: إسرائيل، وترد: ولكن القرقيز والطاجيك والأوزبك والتركمان والجورجيين لكل منهم دولة الآن، وكانت أمامهم مشكلة صغيرة مكونة من كلمة واحدة: روسيا، ولكنهم نجحوا في النهاية، حتى الأكراد تعيسو الحظ ربما تكون لهم دولة قبل الفلسطينين، فلماذا؟ هل كان هناك سبب لاعتقاد العالم بأنه من الممكن وضع اليهود في فلسطين بدلاً من العرب الموجودين هناك؟ ولماذا تكون الـ22 % الأخيرة من فلسطين (يقصد الضفة الغربية وغزة) هي محل إقامة أطول احتلال بالقوة في التاريخ الحديث؟

يهودية الدولة

ويناقش الفصل الثالث موضوع يهودية الدولة، حيث يرى المؤلف أن هذه المشكلة بدأت في الظهور مع أول اجتماعات للكنيست في عهد بن غوريون، لكن كثيراً من مؤسسي «إسرائيل» كانوا ملحدين ولا يرغبون في تعكير صفو جنتهم الفاضلة الحديثة من خزعبلات الحاخامات، وكان هناك منذ البداية مجتمعان من اليهود في إسرائيل، أحدهما مجتمع المتشددين الأرثوذكس، والآخر يسمح برؤى متعددة للعقيدة، لكنه لا يرغب في فعل أي شيء تجاه المتشددين، والعداوة بينهما كانت متبادلة بالطبع، فالحاخامات لا يكفون عن اتهام قادة المجتمع العلماني في إسرائيل بأنهم أعداء ألداء لليهود واليهودية، والمجتمع العلماني يهاجم المتشددين أيضاً.

ويشير الكتاب إلى أن إسرائيل لديها مشكلة، وهي ليست مشكلة هينة ولكنها أزمة كبرى، وحينما يجرؤ الإسرائيليون على الحديث عنها فإنهم يطلقون عليها «القنبلة الزمنية»، وذلك عند ما تجيء اللحظة التي يرى فيها اليهود العرب، وقد اندفعوا نحوهم حينما يصبحون أغلبية في هذه الأرض.

البعض يقول إن ذلك سوف يحدث خلال عشرة أعوام، والبعض الآخر يقول إنه حدث بالفعل، وحينما تنظر إلى المسألة سوف تجد أن هناك ثلاثة خيارات فقط، جميعها ليست سهلة، فهم (أي الإسرائيليون) يستطيعون التخلي عن الأراضي المحتلة، يودعون الأرض والعرب ويرحلون، ولكن هذا يعني بالطبع القتال مع يهود آخرين وهم المستوطنون ولا أحد يرغب في ذلك، أو يمكنهم التمسك بالأرض ومحاولة قتل أو طرد بضعة ملايين من العرب، وهذا كابوس نازي ودعائي لا يزال يراود البعض، أو يمكنهم الاحتفاظ بالأرض والسكان والحكم بقبضة حديدية عبر سياسة التمييز العنصري، أي إن الأغلبية لا تكون لها حقوق سياسية، وهذا الاختيار هو الحادث الآن تبعاً للأمر الواقع.

لقد تطلب الصراع في الشرق الأوسط المزيد من اليهود، وبعد كل هذه السنوات من الجدال بشأن من هو اليهودي؟ أصبح الجميع يعلمون أن القادمين من روسيا مثلاً ليسوا يهوداً، وكشفت دراسة لوزير شؤون يهود الخارج عن المهاجرين القادمين من الاتحاد السوفياتي خلال عام 2000 أن اثنين من كل ثلاثة ليسوا يهوداً، وأصبح السؤال: من هو اليهودي لا يهم كثيراً، بل ما هو الصالح لليهود، أو ما هو الصالح لما يرغب اليهود فعله بدولتهم اليهودية.

هل يتحقق السلام؟

ويطرح المؤلف في الفصل الرابع الأخير سؤاله: لماذا لا يتحقق السلام؟ ويجيب: إن أي يهودي غير إسرائيلي لا يعاني من أي أمراض نفسية، يمكنه حل مشكلة السلام الإسرائيلية في عشر دقائق لو فكر تفكيراً مركزاً، ومقارنة بمشكلة قبرص أو إيرلندا الشمالية. الحقيقة أن العرب واليهود عاشوا في سلام فطري لمئات السنين تحت حكم الأتراك، ومعاداة السامية (أو الإحساس بمعاداة اليهود) تم استيراده من أوروبا، تماماً مثل الصهيونية، وليس من قبيل المصادفة أنهما أصبحا راسخي الجذور في الوقت نفسه.

وهناك حقيقة أخرى تتمثل في أن العنف المنظم من جانب الفلسطينيين ضد اليهود، لم يبدأ مع وصول اليهود الأوائل، ولا حتى مع وصول الصهاينة الأوائل إلى فلسطين، بل بدأ مع برنامج بناء المستوطنات والمصادرات والاغتيالات، بعد تحول سياسة إسرائيل تجاه فلسطين والعرب الذين يعيشون فيها، وبعد أن أصبح تبرير اليهود لمصادرتهم واستيلائهم على الأراضي واحتلالهم وعنفهم للحفاظ عليها، على أساس كونهم يهوداً، وعلى أساس الوعد الإلهي بهذه الأرض.

إن من مصلحة إسرائيل -كما يقول الكاتب- أن تتوصل بشكل فوري إلى اتفاق، بينما لا تزال قابضة على أوراق اللعب. كل هذه الأشياء ما زالت حقيقية، لكن السلام لا يبدو قريباً الآن، وهو في الواقع يبدو مجرد حلم بعيد المنال.

(أرض المدامع) سطوة الواقع وذاكرة الألم

البشير الدامون

عرض/إبراهيم الحجري

غير بعيد عن العالم المقيت، الذي صوره في روايته (سرير الأسرار) الصادرة عن دار الآداب سنة 2008 أطلق الروائي المغربي البشير الدامون روايته الجديدة (أرض المدامع) عن المركز الثقافي العربي، وتنطلق الرواية الجديدة من نفس الفضاء القديم (الدار الكبيرة) أو الماخور، وكأنه يسلح الشخصية نفسها لينطلق بها في رحاب جديدة من الحبكات والتحولات والصراعات.

تنتقل الفتاة التي فتحت عينيها في (الدار الكبيرة) لتستقر مع أسرة محافظة تتبناها وتمنحها الرعاية اللازمة كي تدرس وتتفوق في تعليمها، ثم تنتقل إلى الجامعة لاستكمال دروسها، لتجد نفسها في دوامة جديدة من العلاقات والتحديات، خاصة بعد دخولها تجربة النضال السياسي ومشاركتها في أحداث الريف الدامية سنة 1984.

سطوة الواقع

تشكل(أرض المدامع) رواية يتقابل فيها الواقع والأحلام، ويفرض التاريخ سحره ويعلن الحاضر سطوته وقسوته، حيث الساردة والسارد يهيمان في رحلة الكشف عن سر يضيء وجودهما وعن كنز يعيان أن الطريق إليه حارق.

هي رواية عن الحب والفقدان والثورة والأحلام وعن انتكاسات متبوعة بقدرة كبيرة على المقاومة والانبعاث. رواية قاسية لما تحمله بين طياتها من ألم متعدد: ألم الذات التي قدر لها أن تكون فاقدة للهوية لقيطة بلا أصول، وألم الواقع العفن الذي يستهتر بالحقوق.

واقع يتعامل فيه مع البشر على أساس أنهم أشياء تافهة: فقر وعري وفساد وقهر وعنف وتهميش ومصادرة لأبسط حقوق العيش. وألم النحس المطارد للشخوص الروائية التي فشل أغلبها في بلوغ مراميه، وتحقيق برنامجه السردي المتمثل في الكنوز المبحوث عنها، والتي أضحت كلها فخاخاً ومتاهات تتعثر فيها وبواسطتها خطوات الرواة والشخصيات.

فالساردة عانت عذاباً نفسياً داخلياً جراء حرمانها من والديها اللذين تخليا عنها قبل أن تفتح عينيها على العالم، وجراء عار لم ترتكبه ظل يطاردها طيلة حياتها مثل نحس. العار الذي سببته لها نشأتها في ماخور. ناهيك عن المأساة التي عاشتها وسكان مدينتها تطوان بفعل مشاركتهم في أحداث الريف، حيث تحولت شوارع المدينة إلى فوضى من الحرائق والجثامين والدماء، وأصابت الجيش لوثة قوية لإشعال العنف والاعتقال والتعسف والتعذيب لكل من شارك في المظاهرات الصاخبة للمطالبة بالإصلاح والتغيير، قصداً أوصدفة.

فضلاً عن ذلك، فالمحكي الروائي للدامون يستعرض نتفا من تاريخ المغرب في شقيه القديم على العهد الروماني، والحديث على عهد النظام السابق إبان سنوات الرصاص، حيث حصد القمع الهمجي أرواح الآلاف وعذب عشرات الألوف في سجون مجهولة تحت الأرض بسبب الانتفاضات الشعبية التي عرفتها كل جهات المغرب بتأطير من الفصائل الشيوعية التي نادت بالتغيير الشامل والحكم الجمهوري بدل الملكية.

في ظل الأحزان التي يؤججها مسرد الرواية لم يتبق للشخوص سوى الهروب عبر الخيال لمعانقة أحلام قد لا تجيء إلا على سبيل المجاز، وذاك ما فعلته الساردة بطلة الرواية عبر حلمها بحوريات ينتشلنها من كوابيس الواقع، قبل أن تقرر الإفلات والعودة في حين لاذ أحمد -رفيقها في النضال- بالجنون، ولاذ أمير وأسرته بالهروب إلى إسبانيا بحثا عن وكر هانئ.

كنوز ومدامع

رتب الروائي محكيه وفق تمفصلات متداخلة وعنون كلا منها بمدامع، كل مدمع ينجم عن كارثة أو خسارة سببها استتباع كنز ما، هذه الكنوز تعد بمثابة المحرك للشخصيات، وأولها كنز الثورة حيث الحلم بالتغيير التي تنشده الساردة انسجاما مع متغيرات مجتمعية ناجمة عن عمل التيارات الماركسية وتشكل فصائل حزبية وتنظيمات سياسية تتبناها في مغرب السبعينيات والثمانينيات.

آنذاك قادت تعبئة جماهيرية شاملة توجت بإضرابات ومظاهرات عارمة ودموية في العديد من المناطق المغربية طالبت بالتغيير وأنشدت توجهات شيوعية، ومنها منطقة الريف التي تتحدث عنها الرواية، إذ قوبلت بقمع شرس



غلاف الرواية

من قبل الجيش أودى بعدد كبير من الضحايا، وامتلأت خلالها مقابر جماعية، فتحولت تلك الأحلام كوابيس وجنونا لدى الكثير ممن حلم بالكنز.

كنز الذهب المتوهم الذي أرق عائلة قصر الباشا مدفوعين برؤية مزعومة من طرف الطائفة الكناوية بالمدينة التي تستند على روايات تاريخية غير دقيقة، مما سبب كوارث نفسية ومادية أدتها الأسر المتعاقبة على القصر، وورود مثل هذه الهواجس يأتي لإبراز التناقضات التي يحبل بها المجتمع، ففي الوقت الذي تموت فيه الألوف من أجل تحسين الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للبلد، ينهمك آخرون في البحث عن كنوز وهمية لا وجود لها إلا في معتقداتهم الواهية.

كنز الجسد، الذي يؤرق الساردة خاصة وأنها متهمة في عرضها بكونها ترعرعت في دور الدعارة وتربت على يد وسيطة، لذلك فهي تسعى للحفاظ على طهارة جسدها وعفتها، وقضت أوقاتاً عصيبة تصارع الذات والآخر حفاظا على شرفها المهدد في مجتمع ذكوري لا يرحم، وإن كانت هذه المناعة تهاوت في كثير من اللحظات أمام غول الحب والرغبة القاهرتين.

وبين هذه التمفصلات والأحلام والخيبات، تبقى رواية (أرض المدامع) حفرية ثانية من حفريات الدامون في تاريخنا الشخصي المنسي، وترميما لشروخ ذاكرة أفزعتها العواصف والهبات العنيفة.

الفن الإسلامي والعمارة.. العقيدة والإبداع

ريتشارد اتنغهاوزن
أوليغ غرابار
ماريلين جنكينس

ترجمة:عبد الودود العمراني

أحمد الشريقي



غلاف الكتاب

يتجاوز كتاب الفن الإسلامي والعمارة (650-1250) لمؤلفيه ريتشارد اتنغهاوزن وأوليغ غرابار وماريلين جنكينس، ومترجمه عبد الودود العمراني، كونه مجرد شغف استشراقي بالفن الإسلامي -وهو المنهج الذي طبع كتبا كثيرة وقعت في أسر فتنة الفن الإسلامي لفترات طويلة- إلى اعتباره واحداً من المراجع الحديثة للفن والعمارة الإسلامية لرصانته العلمية وحفره العميق في أسس الفن الإسلامي كجزء من مخرجات الحضارة الإسلامية منذ بزوغ نجمها في بدايات القرن السابع الميلادي.

كما يتعدى الكتاب الأنيق بمحتوياته الإبهار البصري، باشتماله على روائع التحف الإسلامية، والرحلة السياحية البصرية في العمارة الإسلامية، بل وظف تلك التحف كدلالات علمية ضمن إطار الصنعة الإسلامية، وتأثرها بما عاصرها وجاورها وسبقها من فنون انفتحت عليها قريحة الفنان المسلم عبر ستة قرون من الإبداع، وهو ما يبرز دراسة ومنهجية الكتاب.

وإذا كان من الصعب التوقف عند مقولات الكتاب الذي يقع في ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الطويل وضمن ثمانية فصول وهوامش طويلة، فإنه لا بأس من المرور السريع على بعض مفاتيح الكتاب الذي لا غنى لأي باحث ودارس في مجال الفن في العصر الإسلامي الأول عن هذا الكتاب، سواء من الناحية العلمية والأكاديمية الرفيعة أو من ناحية أسلوب كتابته المبسط الذي لا يحتاج إلى معرفة مسبقة بموضوعه.

بيد أن اللغة المبسطة للكتاب يقف خلفها مترجم متمكن هو عبد الودود العمراني، بحسب المؤلفين الذين وجدوا أنه «لم يكتف بإظهار قدرة نادرة في معالجة البنية المعقدة لنص علمي طويل وحسب، بل تعامل بأريحية مع مفردات تقنية لا يوجد لها مقابل في كثير من الأحيان باللغة العربية. أبعد من ذلك لجأ العمراني في معاينته للنص إلى الحفر في مفردات أجنبية يردها إلى أصولها العربية، وخصوصاً فيما يتعلق مع أسماء لتقنيات فنية استخدمها الفنانون في عصور غابرة، وكادت أن تطمس من قاموس العربية».

دواعي النشر

ويحدد مؤلفو الكتاب دواعي نشره، فقد حظي الفن الإسلامي في العقود الأخيرة، باهتمام بدراسته متجاوزاً ما كان يعد اهتماما حصرياً للمؤرخين والعارفين خاصة في الغرب، ليشمل تشكيلة عريضة من القراء في بلدان عديدة على أن الزيادة الأهم في القراء هي بين أوساط الطلبة والعلماء وجامعي التحف الفنية.

ويلحظ الكتاب أن رغبة القراء في التعرف على هذا الفن إنما هي ناجمة عن إدراك متزايد منهم للإسهامات العظيمة التي قدمتها الحضارة الإسلامية للفن العالمي.

ومن هذه الإسهامات الحضارية مختلف طرائق الفن والتشييد، وتصنيع التحف الفنية واستخدام التقنيات المزخرفة وهو ما يعرف بالفن الوظيفي. وعلى هذا الأساس فقد استخدمت التحف المزخرفة من الناس بكافة مشاربهم من حكام منتمين إلى أصول عرقية مختلفة إلى تجار وأثرياء وصولاً إلى الناس البسطاء، وربات البيوت من النساء ومن أقوام مختلفة من غير المسلمين، مسيحيين ويهود وزرادشتيين ووثنيين.

في الكتاب يبين المؤلفون منهجيتهم التي تتبدى في الفصول الثمانية، والتي تتركز على الانصراف عن تحديد ودراسة تاريخية الفن عبر السلالات الحاكمة للأقاليم الإسلامية، إلى اعتماد منهج يقوم على نسبة هذا الفن إلى أقاليم محددة وهي الأقاليم الإسلامية الوسطى، والغربية، والشرقية، إضافة إلى دراسة خاصة بالفن الإسلامي وغير المسلمين.

يسبق الحديث عن كل إقليم بتمهيد تاريخي يدرس ويتابع ويعرض للفن وإرهاصاته وتشكله، ومن بين كتب قليلة يذهب المؤلف بعيداً إلى إرهاصات وبدايات الفن الذي نشأ وأزهرت إبداعاته في فترة قصيرة نسبياً، وفي تحديده لمفهوم الفن الإسلامي باعتباره أحد مفاتيح منهج التأليف يرى واضعو الكتاب أن الفن الإسلامي يشير إلى كل المنشآت وآثار الثقافة المادية التي أنشأها المسلمون أو أنتجت للناس الذين عاشوا في ظل حكام مسلمين، أو في كيانات اجتماعية وثقافية تأثرت بقوة بأنماط الحياة والفكر التي تميز الإسلام.

قرون من الفتنة

يلحظ الكتاب السرعة الهائلة التي انتشر فيها الإسلام وأثر ذلك على الفن، ففي عام 622 ميلادي هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وفي العام 750 ميلادي كانت الجيوش الإسلامية قد اخترقت جنوب فرنسا، وفي الأثناء تأسست مدن جديدة في شمال أفريقيا، كما شيدت قبة الصخرة في القدس.

وفي خلاصة فإن الفن الإسلامي لم يتطور تدريجيا عند التقاء الدولة والعقيدة الجديدتين، بأية تقاليد قديمة تواصلت في المناطق التي امتد إليها النفوذ بل يكاد يكون بروز الفن الإسلامي فجائيا مثل عقيدته ودولته.

وفي قراءته للمناخ الفني لدى ظهور الإسلام يعرج الكتاب على المعمار قبل ظهور الإسلام والفضاءات التي حكمت بنيته، مشيراً إلى الكعبة الشريفة، وبيت النبي صلى الله عليه وسلم والذي يتألف من باحة مربعة بسيطة وعدد قليل من الغرف على الجانب ورواق من جذوع النخل مغطى بسعف، ويحوي الكتاب مسقطا للبيت.

يتابع الكتاب قراءته في فصل ثان، للفنون في الأقاليم الإسلامية الوسطى والتي يقع ضمنها قبة الصخرة المشرفة، التي تعد أقدم منشأة معمارية إسلامية مازالت قائمة حتى الساعة، وكان قد اكتمل بناؤها العام 71 هجري الموافق لـ691 ميلادي، كما يقع ضمن هذا الإقليم الجامع الأموي في دمشق والعديد من الأماكن المعمارية الأخرى.

بخلاصة فإن كتاب الفن الإسلامي الصادر عن هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة وهو الجزء الأول ضمن مشروعها في التعريف بالفن الإسلامي يمثل في لوحاته وعروضه وتمهيداته التاريخية سياحة حقيقية في قرون الإبداع والعمارة الإسلامية تنقل متصفح الكتاب إلى قرون من الدهشة والفتنة.



فن الرسم على الرصيف بالأبعاد الثلاثية

في عام 1970 ظهرت أول مسابقة للرسم في الشوارع وكان الهدف من المسابقة لتسجيل ونشر أعمال (الذين يعتقد أن) الممارسين الأخيرين من هذا الشكل الفني الغير تقليدي، وكان الرسامين بالفعل في سن الـ 90 عاماً. لذلك كان هناك اهتمام شديد بالاحتفاظ بأعمالهم وفي عام 1983 ظهر بعض الأشخاص الذين عشقوا هذا الفن، وسرعان ما لاقى رواجاً كبيراً في جل العواصم بعد أن قام الفنان الأمريكي كيرت وينر بإدخال تقنية الرسومات ثلاثية الأبعاد على هذا الفن ليمنحه بذلك بعداً جديداً.

الرسم في الشوارع وعلى الرصيف من ضمن أشهر الفنون في أمريكا وأوربا يتم الرسم على الشارع أو الرصيف بمواد يمكن إزالتها بسهولة و قد بدأ هذا الفن في إيطاليا في القرن السادس عشر، وكان يستخدم لتزيين الشوارع والأرصفة والجدران في المهرجانات والأعياد الدينية.

الرسم ثلاثي الأبعاد في الشوارع هو فن يقوم على الخدع البصرية، يتخذ الفنان من شارع أو فضاء عام مسطح بالكامل مكاناً لرسمه، ثم يحدد زاوية رؤية معينة، وعلى هذا النحو يمكن أن يوهم المشاهدين أن ما يرونه ليس شارعاً مسطحاً وإنما بناية أو نهر أو حفرة أو أي شيء آخر. فهو يهيئ للناظر من بعيد أشياء ليست حقيقية، مثل وجود أشخاص آخرين لا وجود لهم، أو وجود حفرة عميقة أو شلالات مياه وأشياء أخرى، تدهش وتسحر، وحين تقترب منها، تذهلك حقيقة الخدع البصرية بأدوات بسيطة كالطباشير الملون على الأرض، كما يقوم الرسام المبدع بضبط وضعية الرسومات مع زاوية التصوير لتكون النتيجة مجموعة من الأعمال شديدة الواقعية.

وفي هذا الصدد يقول عالم الاجتماع الفرنسي هنري ليفيفر في كتابه (الثورة الحضارية، 1970) أصبح المجتمع حضرياً بالكامل، وأصبح الشارع مكاناً للعب والتعلم، الشارع فوضى، فوضى نشيطة، شارع يخبر ويسحر، والفضاء الحضري للشارع أصبح مكاناً للحديث وتبادل الكلمات والعلامات والأشياء، مكان يصبح فيه الكلام كتابة، مكان يمكن أن يتحول فيه الكلام إلى فعل همجي، وهذا (الكلام)، بتحديه للقواعد والمؤسسات، قد حشر نفسه في الطرقات أو الجدران.

وقد ينظر قلة إلى الرسم على الطرقات الرئيسة والساحات العامة على أنه عمل تخريبي ومخل بالمنظر العام للمدينة، في حين يعتبره أغلب المتابعين لوحات فنية رائعة ومعبرة تنم عن إبداع وخيال واسع ومتجدد، يشد المارة ويسحر الأعين. فالفن والإبداع يمكن أن يولدا في أي مكان وزمان. وهو في الواقع فن ظاهره تسلية وتعبير وباطنه مواقف تتداعى بين القبول بالواقع ورفضه، ومهما يكن من أمر، فالرسم على الطريق أصبح حقيقة وانتشر في كثير من المدن العالمية الكبرى ليغير من شكلها ويجلب الانتباه، وعادة ما يتجمع المارة حول الرسام فيدهشون لخفة يده ودقة لوحاته التي تحمل رسالة ومضموناً، فهي شكل من أشكال التعبير والمقاومة والطموح، وتحدٍّ لاحتكار الشركات الكبرى للفضاء العمومي من خلال الإعلانات التجارية مسبقة الدفع.



وتعتبر أوهام البصر نوع من أنواع التسلية التي لا يكف الفنانون من الإبداع بها، وعلى الرغم من أنه ليست جميع أنواع الفن تقدر إلا أن هذا النوع من الفنون هو حالة استثنائية إذ أنه باستخدام قطع من الطباشير بالإمكان أن ترى أجمل لوحة وهمية على الإطلاق.

و تكثر هذه القطع الفنية الرائعة على العديد من الأرصفة والشوارع في جميع أنحاء العالم.

وهو بالأساس فن بصري نشأ وتطور في أطر حضرية، أي الطرقات والساحات العامة، فكان عفوياً ولم يمول من طرف الحكومات، وقد تحدى الفنانون الصورة النمطية للفن عبر إخراجه من السياقات الفنية القديمة، ولا يطمح رسامو الطريق إلى تغيير مفهوم العمل الفني وإنما إلى إثارة أسئلة عن الواقع الراهن وبشكل تعبيري مجدد عبر طرح مواضيع اجتماعية راهنة بطرق وقيم جمالية مختلفة.

وسرعان ما تحول إلى ثقافة شعبية عالمية، يزداد المشاركون فيه كل يوم من مختلف المدن، يشاركون في ورشات الرسم على الطريق في نيويورك ولندن وبرلين وطوكيو وريو دي جانيرو وغيرها، كما ظهرت مجلات متخصصة في عرض إنتاجات فن الرسم على الطرقات ودور عرض للتعريف بالرسامين وأعمالهم، واهتمت بعض الشركات التجارية الكبرى بهذا الفن وسعت إلى استقطاب الشباب والجمهور المولعين بالرسم والتصميم.

وتختلف الدوافع والأهداف التي حركت

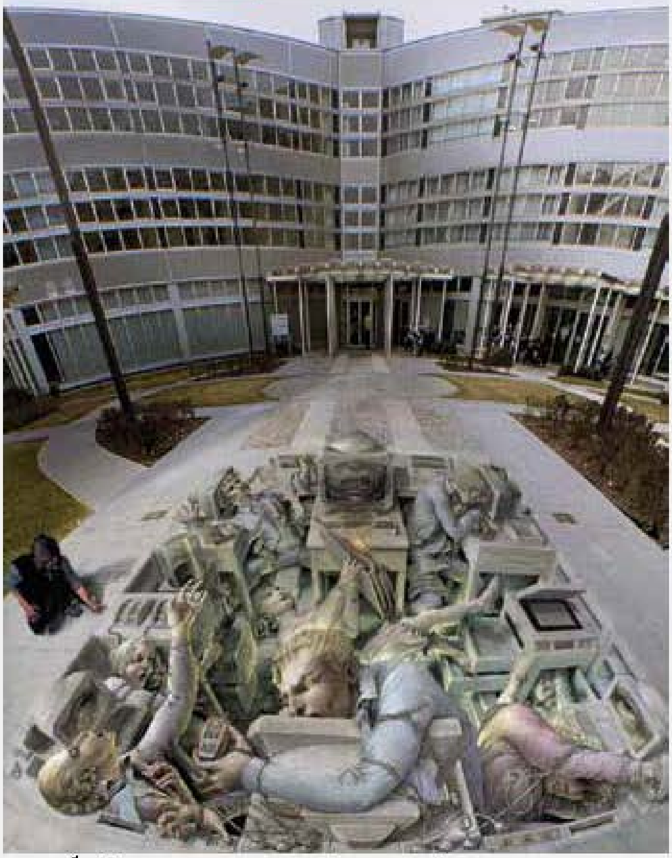


الفنانين على الرسم على الطرقات باختلاف أهدافهم وتوجهاتهم. فقد يكون هذا الشكل من الرسم وسيلة فعالة عند البعض للوصول إلى المجتمع بهدف تحسيس أفراده بمسائل اجتماعية أو سياسية معينة. ونال عديد الرسامين اهتماماً عالمياً بفضل أعمالهم التي عرضوها في شوارع بمدن رئيسة أخرى. وهم الآن جزء مهم من الفضاء الأوسع للفن المعاصر والثقافة المرئية. فهذا الصنف من الفن يؤلف ويمرر مفردات بصرية ومجموعة من السجلات الأسلوبية. التي أصبحت متداولة عبر الثقافة الجماهيرية الواسعة. كما أثبت فن الرسم على الطريق أن الفضاء الحضري لا يمكن أن يكون فضاء محايداً. فقد أصبحت الرسومات المعروضة أمام الجميع تناقش وتلهم وتثير الرسام والمتقبل على حد سواء.

ومن أشهر رسامي الشوارع في العالم نذكر كل من جوليان بيفير. الذي يعتبر أحد أشهر فناني رسم الشوارع على الإطلاق بفضل تحكمه المنهل في منظور الرسومات واللوحات. والتي تبدو كما لو كانت أشكالاً حقيقية مجسمة باحتراف. ويرسم جوليان بيفير لوحاته بشوارع مدن عالمية كبرى مثل لندن ونيويورك وباريس وبرلين. إضافة إلى إدجار مويلار الذي لا يقل شهرة هو الآخر. ولكنه على عكس جوليان. يتخصص في الرسومات التي تمتد على مساحات شاسعة. لدرجة أنه يقوم أحياناً بتزيين شارع بأكمله. والفنانة ترايسي لي التي اكتسبت هي الأخرى شهرة واسعة في هذا المجال. ولها رسومات شهيرة لزعماء في العالم. كما لايمكن في هذا الصدد المرور دون التطرق الى الرسام إيريك جروه الذي يتميز عن الفنانين السابقين برسمه لخدع بصرية مدهشة على الجدران بدلاً من أرضيات الشوارع. وحيث تجبرك في الحال درجة واقعيتها على تأمل الصورة مراراً وتكراراً حتى تتيقن أنها مجرد رسم.

وتكمن قوة الأفكار المجسدة لهذا الفن في خديعة الإيهام بالسقوط في حفرة أو منحدر أو بركة ماء. حيث يرسم الفنان عمله ثلاثي الأبعاد على الشارع باستخدام الطباشير فتبدو واقعية بشكل مدهش. بحيث يخيل للناظر بوجود هوة فيه تمتد إلى باطن الأرض.

إن الإبداع ينأى بالفرد عن التقليد أو التكرار. بل إن المبدع هو الشخص الذي يكون بالضرورة النسخة المجددة والفريدة. ولا يتم ذلك إلا بالتجديد المستمر للنفس والفكر والطموحات. وهو ما يدفعه لتفجير طاقاته الإبداعيّة الكامنة بداخله وتوظيفها في خدمة الأهداف. فكل فرد





هو مبدع في ذاته شرط الطموح للأعلى والتحلي بهمّة عالية ونفس جديد.

ولد جوليان بيفير في شولتهايم بالمملكة المتحدة عام 1959 وترعرع في ميلتون. درس الفن في جامعة ليدز بين سنتي 1979-1983. بدأ الرسم بالطباشير في أواسط تسعينيات القرن العشرين. وقد امتهن الرسم في عدة دول منها أمريكا وأستراليا وأوربا. وفي سنة 2007 أنجز سلسلة تلفزيونية من عشرة أجزاء. وفي 2011 كتب كتاباً اسماه (فنان الرصيف بالطباشير). وكان كلما رأى شيئاً أعجبه رسمه في الشارع بإتقان محاولاً إثارة انتباه المارة وإعجابهم معاً. يقول في موقعه على الانترنيت، عن بداياته في الرسم الثلاثي الأبعاد على الرصيف: «بدأت الرسم عندما كنت في شارع للمشاة في بروكسل حيث أزيلت حديقته القديمة. وترك ذلك قطعة مستطيلة على بلاط الرصيف أعطاني ذلك فكرة لتحويله إلى بركة سباحة».

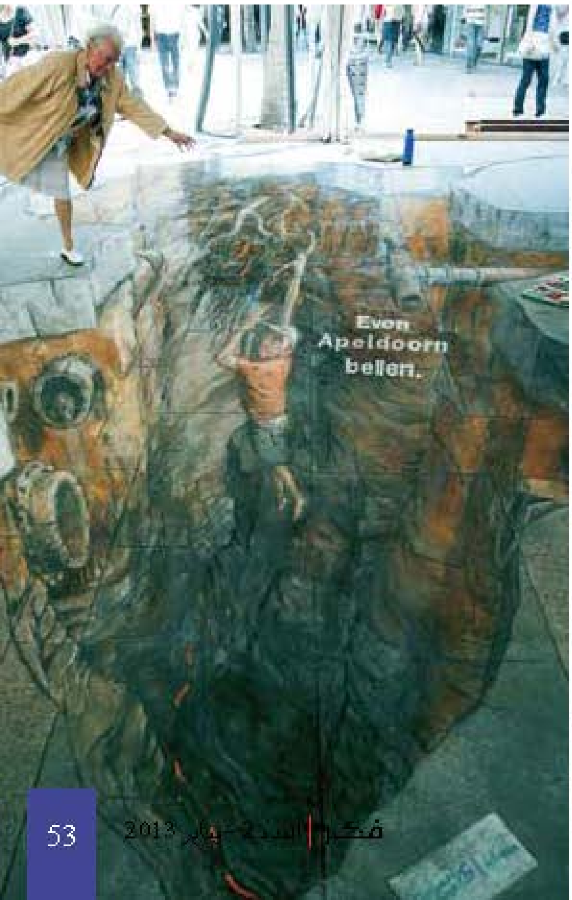
البعض يطلق عليه اسم (بيكاسو الرصيف) وهو الآن مطلوب من الشركات التجارية الكبرى حيث عمل في 28 دولة مختلفة وهو لا يزال يجد الوقت الكافي لإنجاز رسوماته إرضاءً لنفسه وتحقيقاً لمصالح تلك الشركات.

كل رسم يرسمه ينبغي النظر إليه من نقطة معينة وإذا حِدت عنها يعرضها ذلك للتشويه فتفقد معناها وجماليتها وبالتالي يصعب التعرف عليها. بمعنى يجب النظر إلى رسوماته من وجهة محددة لتراها بأبعادها الثلاثية. وهو بهذا تحدى قوانين المنظور.

بقي أن نشير إلى أن جوليان بيفير يرسم أيضاً بالألوان الزيتية على الجدران والحوائط وهو في ذلك فنان مبدع ومتميز غير أن حبه للرسم الثلاثي الأبعاد على الرصيف طغى على بقية مواهبه.

يمكنكم زيارة الرابط:

http://www.youtube.com/watch?v=wi3yJ6KH9qI





قصر الحمراء مكان يتوقف فيه الزمن

حينما يصل الزائر إلى الأثر التاريخي المعروف قصر الحمراء، يشعر وكأنه يدخل إلى عالم آخر، إلى مكان توقف فيه الزمن عند 500 سنة مضت. يقول أهل غرناطة: إن قصر الحمراء له سحر معين، وكأن ساحرة قد ألقت عليه تعويذة تجعل السائح يعود إليه مرة ثانية وثالثة ورابعة.

لقد راود هذا الإحساس 2.31 مليون شخص سنة 2011، وهو تحديداً عدد من زاروا ذلك الأثر الذي يعتبر أشهر أثر إسباني في العالم. وهذا الرقم يمثل زيادة قدرها 6.74 في المائة عن عدد السياح في العام السابق.

قصر الحمراء جزء من معالم مدينة غرناطة الأثرية الواقعة على بعد 267 ميلاً جنوب مدينة مدريد. فبعد أن استوطن بنو الأحمر بغرناطة أخذوا يبحثون عن مكان مناسب يوفر لهم القوة والمنعة فاستقر بهم المطاف عند موقع الحمراء في الشمال الشرقي من غرناطة. وفي هذا المكان المرتفع وضع أساس حصنهم الجديد (قصبة الحمراء). واتخذ بنو الأحمر من هذا القصر مركزاً لملكهم، وأنشئوا فيه عدداً من الأبراج المنيعة. وأقاموا سوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة.

ويعد قصر الحمراء واحداً من أروع القصور في تاريخ العمارة الإسلامية، ومن أعظم الآثار الأندلسية الباقية حتى اليوم بما حواه من بدائع الصنع والفن. وقد زيّن صناع غرناطة المهرة القصر بأبدع نماذج لا تستطيع البشرية الإتيان بمثله.

ومن المرجح أن سبب تسمية الحمراء هو لون حجارتها الضارب للحمرة. والحمراء عبارة عن مجموعة أبنية محاطة بأسوار تقع على ربوة عالية تسمى السبيكة في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة. وهذه الأبنية على ثلاثة أقسام: القسم العسكري ويقع شمال شرقي القصر وهو عبارة عن قلعة تحرس الحمراء ولها برجان عظيمان. ثم القصر الملكي في الوسط ثم الحمراء العليا المخصصة للخدم.

يتحدث القصر عن مملكة غرناطة وملوكها وحضارتها وآثارها وجهادها دفاعاً عن استقلالها حينما غدت آخر معاقل العرب والمسلمين في شبه جزيرة إيبرية، وبعد أن تلألأت حضارتها نحو مئتي سنة، انطفأت مشاعلها وظهرت مبانيها دون حياة.

لم يكن قصر الحمراء سوى جزء من مدينة الحمراء أو (قصبة الحمراء) التي تشمل قصر الحاكم والقلعة التي تحميه، وكانت مباني دور الوزراء والحاشية تمو مع الوقت حتى غدت قاعدة ملكية حصينة.

يرجع بناء الحمراء إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكانت هناك (قلعة الحمراء) فوق الهضبة الواقعة على ضفة نهر حدره اليسرى، وعندما تولى زعيم البربر باديس بن حبوس حكم غرناطة، بعد ظهور دول الطوائف في بداية القرن الخامس الهجري، أنشأ سوراً منيعاً حول الهضبة التي قامت عليها (قلعة الحمراء)، وبنى داخل هذا السور قصراً أو مركز حكومته، وسميت القلعة (القصبة الحمراء)، وصار قصر الحمراء جزءاً منها، وغدت معقل غرناطة الهام.



واتخذ محمد بن الأحمر النصري مركزه في القصبة عام 635هـ/1238م وأنشأ داخل أسوارها قصره الحصين واتخذه قاعدة لملكه، وجلب إليه الماء من نهر حدرّه، وأنشأ حوله عدة أبراج منيعة منها:

- البرج الكبير (برج الحراسة)، وبنى حوله سوراً ضخماً يمتد حتى مستوى الهضبة، وبنى مسكنه الخاص في جهة الجنوب الغربي من الحصن (في المكان نفسه الذي شُيد عليه قصر الإمبراطور شارلكان)، وسُميت القصبة الجديدة باسم (الحمراء) تخليداً لاسمها القديم من جديد.

وفي أواخر القرن السابع الهجري، أنشأ محمد بن محمد بن الأحمر الغالب بالله - ثاني سلاطين غرناطة - مباني الحصن الجديد والقصر الملكي.

ثم أنشأ ولده محمد في جوار القصر مسجداً قامت محلّه فيما بعد كنيسة سانتاماريا.

ثم جاء السلطان أبو الوليد إسماعيل فزاد في القصر واهتم بجماله، وتدين الحمراء بفخامتها وجمالها المعماري والفني إلى ولده السلطان يوسف أبي الحجاج الذي كان ملكاً شاعراً وفناناً موهوباً، بنى معظم الأجنحة والأبهاء الملكية، وأغدق عليها من روائع الفن والزخارف، وبنى باب الشريعة المدخل الرئيسي حالياً للحمراء.

تقع مدينة (الحمراء) فوق هضبة مرتفعة يبلغ طولها بين 736م و740م وعرضها نحو 200م يحيط بها سور ضخم بقيت منه أجزاء كبيرة. وللسّور أبراج وأبواب عدة ملازال معظمها حتى اليوم، ومن أهم الأبراج الباقية:

- برج قُمارش Torre de Comares فوق قاعة السفراء.
- برج المتزين Torre de Peinador.
- برج العقائل Torre de Las Damas.
- برج الآكام Torre de los Picos.
- برج الأسيرة Torre de La Cautiva.
- برج الأميرات Torre de Las Infantas.

والجدير بالذكر أن هذه الأبراج تقع في شمال



الهضبة، وتطلّ على مدينة غرناطة الجميلة والمرج. وهناك برج الماء Torre del Agua في الطرف الشرقي من الهضبة، وبرج الرؤوس Torre de Las Cabezas في جنوب الهضبة.

وأهم الأبواب الباقية هي:

- باب الغدير Puerta de Las Pozas.
- باب الطّباق السبع Puerta de Siete Suelos وهناك برج بهذا الاسم، وقيل أن أبا عبد الله الصغير استقبل الأسبان يوم التسليم في هذا المكان. وهناك أيضاً:
- باب الشريعة المدخل الرئيسي حالياً للحمراء.
- باب السّلاح Puerta de Las Armas في شمال القصبة قرب برج الحراسة.
- باب الشراب داخل الأسوار.

وفي الطرف الغربي من الهضبة تقع بعد القصبة قلعة قديمة اسمها حصن الأبراج الحمراء Castillo de Torres Bermejas.

يتميز موقع هضبة الحمراء بجمال الطبيعة، ويطلّ من جهة الشمال والغرب على مدينة غرناطة وبرجها البديع، كما يشرف من جهة الشرق والجنوب على آكام (جبال سييرا نيفادا Sierra Nevada) المعروفة عند العرب باسم جبل شُلّير أو (جبل الثلج)، وهي قريبة إلى أحياء المدينة في الجهة الشمالية الغربية، وتشرف على مجرى نهر حدرّة وعلى حي البيّازين (البائسين).

يجتاز الزائر قصر الحمراء من مدخل يقع مقابل قصر الإمبراطور شارلكان، ويبدو على يمين ويسار هذا المدخل أبهاء عدة عالية يشغلها (متحف الحمراء)، وتنقسم مباني قصر الحمراء إلى جناحين كبيرين هما:

- جناح قمارش: يضم قاعة السفراء، وبرج قمارش الذي يعلوه.
- جناح الأُسود: يتوسطه فناء الأسود.

فناء الريحان الكبير: تتقدمه ساحة البركة Patio de Alberca أو (فناء الريحان) الكبير المستطيل الشكل، تتوسطه بركة المياه وتظللها أشجار الريحان الجميلة.

ونقشت في زوايا فناء الريحان عبارة «النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عبد الله أمير المؤمنين ....» والآية الكريمة (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم).

وفي النهاية الجنوبية لهذا البهو باب عربي ضخم، هدمت المباني التي كانت وراءه، ولم يبق منها سوى أطلال، وتوجد في هذه الأطلال بعض النقوش مثل «لا غالب إلا الله» «عزّ لمولانا السلطان أبي عبد الله الغني بالله» وربما كانت هذه الأطلال بقية الجناح الخاص الذي هدمه شارلكان ليقيم مبنى قصره في جوار الحمراء.

ويؤدي باب فناء الريحان الشمالي إلى بهو صغير اسمه «بهو البركة».

بهو السفراء: يؤدي البهو الذي يلي فناء الريحان من الجهة الشمالية إلى بهو السفراء أو بهو قمارش الذي يعد أضخم أبهاء الحمراء سعةً، أضف إلى ذلك ارتفاع قبته 23م، ولهذا البهو شكل مستطيل أبعاده 18 × 11م، وفيه كان يعقد مجلس العرش. يعلو بهو السفراء برج قمارش المستطيل.

بدأ السلطان أبو الوليد إسماعيل إنشاء قصر قمارش في بداية القرن الثامن الهجري، ثم أكمله من بعده ولده يوسف أبو الحجاج الذي أنشأ برج قمارش وبهوه، كما أنشأ جناح الحمامات السفلي القريب منه، ثم أنشأ ولده محمد الغني بالله بهو البركة، وأنشأ قصر السباع، وتعد زخارف قبته أجمل ما في بهو قمارش.

فناء السرو

يؤدي بهو البركة من جهة اليمين إلى باحة السرو، وإلى جانبها الحمامات الملكية، وأول ما يلفت النظر غرفة فسيحة زخارفها متعددة الألوان مع بروز اللون الذهبي ثم الأزرق والأخضر





والأحمر وفي وسطها نافورة ماء صغيرة، وتعرف باسم غرفة الانتظار. أما الحمامات فتغمرها الأنوار الداخلة عبر كوات بشكل ثريات وأرضها مرصوفة بالرخام الأبيض، ومن الحمام يتم الدخول إلى غرفة الامتشاط والاستراحة التي تكثر فيها الرسوم الغريبة عن الفن الإسلامي، ويتخلل الحمامات أبهاء صغيرة.

قاعة الأختين

تقع في شرق بهو البركة، عُرفت هذه القاعة بهذا الاسم لأن أرضها تحتوي على قطعتين من الرخام متساويتين وضخمتين.

بهو الأسود

تؤدي قاعة الأختين من بابها الجنوبي إلى بهو الأسود أشهر أجنحة قصر الحمراء، قام بإنشاء هذا الجناح السلطان محمد الغني بالله (755هـ/1354-793هـ/1391م). إنه بهو مستطيل الشكل أبعاده 35م × 2م تحيط به من الجهات الأربع أروقة ذات عقود يحملها /124/ عموداً من الرخام الأبيض صغيرة الحجم ولكنها كثيرة الجمال والرشاقة وعليها أربع قباب مضلّعة، في وسط البهو نافورة الأسود الجميلة، على حوضها المرمري المستدير إثنا عشر أسداً من الرخام الجميل، تخرج المياه من أفواهها بحسب ساعات النهار والليل، وقد تعطلت مخارج المياه في هذه البركة حيث حاول الفرنجة التعرف على سر انتظام تدفق المياه بالشكل الزمني الذي كانت عليه، ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الإسلامية استخدمت الفوارات في زخرفة الحدائق العامة والخاصة، وقد وصلت براعة المهندسين المسلمين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حداً كبيراً في صنع أشكال مختلفة من الفوارات يفور منها الماء كهيئة السوسنة، ويتم تغييرها حسب الحاجة ليفور الماء كهيئة الترس وفي أوقات زمنية محددة، ولقد وصلت تقنية الفوارات قمتها في الأندلس حيث تنافس المهندسون الأندلسيون في تزيين حدائق وقصور الخلفاء والأمراء، وتمثل فوارات قصر الحمراء وجنة العريف نموذجاً متطوراً لما وصلت إليه إبداعات المسلمين في ذلك الوقت.

قاعة بني سراج

في منتصف الناحية الجنوبية من بهو الأسود مدخل قاعة بني سراج Sala de Los Abencerrajes الغرناطيين الذين كان لهم دور كبير في الأحداث الأخيرة، ولهذه القاعة شكل مستطيل أبعاده (12م × 8م)، فرشت أرضها بالرخام، وتعلوها قبة عالية في جوانبها نوافذ يتسرب منها النور، وفي وسط القاعة حوض نافورة مستديرة من الرخام.

قاعة الملوك (أو قاعة العدل)

في جهة شرق بهو الأسود مدخل قاعة الملوك Sala de Los Reyes، زين سقف الحنية الوسطى بصور عشرة من ملوك غرناطة تعلوهم العمائم، تعبر ملامحهم عن الوقار والكبرياء، أولهم محمد الغني بالله، وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبي عبد الله، وهناك صور فرسان ومشاهد صيد.

منظرة اللندراخا

في جهة شمال بهو الأسود وقاعة الأختين بهو منظرة اللندراخا Mirador de Lindarata، وذهب بعضهم في تفسير هذا اللفظ بأنه محّرف لثلاث كلمات عربية (عين دار عائشة)، والجدير بالذكر أن عائشة كانت إحدى ملكات غرناطة في القرن الرابع عشر الميلادي، وإن لفظ (عين) يفيد (نافذة)، وتتألف هذه القاعة من بهو صغير مضلّع.

متزين الملكة Peinador de La Reina

جناح علوي صغير في نهاية الطرف الشمالي للحمراء، تحت (برج المتزين) Torre de Peinador الذي يعود إلى عهد السلطان يوسف أبي الحجاج.

والجدير بالذكر أن الجناح المجاور لساحة الإمبراطور شارلكان من جهة الجنوب يحمل







لوحة رخامية تذكارية تذكر أنه كان مقاماً للكاتب الأمريكي (واشنطن إيرفنج) عام 1829 الذي اشتهر بكتابته (فتح غرناطة) و(قصر الحمراء).

الزاوية والروضة

وهناك منطقة مهجورة من القصر في جهة الغرب كانت زاوية أو مصلّى فيها ميضأة وقاعدة مأذنة وكانت خرائب الروضة مدفناً لملوك بني نصر ملوك غرناطة في جهة جنوب باحة السباع. وعثر في الروضة على شواهد عدة لقبور تعود لملوك غرناطة.

المسجد والكنيسة

وحلّ محل مسجد الحمراء في وسط الهضبة في جنوب الروضة مبنى كنيسة سانتاماريا، وقد أمر السلطان محمد الثالث 1302-1309 ببنائه وجعله أفخم مساجد غرناطة.

نقوش الأبراج

زينت الأبراج بنقوش جميلة مثل برج الأسيرة Torre De La Cautiva الذي بناه السلطان يوسف أبو الحجاج.

جنة العريف

بالقرب من قصر الحمراء وعلى بعد 1000م منه يوجد قصر جنة العريف الذي شيد في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ويقع شمال شرقي قصر الحمراء فوق ربوة مستقلة ومن ورائه جبال الثلج. وقد غرست في ساحات القصر وأفنيته الرياحين والزهور الفائقة الجمال حتى أصبح هذا القصر المثل المضروب في الظل الممدود والماء المسكوب والنسيم العليل وقد اتخذه ملوك غرناطة منتزهاً للراحة والاستجمام.

قصر الإمبراطور شارلكان

قضى شارلكان على تراث الأندلس وآثارها، وهدم قسماً كبيراً من قصر الحمراء ليبني قصره عام 1527م. وتابع ولده فيليب الثاني (1556-1598) تخريب قصر الحمراء وتشويهه. وأدى الإهمال إلى الخراب. وفي عام 1590 حدث حريق ألحق الضّرر بهذا القصر الأثري. وفي فترة الغزو الفرنسي نسف الفرنسيون بعض أبراج قصر الحمراء. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر أدركت إسبانيا في عهد شارل الخامس إلى المعماريين Pedro Luis de Mechuea بترميم القصر واعتباره

أثراً للنهضة الإسبانية، وفائدة المحافظة عليه للسياحة.

وبعد ذلك مرت فترة طويلة من الإهمال الشامل حتى عام 1828 حيث عهدت الأعمال الضخمة لإعادة القصر وترميمه وتأهيله إلى المهندس المعماري jose Contraras ومن ثم تابع العمل ابنه Rafael ثم حفيده Mariano الذين قادوا العمل وأوصلوا القصر إلى الحالة الراهنة.

ويعتبر قصر الحمراء إلى جانب وجاهته الحضارية الإسلامية أيضاً متحفاً غنياً يحتوي على مجموعة كبيرة من الأثاث الإسلامي والرخام والأواني الخزفية المسماة بالحمراء وهي نماذج نادرة من الفن الإسلامي الأندلسي. واليوم تسعى أسبانيا للحفاظ على هذا الأثر الحضاري والإسلامي الراهن لما تجنيه من فوائد إعلامية حضارية وثقافية وسياحية وكذلك مادية كبيرة جداً من خلال ملايين السائحين الذين يزورونه سنوياً.

ويبقى قصر الحمراء درة الحضارة الإسلامية ترمز إلى التقدم في فن العمارة والزخرفة الإسلامية أينما وُجدت.

لقد قضى الإسبانيون على دولة غرناطة ولكن آثار العرب والمسلمين فيها ما زالت خالدة تبهج الأبصار وتملأ النفوس بمشاعر الحزن.

رابط لفيلم وثائقي لقصر الحمراء:
http://www.youtube.com/watch?v=6J2LB8v435I



نزار قباني

غرناطة

في مدخل (الحمراء) كان لقاؤنا
ما أطيب اللقيا بلا ميعادِ

عينان سوْداوانِ .. في حَجْرَيْهِما
تتولدُ الأبعادُ من أبعادِ

هل أنتِ إسبانيّةٌ .. ساءلتُها
قالتْ: وفي غرناطةٍ ميلادي .

غرناطةٌ! صحتْ قرونٌ سبعةٌ
في تَيْنِكَ العينينِ .. بعد رُقادِ

وأُميّةٌ .. راياتُها مرفوعةٌ
وجيادُها موصولةٌ بجيادِ ..

ما أغربَ التاريخَ .. كيف أعادني
لحفيدةٍ سمراءَ .. من أحفادي

وجهٌ دمشقيٌّ .. رأيتُ خلالَهُ
أجفانَ بلقيسٍ .. وجيدَ سُعادِ

ورأيتُ منزلَنا القديمَ وحجرةً
كانتْ بها أمّي تمدُّ وسادي

والياسمينةَ رُصعتْ بنجومها
والبِرْكَةَ الذهبيّةَ الإنشادِ ..

✹

دمشقُ .. أين تكونُ؟ قلتُ: تَرَيْنَها
في شعركِ المنسابِ نهرَ سوادِ

في وجهكِ العربيِّ، في الثغر الذي
ما زال مختزناً شموسَ بلادي

في طيب جنات (العريف) ومائها
في الفُلِّ، في الريحانِ، في الكبادِ

✹

سارتْ معي .. والشَعْرُ يلهثُ خلفها
كسنابلٍ تُركتْ بغير حصادِ ..

يتألقُ القُرْطُ الطويلُ بجيدها
مثلَ الشموعِ بليلةِ الميلادِ ..

ومشيتُ مثل الطفل خلف دليلتي
وورائيَ التاريخُ .. كومُ رمادِ ..

الزخرفاتُ أكادُ أسمعُ نَبْضَها
والزركشاتُ على السقوفِ تنادي

قالتْ: هنا الحمراءُ .. زَهْوُ جدودِنا
فاقرأ على جدرانها أمجادي

أمجادُها!! ومسحتُ جرحاً نازفاً
ومسحتُ جرحاً ثانياً بفؤادي

يا ليت وارثتي الجميلةَ أدركتْ
أنّ الذين عَنَتْهُمُ أجدادي..

✹

عانقتُ فيها عندما ودّعتُها
رجلاً يسمّى (طارقَ بنَ زيادِ)..

كتاب جديد يستعرض تاريخ أمريكا من روزفلت حتى أوباما

طرحت في المكتبات الفرنسية، أحدث الكتب التي تتناول تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، في إطار سلسلة الكتب، التي تصدرها صحيفة (لوموند) الفرنسية كبرى الصحف وأوسعها انتشاراً على مستوى العالم، والكتاب بعنوان (الولايات المتحدة من روزفلت حتى أوباما) ، من إعداد آلان فراشويد.

يتعرض الكتاب لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية؛ حيث أصبحت قائدة في المعسكر الغربي، واستطاعت أن تصدر أسلوب حياتها ومنتجاتها إلى العالم الخارجي .

ويكشف الكتاب وضع الولايات المتحدة، التي أصبحت القوة الاقتصادية والثقافية والسياسية في العالم، كما يتحدث عن منافسة الصين لها، والتي تهددها بأنها ستنتزع منها الريادة في العالم، خاصة بعد أن سببت الأزمة الاقتصادية، التي يتعرض لها العالم اليوم في ضعفها، رغم محاولاتها العديدة لتخطي هذه الأزمة.

(موتى يجرون السماء) ديوان

الشاعر موسى حوامدة



غلاف ديون (موتى يجرون السماء)

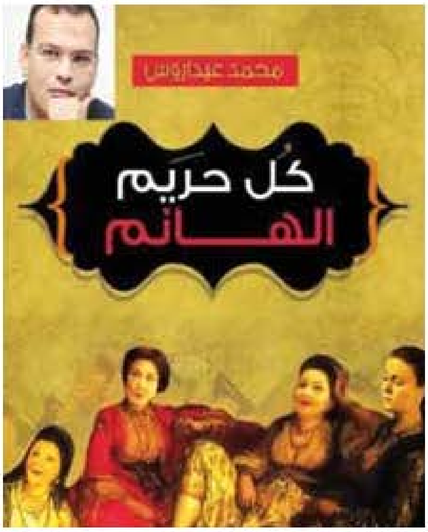
صدر حديثاً عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة (إبداع عربي) ديوان شعر بعنوان (موتى يجرون السماء) للشاعر موسى حوامدة.

ويضم الديوان 21 قصيدة منها: (حين يأتي الموت)، (الشبيهة)، (شجرة الموتى)، (كما ليلى يطرق باب الفجر)، (مقام الدهشة)، (هناك عند حافي الأغاني)، (أخشى المساحة التي تلي العتمة).

وتعتبر هذه المجموعة الثانية لموسى حوامدة التي تصدر في القاهرة بعد المختارات الشعرية التي أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة آفاق عربية والتي جاءت تحت عنوان (سلالتي الريح عنواني المطر) عام 2010.

(كل حريم الهانم) كتاب يرصد صراع سوزان مبارك مع قرينات الملوك والرؤساء

محمد عيداروس



غلاف كتاب (كل حريم الهانم)

صدر قبل أيام في القاهرة كتاب (كل حريم الهانم) للكاتب محمد عيداروس يتناول فيه عدداً كبيراً من الشخصيات النسائية التي التصقت بسوزان مبارك زوجة الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك وكن سبباً في تحويلها إلى شخصية ديكتاتورية أو كانت هي سبباً في تحويلهن إلى شخصيات هامة في مصر .

وصدر الكتاب عن دار (بوك هاوس) للنشر في 220 صفحة من القطع المتوسط ويرصد الحقبة التي حكم فيها (مبارك) مصر من خلال رحلة زوجته التي كانت تحلم في طفولتها بأن تكون راقصة باليه فإذا بها تتحول إلى سيدة مصر الأولى مروراً بالنساء اللاتي أثرن في حياتها بداية من السيدة الروسية التي علمتها فن الإتيكيت ونهاية بالوزيرات وسيدات الأعمال اللاتي دخلن إلى عالم الثروة و السلطة من خلالها.

ولم يكن كاتب مصري على مدار سنوات حكم (مبارك) يجرؤ على الحديث عن زوجته سوزان ثابت التي كان معروفاً أن لها سطوة قوية وتتدخل بشكل صريح في الكثير من شؤون البلاد.

ويضم الكتاب العديد من القصص المثيرة التي تفوح منها رائحة الفساد بدأها الكاتب بتناول أدق أسرار سوزان ثابت منذ طفولتها وفي مراحلها الدراسية المختلفة مروراً بقصة زواجها من (مبارك) وعلاقتها بجيهان السادات زوجة الرئيس المصري الأسبق أنور السادات.

ويقسم الكاتب فترة حكم (مبارك) من وجهة نظر زوجته إلى مرحلتين الأولى تلك التي ابتعدت فيها عن أمور الحكم والثانية التي تدخلت فيها في كل صغيرة وكبيرة في مصر حتى أسقطت عن عمد الحد الفاصل بين خزائن الدولة وحقيبة يدها فأصبح كل شيء مستباحاً لها.

ويتوغل الكتاب في عمق علاقة سوزان بنجلها جمال وتفضيلها له على شقيقه علاء وكيف كان يدار بيت الرئيس من الداخل سواء في الزواج أو المشكلات العائلية.

ويحاول الكاتب جاهداً رصد أسباب تلقيب سوزان ثابت بـ (الهانم) من خلال السمات التي عرفت عنها من غيرة وحسد وحب للانتقام خاصة في علاقاتها بزوجات الملوك والرؤساء وصراعها الصريح مع بعضهن مثل الشيخة موزة زوجة أمير قطر.

ولكن يبقى الجزء الأكثر تشويقاً في الكتاب هو ذلك الذي يغوص في علاقات السيدة الأولى السابقة دائمة التوتر مع المذيعات والفنانات اللائي ظنت أنهن يحاولن تقليدها أو خطف الأضواء منها.

وينتقل الكتاب بعد ذلك لرصد رحلة صعود العديد من السيدات اللائي اقترن اسمهن بسوزان ثابت خاصة اللائي أغدقت عليهن من ثروات البلاد بعدما أدرك الجميع أن مفاتيح الثروة والسلطة تتركز في يدها حيث كان معروفاً احتفاظها لنفسها على مدار سنوات طوال بنسبة محددة في

المناصب الوزارية والقيادية في مصر.

ويدخل الكتاب مع حريم الهانم في مجموعة من القصص الشيقة عن السيدة التي ضمنت سوزان ثابت في أقساط (ثلاجة) في بداية حياتها فردت لها الجميل بأن أهدتها جانباً من دخل بترول مصر وأخرى انحنت على يدها لتقبلها فأبقتها على كرسي الوزارة وثالثة رافقتها كمرشدة سياحية في رحلاتها لبيروت فكان الثمن إهداء زوجها كرسي الوزارة رغم تقارير أمنية حذرت منه.

كما يحكي الكتاب عن سيدة أخرى كانت أستاذتها في الجامعة الأمريكية وساعدتها في إعداد أبحاثها فكافأتها بمقعد رئاسة المجلس القومي للمرأة.

وتمت تبرئة سوزان ثابت من قضايا كثيرة أقيمت ضدها وخرجت من السجن بعد قليل من الثورة المصرية التي أطاحت بحكم زوجها بعدما دفعت 24 مليون جنيه لخزينة الدولة قالت إنها كل ما تملك بينما يرى كثيرون أن الأموال التي حصلت عليها بدون وجه حق تقدر بمئات الملايين ويطالبون بمحاسبتها على فساد مالي وسياسي.

(ناس من دبلن)

جيمس جويس

ترجمة عنايات عبد العزيز

صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلاسل مكتبة الأسرة. المجموعة القصصية (ناس من دبلن) لجيمس جويس (1882 - 1941). ترجمة عنايات عبد العزيز.

وتعالج هذه المجموعة حياة الأهالي في دبلن وعاداتهم وتقاليدهم والحالة الروحية في الفترة بين الاحتلال والاستقلال.

وتكشف المجموعة أيضاً، طموح جيل للانتقال إلى مثل أعلى، باحثاً عن الجذور التي تبنى عليها حياة جديدة ترتبط بالحياة الحديثة وقيم التقدم، وكأن الكتابة عن دبلن هي الكتابة عن قلب كل مدن العالم.

يذكر أن جيمس جويس ولد في دبلن بأيرلندا في أسرة كاثوليكية، وهو واحد من كتاب الحداثة الكبار في القرن العشرين، وتمتاز أساليبه الأدبية المتناقضة والمتنوعة بخبرة أدبية كلاسيكية غنية ومهارة لغوية مثيرة للجدل، وغامضة في آن واحد، ترجمت له إلى العربية (صورة الفنان كشاب)، و(عوليس)، ومسرحيتي (د.ستيفن)، و(منفيون).

الثّورة المصريّة: الدّوافع والاتجاهات والتحديات

مجموعة من المؤلفين



غلاف كتاب الثورة المصرية

خالد وليد محمود

أصدر (المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات) كتاباً جديداً عنوانه (الثّورة المصريّة: الدّوافع والاتجاهات والتحديات) في 608 صفحات من القطع الكبير.

ويعد هذا الكتاب من الأعمال القليلة جدًا التي صدرت حتى الآن، وتصدت بالتحليل للثّورة المصريّة في محاولة لاكتشاف الدوافع الحقيقيّة لها؛ هذه الثّورة التي اعتبرها محمود عبد الفضيل في تقديمه لهذا الكتاب حلقة جديدة من حلقات الثّورة الوطنيّة الديموقراطيّة منذ ثورة أحمد عرابي في سنة 1882 مروراً بثورة 1919، حتى ثورة 23 يوليو 1952، ووصفها بأنها (عودة الروح) إلى الشعب المصري بعد أربعين عاماً من الموت والركود السياسيّ. وهذا الكتاب يقدم قراءة تحليليّة وتوثيقيّة متعدّدة الأبعاد لهذه الثّورة، ويضع بين أيدي القراء ورجال التاريخ والإعلام شبه يوميات لهذه الحركة. الأمر الذي يتيح لنا اكتشاف قوّة الشعارات التي رفعتها، ولا سيّما شعار (الحريّة والعدالة والكرامة)، وكذلك الزخم الكبير للقدرة الشعبيّة الذي ربما يجد تفسيره في حجم الغضب الذي كان كامنًا في صدور الناس الذين طالما شعروا بإهانة كراماتهم، وتجسد في ميدان التحرير الذي بات فضاءً جديداً للحريّة تمكن من فتح فجوة في الجدار السياسيّ نحو التغيير الديموقراطيّ.

وشارك في تأليف هذا الكتاب نخبة من الباحثين الذين توزعت دراساتهم على الجوانب المتعددة للثّورة المصريّة، وجاءت على النحو التالي: لماذا قامت الثّورة؟ (علي ليلة)؛ محاولة لفهم الثّورة المصريّة (علي الرجّال)؛ القائد والفاعل والنّظام (أمل حمادة)؛ رمزيّة ميدان التحرير (آية نصار)؛ الاتجاهات المناطقيّة وعلاقتها بالمركز (جمال زهران)؛ توثيق الثّورة وعلاقتها بالمركز (محمد صابر عرب)؛ التعدديّة الحزبيّة والثّورة (أحمد عبد ربه)؛ الإسلاميون والثّورة (أميمة عبد اللطيف)؛ الإعلام الجديد وفرص التحوّل الديموقراطي (نرمين سيد)؛ المعارضة الالكترونيّة وعلاقتها بالتحوّل الديموقراطيّ (علاء الشامي)؛ الإعلام المصري والثّورة (محمد شومان)؛ الثّورة المضادّة (رابحة سيف علام)؛ اقتصاد ما بعد الثّورة (غادة موسى)؛ محدّدات مسار التّحول في مصر (شيماء حطب)؛ المجلس الأعلى للقوات المسلّحة حاكماً سياسياً (باكينام الشرقاوي)؛ مستقبل العلاقات المصريّة – الإسرائيليّة (عبد العليم محمد)؛ فاعليّة الإرادة وإدارة الفاعليّة (عبد الرحمن حسام).

أوراق مهربة من الأراضي المحتلة

مرمر القاسم

صدر حديثاً عن دار فضاءات كتاب (أوراق مهربة من الأراضي المحتلة) للكاتبة الفلسطينيّة مرمر القاسم. (أوراق مهربة من الأراضي المحتلة) تمرّد فتاة على ازدواجية الواقع، الذي أصبح بفعل الاحتلال عالمها كله، الذي لا يمكنها الفرار منه، ومن هنا يكسب أهمية إضافية إذ يصف دواخل نساء كثيرات ورجال كثر داخل الخط الأخضر...

حيث تكتب القاسم:



لا احد يختار مصيره في مثل هذا الظلام وصمته الرهيب
في وفقتي العزلاء بين السيف والدهر
وفي زمن الذل والهوان
نخر العهرُ رداء الكرامة..



غلاف كتاب أوراق مهربة

طموح لم يتحمله بشر

د. رشا الجندى

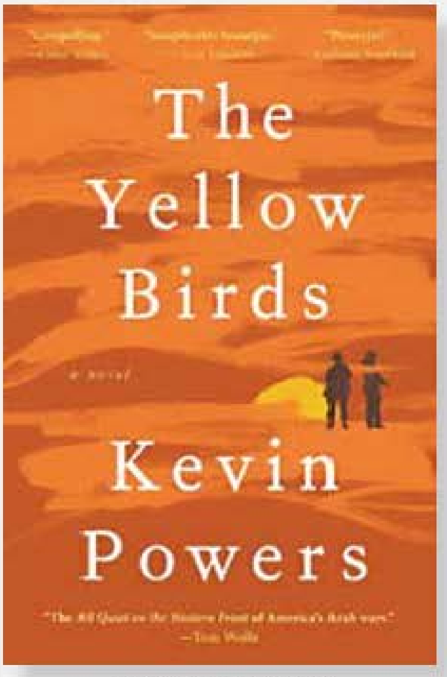


أصدرت مكتبة الأنجلو المصرية، مؤخراً، كتاباً للدكتورة رشا الجندى بعنوان (طموح لم يتحمله بشر) ويجمع الكتاب بين سيكولوجية (العلم، النفس، السياسة، الاقتصاد، الدين، المتعة) في آن واحد.

كما أوضحت الكاتبة أن الكتاب هو نتاج لعشر أعوام من البحث المتواصل، أجرت خلالها لقاءات مع تسعين عالماً بأنحاء العالم بمجالات (علم النفس – السياسة – الاقتصاد – القانون – الدين – التربية – التنمية البشرية – المناهج – الإعلام).

رواية الطيور الصفراء

كيفن باورز



غلاف رواية الطيور الصفراء

صدور رواية (الطيور الصفراء) شهادة في قالب قصة عن الغزو الأمريكي للعراق، كتبها جندي أمريكي قضى عامين ما بين الموصل وتلعفر، وهي المدة ذاتها التي يقضيها بطل قصته في خضم الحرب على هذا البلد العربي.

القصة كتبها كيفن باورز، لتكون باكورة أعماله في عالم القصة وإطلالته الأولى على هذا العالم الإبداعي.

وتتحدث عن جندي شاب في قوات الغزو الأمريكي للعراق كتب عليه أن يشهد أهوال الحرب وأن يتورط في جرائمها باسم الواجب، وبين مشيئة المقادير والحرب التي تأخذ كل ما يمكنها أن تأخذه وداهم الجندي الشاب جون بارتل في أحلامه تمضي القصة بإيقاع مثير يحمل في كلماته المشحونة محنة فقد شاب فيها براءة الروح، فضلا عن الدمار الأخلاقي والنفسي.

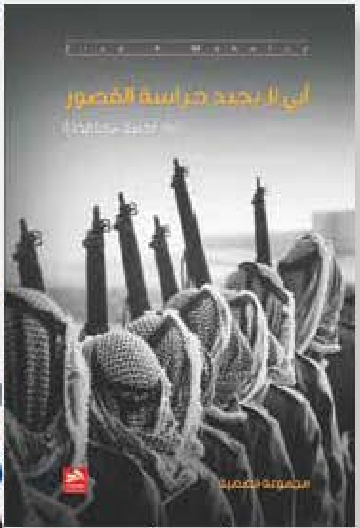
ويرتبط بطل القصة بصداقة مع جاويش في جماعته يدعى (ستيرلينج) يعشق فلسفة عدمية ويتفوق في قتل العراقيين، ورغم كراهية الجندي الشاب جون بارتل لجرائم الرقيب ستيرلينج، فإنه عاجز عن الخلاص من صداقته فهو يشكل له «ضرورة» بالمعنى النفسي العميق.

ومع أنها القصة الأولى لكيفن ومع التسليم بضرورة عدم التعجل في إطلاق أحكام قاطعة من قبيل القول بمولد قاص موهوب، فقد نوه نقاد بأن المؤلف الشاب نجح في التعبير بحساسية عالية عن رجال في حرب ربما مع أنفسهم قبل الآخرين.

إنها قصة تستدعي سؤالاً كبيراً ومركباً: «ما الذي حدث بالضبط؟ وماذا عن التكاليف الإنسانية وخرائط الروح حتى بالنسبة للقتلة لا الضحايا؟ وهل تكفي مياه دجلة والفرات لتطهير أيادي مقترفي كل هذه الجرائم في حق العراقيين والإنسانية كلها؟».

أبي لا يجيد حراسة القصور

زياد محافظة



غلاف المجموعة القصصية

صدرت عن دار فضاءات للنشر في عمّان، مجموعة قصصية للروائي الأردني زياد أحمد محافظة، بعنوان: (أبي لا يجيد حراسة القصور).

زياد محافظة القاص والروائي الأردني، يمر بلغته الشفيفة كنصل الماء، يسكنك لتظل تشعر بخفة عاشق مر وما تركك إلا وأقام، ترتشف نصه لكنك تحس بعطش كلما قاربت الارتواء، قاص يؤثث لمشهد قصصي متميز، فهو يحضر اسمه حضر الواثق من بنائه السردي ومفردته المتعددة الدلالة وكأن نصه في قمة سرديته المحكمة قصيدة شعر تتقصد تكثيف المعنى.

وتشكل المجموعة القصصية، انعطافاً نحو عالم داخلي، فهي تؤشر

بعبثية لـزلات الحياة قبل أي شيء آخر. وبقدر ما تنبش في واقع نتفادى التحرش بـه، بقدر مـا تشفّ لتكشف ضعفَ الإنسان حين تتطلب الحياة قوةً وصلابة، وجبروته حين تقضي الحاجةُ رفقاً وليناً. ولعلها ببساطة محاولةٌ مـاكـرة لـلإيـقـاع بـالآخـر، عـبر دفعه للتعرف بصدق على ذاته، والوقوف ولو دقيقة واحدة على وجعها وانكسارها.

تعيشُ النماذج البشرية التي تبني عليها المجموعة القصصية عالمها الحكائي بيننا، فهي تفكك العادي واليومي من حياة البشر، وعبر استدراجهم للبوح بشفافية، تمضي بهم نحو فهم أكثر عمقاً لواقعهم المربك، ولعلها تمثل وفق هذا السياق، فسحةً للتأمل في هذه العالم الغارق في فوضاه، ورهاناً على الآتي؛ على الإنسان البسيط، الساعي دوماً للامتلاء بذاته، بعيداً عن تجاذبات الحياة وعراكها المتواصل، وهي أيضاً محاولةٌ للإصغاء لأولئك الذي يمرّون قربنا بدون أن نلتفتَ إليهم، لأصحاب الصوت الخافت، الأكثر صدقاً وعفوية.

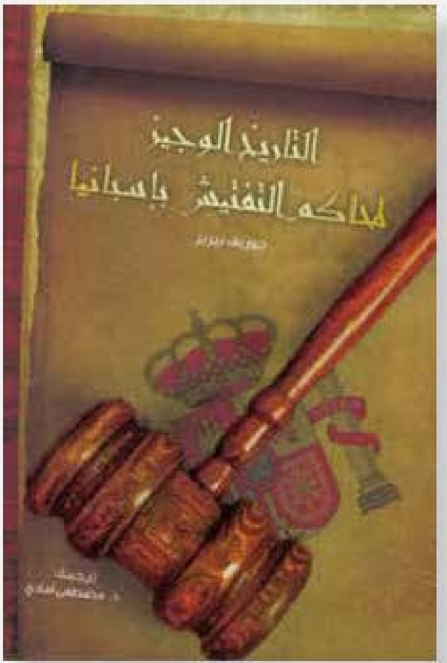
تضم المجموعة اثني عشرة قصة قصيرة حملت عناوين: (ثوب في المطار، سيرة ذاتية برغوة القهوة، الموتى لا يفشون الأسـرار، أبي لا يجيد حراسة القصور، سواء القطط، الشخص الذي لا يملك جسده، معارك في مقهى الشرق، وشاية العندليب، حيرة الملائكة عند صلاة العشاء، عندما تبكي الخيول، الخارجان عن النص، وحظك اليوم).

ومحافظة كاتب وروائي أردني مقيم في أبو ظبي، يحمل عضوية رابطة الكتّاب الأردنيين، وعضوية منتسبة لاتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ورابطة أبوظبي الدولية للتصوير الفوتوغرافي. صدرت له في بيروت رواية: (بالأمس كنت هناك)، ورواية (يوم خذلتني الفراشات) التي ترشحت للقائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب 2012.

التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا

جوزيف بيريز

ترجمة: د.مصطفى أمادي



غلاف التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا

أصدر مشروع (كلمة) للترجمة في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة كتاباً جديداً بعنوان: (التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا) للمؤلف جوزيف بيريز، ونقله إلى العربية د.مصطفى أمادي.

يتحدث الكتاب عن محاكم التفتيش الإسبانية التي عاقبت المهرطقين والآلاف من الضحايا الأبرياء، من أجل مساعدة الكنيسة على التحكم في الشأن السياسي والعام.

ويأخذ المؤلف بعين الاعتبار في هذا الكتاب التاريخي، مجموعة من المساهمات التي كتبت حول محاكم التفتيش، حيث يحلل بنظرة تاريخية عميقة وإن كانت موجزة، عن علاقة الفكر بالسياسة، ويطرح كذلك، مجموعة من التساؤلات ذات الصلة بنظام ومحاكم التفتيش وتمويلها، كما يوضح الأهداف من إنشاء هذه المحاكم والعواقب المترتبة عنها، وإصدار فهارس بأسماء الكتب المحظورة، بالرغم من أهميتها وقيمتها المعرفية.

كما يعالج الكتاب الصورة التي كانت عليها محاكم التفتيش بإسبانيا، في المناطق التي كانت تحت سلطة الملكين فرديناند وإيزابيلا، ثم تحت حكم آل هابسبورغ، وأخيراً، تحت حكم أوائل البوربونيين، ويتعرض إلى مواضيع من مثل: المسلمين، العرب، اللوثرية والإيراسموسية، التحولات الصوفية، الإيمان والأخلاق، الجهاز الإداري والمالي لمحاكم التفتيش، المحاكمات والسلطات التنفيذية والسياسية لمحاكم التفتيش، إلخ..

والمؤلف جوزيف بيريز من مواليد سنة 1931 بفرنسا، أستاذ متخصص في التاريخ والحضارة الإسبانية بجامعة بوردو، ورئيس الجامعة نفسها من سنة 1978 إلى 1983.

تقلد عدة مناصب مثل: مدير مؤسسة دار بيلاسكيث بإسبانيا وعضو مراسل لمجموعة من الأكاديميات الدولية، ألّف ما يزيد على أربعين كتاباً، ترجمت إلى العديد من اللغات كالإسبانية والإيطالية والألمانية والإنجليزية واليابانية.

نقل الكتاب إلى العربية الدكتور مصطفى أمادي أستاذ بجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء، منسق وحدة البحث في المخطوط الأندلسي ورئيس مركز الدراسات الإيبيرية والإيبيرو أمريكية، من بين مؤلفاته: مسار المخطوط الأندلسي 2008، والمخطوط الصوفي الأندلسي 2010، وتاريخ تطور المصطلحات من أصل عربي في القواميس الإسبانية 2010، ترجم العديد من المؤلفات، وهو عضو في العديد من المجلات والدوريات الثقافية وأستاذ محاضر بمجموعة من الجامعات الدولية كالبرازيل وشيلي، وإسبانيا وفرنسا والكويت.

في خيمة القذّافي

غسان شربل

في كتابه الصادر مؤخراً عن دار (رياض الريّس للكتب والنشر) في بيروت، والذي حمل عنوان (في خيمة القذّافي)، يتناول الكاتب والصحافي اللبناني غسان شربل شخصية الرئيس الليبي الراحل العقيد معمّر القذافي وتاريخه وسيرته، عبر أحاديث مع مجموعة من عارفيه الذين «يكشفون خفايا عهده»، كما ورد على الغلاف، وهم: عبد السلام جلود الذي كان لفترة طويلة الشخص الثاني في حكم ليبيا، عبد المنعم الهوني، عبد الرحمن شلقم، علي عبد السلام التريكي ونوري المسماري.

ورغم أن الكتاب يجمع بين الصحافة والتاريخ، ويكشف عن شغف مؤلّفه بالسياسة والأمن، فإنه ليس مجموعة حوارات صحافية فحسب، ولا هو



غلاف كتاب في خيمة القذافي

كتاب توثيق لأربعة عقود من تاريخ ليبيا تحت حكم القذافي، بل شهادات ووقائع يرويها خمسة من قادة الثورة التي أطاحت النظام الملكي الليبي عام 1969 بزعامة معمر القذافي، والذي تحوّل في سنوات إلى الحاكم الأوحد حتى مقتله عام 2011.. وفي المحصلة، تتعدّد قراءة هذا الكتاب، فمن شاء أن يقرأه سياسياً، فهو يجد فيه ضالته، ومن شاء أن يقرأه تاريخياً وتوثيقياً، فهو يكتشف فيه مادّة مهمة، لا سيما في ما يرتبط بثورة الفاتح من سبتمبر وتفاصيلها العسكرية وكذلك الحقبة التي أحكم المستبدّ قبضته فيها، ومن أراد البحث عن مواصفات القذافي بصفته (ديكتاتوراً) نموذجياً، متفرّداً بملامحه وعاداته و(خصاله) غير الحميدة، فهو يواجه حكايات ووقائع غريبة تفوق التصوّر.

وفي حواراته مع الرجال الخمسة، اعتمد شربل أسلوب (الدردشة)، كما يقول، مستنطقاً ومستدرجاً إياهم، وكي تكتمل الصورة أمام القارئ، كرّر بعض الأسئلة على محاوريه، فأجمعوا كلهم على بعض الأمور، وأخفى بعضهم أشياء وصرّح بأمور أخرى، وتكتّم بعضهم، فإذا بالحوارات مجتمعة تكشف ما خبّأه البعض، وإذا بالكتاب يبدو أشبه بمسرحية يتناوب على الكلام فيها خمسة أشخاص، يكشفون سمات خفيّة وغير خفيّة في شخصية الرجل وفي حياته، بما يتيح للقارئ أن يستخلص صورة مركّبة عن رجل، لم يكن طاغية فحسب، بل كان شخصية استعراضية معقدة.. أما الكاتب، فيقارب الأحداث من دون (تابوات) مسبقة ومن دون هواجس مقلقة، إذ يسأل ويحرّر ويدوّن ويسجّل ويناقش ويحلّل ويقارن المعلومة، ويتجاوز كل ذلك إلى الفضاء الأوسع، وإلى ما يجمع بين (الطغاة) في المنطقة، ويحاول أن يخرق بحذر شديد الثوابت الثقافية والأيديولوجية والسياسية القائمة.

من شخصية إلى أخرى، ومن حوار إلى آخر، يبدو الكتاب أشبه بالاعترافات السياسية القائمة عن أنظمة حكمت باسم (أيديولوجيات) ظلّت قائمة، إذ ترسّخت في اعترافات الخمسة مفاهيم القمع على الصعد كافة.. وبأسلوبه الأدبي الوصفي، يقول شربل في مقدمة الكتاب، والتي رسم فيها صورة نموذجية للقذّافي كما استخلصها بوقائعها وتفاصيلها: لا يلتفت المستبد إلى ساعته، شمسه لن تغرب، أوقفه التاريخ في مهمة مفتوحة، كلّفه اختراع بلاده، إخراجها من ركامها.

من خوفها المزمن وانتظارها الطويل، كلّفه وأطلق يده، تفويضه من رحم الأمة، لا يحتاج إلى استجداء الشرعية من (العملاء) و(العبيد) و(الجرذان) و(الكلاب الضالّة).

ويضيف: «كان يستعذب اللعب بالمصائر، يخترع أشخاصاً ويخترع لهم أدواراً، يدفعهم إلى أعلى ثم يخفضهم، يدخلهم السجن ويعيدهم إلى مكاتبهم».

ينظّم أعمارهم على عقارب مزاجه المتقلّب، سيثأر من فقر طفولته ومن استضعاف الآخرين لعائلته المباشرة.

سيحتقر الجميع، وفي ساعة الغضب سيقول للناس: من أنتم؟

يصف شربل القذافي بـ(النكبة التاريخية)، مستعيراً بعض ما قيل عن (القائد التاريخي)، فإن الغلاف الأخير للكتاب يلخّص حكم الرجل بكل الخيوط في يد رجل واحد، والرجل مريض، يهرب إلى الصحراء مع خيمته، لا يحبّ توقيع الأوراق، الأوامر شفهية، سواء كانت لإنفاق الملايين أو للقتل، احتقاره لشعبه لا ينفصل عن احتقاره لكل القواعد الدولية والأعراف، يرسل المتفجرات في كل اتجاه، وستنفجر عبواته جواً وبحراً وبراً، وفي بلدان قريبة وبعيدة، كان يبتهج بإضرام النار في الرداء الأميركي، ويكره السوفييت ويشتري منهم الترسانات.

حاكمة قرطاج.. الاستيلاء على تونس

نيكولابو وكاترين غراسياي

ترجمه عمر بن ضو وكمال البجاوي وإبراهيم بن صالح



غلاف كتاب حاكمة قرطاج

(حاكمة قرطاج.. الاستيلاء على تونس) كتاب جديد أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهو من إعداد نيكولابو وكاترين غراسياي، وترجمه للعربية عمر بن ضو وكمال البجاوي وإبراهيم بن صالح وآخرون.

والكتاب يعد واحداً من أهم الكتب التي صدرت في الفترة الأخيرة، فقد كان الحصول عليه أمر بالغ الصعوبة، فهو يفصل القول ويرصد سيرة حياة ليلى الطرابلسي زوجة زين العابدين بن علي الرئيس التونسي الهارب بدءاً من أسرتها المتواضعة ودراستها في معهد الحلاقة ثم حياتها القلقة وحتى أصبحت صاحبة السيادة في تونس.

والكتاب يتناول ألوان الفساد السياسي والمالي داخل البلاد التونسية، كما يرصد للفتن والدسائس داخل قصر قرطاج وكيف كانت تتحرك الأمور وتدار الدولة، ويتكون من مقدمة وتسعة فصول إضافة للخاتمة وصدر في نحو مائتي صفحة .



هؤلاء غيروا حياة البشرية

تاريخ البريد الألكتروني



ناصر الزمل

كاتب وصاحب موسوعة
أحداث القرن العشرين

ثلاث من وسائل الاتصال غيرت أساليب التخاطب والاتصال بين بني البشر في أرجاء المعمورة كافة، وصارت تواريخ ابتكارها نقاطاً مضيئة في تاريخ البشرية الحديث، وبات مخترعوها من المشاهير الذين لولاهم، لما بدت الدنيا كما هي اليوم.

في الرابع والعشرين من أيار/مايو 1844 أرسل صامويل ب. مورس، مخترع التلغراف، برقية كتب فيها: «ماذا خلق الله». لم يكن مورس يعلم أنه بإرساله تلك البرقية إنما كان يصنع التاريخ، ولكنه كان كذلك في واقع الأمر، فقد كانت تلك أول برقية ترسل في التاريخ، ومنذ ذلك اليوم ومورس واحد من عظماء العالم في مجال الاختراعات العلمية.

وفي العاشر من آذار/مارس 1876، اتصل ألكسندر جراهام بل، مخترع الهاتف، بأحد مساعديه قائلاً: «سيد واتسون.. تعال، أريدك هنا». وذعر واتسون الذي كان يستمع إلى صوت يفترض في حسابات المنطق والمعروف آنذاك أنه آت من مكان بعيد لا يمكن للصوت أن يصل خلاله إلا بمعجزة وكانت تلك معجزة حقاً، فقد كان واتسون يستمع إلى أول مكالمة هاتفية في التاريخ.

واليوم، لا يكاد يوجد من لا يعرف من هو ألكسندر جراهام بل؟ فحتى تلاميذ المدارس الصغار يعرفون أنه مخترع الهاتف.

وفي العام 1895 أرسل الإيطالي جولييلمو ماركوني، صوته عبر الهواء مدشناً أحد أعظم مخترعات عصرنا، وأعني به الاتصال اللاسلكي، وعلى الرغم من أنه حرم من تسجيل كلماته الأولى عبر اختراعه، فإن ماركوني نال ما لم ينله سابقاه، جراهام بل ومورس من شهرة وتقدير، فقد كرم ماركوني بحصوله على جائزة نوبل للفيزياء عام 1909.

لقد غيرت وسائل الاتصال هذه وجه العالم وحفرت أسماء مخترعيها عميقاً في سجل التاريخ، فمن يمكنه تصور الحياة الحديثة من دون وسائل الاتصال التي قدمها هؤلاء الثلاثة للبشرية؟

لكن الاختراعات في مجال الاتصالات لم تتوقف عند هؤلاء المخترعين الثلاثة، فقد جاء اختراع رابع ليمثل ذروة الاتصالات بين بني البشر في عالم اليوم، وأعني بذلك البريد الالكتروني الذي دخل حيز الوجود في سبعينيات القرن الماضي، والذي أصبح الاتصال عبره عنوان الحداثة في عالمنا المعاصر.

لقد كان كل من هذه الاختراعات ثورة في عالم الاتصال، وصنع كل منها لمخترعه مجداً يستحقه وخلده في كتب التاريخ، إلا رابع هؤلاء المخترعين الذي جحده اختراعه وتفوق عليه شهرة، واضعاً إياه في الظل، ففي حين حاز المخترعون الثلاثة الأوائل شهرة مدوية وكتبت أسماؤهم في سجل الخلود، ما زال مخترع البريد الالكتروني وواضع أسسه مجهولاً يقبع في الظل، كما بقيت مجهولة للأكثرية من مستخدمي الانترنت، الطريقة التي اخترع بها وسيلته الاتصالية الحديثة، فمن سمع عن براي توميلنسون؟ إنه مخترع البريد الالكتروني الذي يعيش حياة عادية موظفاً في شركة أمريكية منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، دون أدنى محاولة لتعريف العالم بأنه أحد رجال التاريخ، فتوميلنسون فخور بما اخترعه، وهذا يكفيه.

يُعد البريد الالكتروني أكثر الطرق حتى الآن لنقل البيانات، وملفات النصوص والصور الرقمية، وملفات الصوت والفيديو من جهاز كمبيوتر إلى آخر عبر شبكة الانترنت، ولم تصبح هذه الظاهرة الشعبية حتى عام 1990، والآن هي الأعمال التجارية الرئيسية، والاتصالات الشخصية، وكان له تأثير رائع على كمية المعلومات التي يتم إرسالها في جميع أنحاء العالم.

وفي بداياته كان التراسل بالبريد يتوجب ولوج كلاً من الراسل و المرسل إليه إلى الشبكة في الوقت ذاته لتنتقل الرسالة بينهما آنيا كما هو الحال في محادثات التراسل اللحظي المعروفة اليوم، إلا أن البريد الإلكتروني لاحقاً أصبح مبنياً على مبدأ التخزين والتمرير، حيث تُحفظ الرسائل الواردة في صناديق بريد المستخدمين ليطلعوا عليها في الوقت الذي يشاؤون.

كانت وزارة الدفاع الأمريكية قد اختارت شركة (بي بي ان) التي يعمل فيها المهندس راي توملينسون لكي تقوم ببناء ARBANET أربانت، وهي أحرف ترمز إلى الشبكة التي تربط المعاهد العلمية والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية بعضها ببعض، وتجعلها على اتصال فيما بينها، وتعتبر أربانت هي الركيزة الرئيسية



التي انطلقت منها شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) حالياً.

كان راي توملينسون قد شارك في تصميم تلك الشبكة ببرنامج لكتابة الرسائل الإلكترونية يسمى

SNDMSG وذلك لكي يتمكن العاملون عبر شركة أربانت من الاتصال فيما بينهم عن طريق الرسائل التي ترسل لبعضهم البعض. وهذا البرنامج لا يرقى لمستوى البريد الإلكتروني الحالي، ولكنه كان النواة التي بدأ منها (توملينسون) للوصول للبريد الحالي . وأهمية هذا البرنامج أنه يصنع ملفاً تُوضع فيه الرسالة، وهو ما يعني أنه لا يستعمل إلا بين شخصين أو أكثر يشتركون في جهاز كمبيوتر واحد، من تلك الأجهزة التي كانت متوافرة في المعاهد والجامعات المشتركة بشبكة أربانت. فالكمبيوترات الشخصية لم تكن قد ظهرت بعد، حيث كان عليه أن ينتظر حتى عام 1981 لتظهر محدثة التحول الأكبر في عالم التكنولوجيا الحديثة التي تسيطر على عالمنا اليوم.

وكان البريد الإلكتروني في وقت مبكر من القرن العشرين ليس كما ما نعرفه في هذه الأيام بل هو بمثابة ملف دليل توضع الرسالة بداخل الدليل لمستخدم آخر في مكان حيث يمكن أن يرى ذلك. تماماً مثل تترك مذكرة على مكتب شخص ما. وكان نظام البريد الإلكتروني الأول من هذا نوع أُستخدم في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عام 1965. ووضع برنامج آخر SNDMSG لإرسال الرسائل على الكمبيوتر .

يقول توملينسون «لم يكن صندوق البريد إلا ملفاً يكتب فيه المستخدم رسالته، ولا يمكن للقارئ إعادة الكتابة عليه أو تحريره، يمكنه قراءته فقط». وكما ذكرنا، فقد كان الهدف ترك الرسائل من الشخص الذي انتهى عمله على الجهاز للشخص الذي سيتولى أمره من بعده، من دون الحاجة للقاء.

في عام 1981 حدث التحول الكبير في عالم الاتصالات الذي سيطر على العالم اليوم . فقد صمم توملينسون برنامجاً أخر يسمى (سيبنت) CYPNET يسمح بنقل الملفات من جهاز كمبيوتر إلى آخر بشرط أن يكون الجهازين مرتبطين بشبكة (أربانت) .

وهنا فكر تومسلينون ملياً في برنامج يسمح له بالربط بين البرنامجين الذي سبق وصممهما وهم SNDMSG والذي يسمح بإرسال الرسائل والثاني CYPNET والذي يسمح بنقل الملفات من جهاز إلى آخر وهنا ربطهما ببرنامج واحد وهنا ولد البريد الإلكتروني.

أتاح هذا الابتكار الفرصة للجميع لاستخدام البريد الإلكتروني، ولكن المشكلة أن الرسالة كانت حتى ذلك الوقت لا تحمل أي دليل على مكان مرسلها، وكانت هذه المشكلة هي التي أرقت توميلنسون، فشبكة (أربانت) موزعة على 15 جهازاً في أماكن متفرقة من الولايات المتحدة، منها ما هو موجود في ماساشوستس، حيث مقر شركة (بي بي إن) التي يعمل فيها توميلنسون، هذا التشتت هو الذي جعل توميلنسون يفكر في ابتكار رمز يوضع بين اسم المرسل والموقع الذي يفترض أن ترسل منه الرسالة.

يقول توميلنسون: «تأملت لوحة المفاتيح، حاولت العثور على رمز لا يستعمله الأشخاص عادة ضمن أسمائهم، لم أرد أن يكون هذا الرمز رقماً، فكان الرمز @ هو ما اخترته من الرموز الموجودة على لوحة المفاتيح، إنه حرف الجر الوحيد الموجود على اللوحة». وبالطبع فإن هذا الرمز الذي وقع اختيار توميلنسون عليه يقرأ على أنه حرف الجر (at) باللغة الإنجليزية والذي يشير إلى المكان الذي تنطلق منه الرسالة، وكان ذلك الرمز غير متداول آنذاك بصفة رسمية سوى في تزيين الصفحات.

في عام 1971 أرسل راي توملينسون أول رسالة تحمل @ للفصل بين اسم المستخدم وعنوان الحاسوب كما استقر عليه الوضع اليوم وذلك عبر شبكة أربانت.

وقد تمكن في ذلك العام 1971 من إرسال ملفات عبر شبكة محلية بدائية إلى جهاز آخر قام المهندس بعد ذلك بتطوير برنامج آخر يتيح إرسال الرسائل إلى أشخاص آخرين عبر

صناديق بريدية الكترونية ليقوم بعدها بتحقيق انجازه الفعلي عندما وضع علامة @ لتخصيص اسم المرسل أو المستخدم المراد إرسال الرسائل الالكترونية إليه.

لم يتوقع توملينسون أبداً أن يكون لهذا الرمز الذي اختاره الأثر الذي يبدو عليه الآن، حيث بات حرفاً قائماً بذاته، يستخدم ضمن أسماء الشركات وعلى اللوحات الإعلانية، مثل أي حرف آخر. ويقول: «لقد استغرق الأمر مابين 20 و 40 ثانية للتفكير» ما كان يقصده توملينسون هو أن يوضح المرسل هو أن يوضح المرسل مكان وجوده عند إرسال الرسالة، وليس أكثر. أي أنه يضع الرمز بين اسمه ومكان وجوده، فيتضمن العنوان اسم المرسل ومكان وجوده.

ظهرت المراسلات عبر أجهزة الحاسب في عام 1971 بفضل جهود توملينسون، ومنذ ذلك اليوم أصبحت هذه العلامة هي الرمز الرسمي والمسجل دولياً للبريد الإلكتروني الذي كان بدوره نقلة جديدة لحقبة زمنية قادمة تعتمد عليه ممهدة بذلك التحضير لاندثار البريد التقليدي.

بحلول عام 1974 كان هناك مئات من مستخدمي البريد الإلكتروني على شبكة آربانت التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية مما تسبب في حدوث تحول جذري في أهداف أربانت.

وسارت الأمور بسرعة؛ حيث اخترع لاري روبرتس بعض مجلدات البريد الإلكتروني لرئيسه في العمل حتى يتمكن من فرز بريده، وحدث هذا تقدماً كبيراً.

وفي عام 1975 وضع جون فيتال بعض البرامج لتنظيم البريد الإلكتروني، وفي عام 1976 انطلق البريد الإلكتروني بحزم تجارية.

كان واحداً من التطورات الجديدة أولاً عند ظهور أجهزة الكمبيوتر الشخصية على الساحة. تم وضع SMTP أول معيار للبريد الإلكتروني، أو البروتوكول البسيط لنقل الرسالة، وكان بروتوكول نقل البريد الإلكتروني بسيطة جداً والتي لا تزال مستخدمة - ومع ذلك وكان هذا البروتوكول ساذجاً إلى حد ما، حيث كان من السهل جداً التزوير (ولا يزال) في عناوين البريد الإلكتروني. وكانت هذه العيوب الأساسية في بروتوكول تم استغلاله من قبل الفيروسات والديدان، وعمليات الاحتيال وتزوير الهويات. ولا تزال بعض هذه المشاكل تعالج حتى عام 2004.

في عام 1982 أرسل راي توملينسون أول رسالة الكترونية في التاريخ وقد وصلت الرسالة إلى العنوان الذي أرسلت إليه في نفس اللحظة، وقد كان (راي) أرسلها لنفسه، ولا يذكر توميلنسون ما كانت تحتويه الرسالة بالضبط، كل ما يذكره أنها كانت تجميعاً لعدد من الأحرف التي كتبت في صورة عشوائية مكونة كلمة (QWERTYIOP)، أو شيء من هذا القبيل. وتم في هذا العام 1982 من استخدام الاسم email .

عندما ظهرت الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) أدى ذلك لاختفاء شبكة أربانت للأبد وأصبح مئات الملايين يستخدمون الإيميل والبريد الإلكتروني في العالم ولم يبق من البريد الإلكتروني الذي اخترعه توملينسون إلا المبادئ الأساسية.

ولكن مع بداية تطور البريد الإلكتروني وقد أخذ بعض الميزات الأنيقة جداً، وكان نظام يودورا واحداً من الأنظمة التجارية الأولى الجيدة، والتي وضعها ستيف دورنر في عام 1988 .

ويُعد عام 1989 عاماً حاسماً في تاريخ نشر خدمة البريد الالكتروني بشكل تجاري منظم للمشتركين، وكانت شركتا COMPUSERVE وMCI هي أولى الشركات المقدمة للخدمة .

في عام 1993 قامت شركة أمريكا أون لاين AMERICA ON LINE وشركة ديفلي DELPHI بربط خدماتها البريدية عبر الانترنت لتحول هذه الشبكة البريدية إلى وسيلة للاتصال.

واليوم، يستخدم ملايين الأشخاص حول العالم البريد الالكتروني، وقلة منهم فقط تذكر مخترعه راي توملينسون الذي توصل إلى اختراعه مصادفة، تماماً مثل عشرات الاختراعات التي غيرت وجه التاريخ، وهو ما يتضح من خلال هذا الاستخدام الواسع له. ولا شك في أن ذلك يؤكد أن هذا الابتكار كان حتمياً، وأنه لو لم يوجد، لكان من الضروري إيجاده. وأن كان كل اختراع على هذه الدرجة من الأهمية يذكر ويذكر معه صاحبه فإن البريد الالكتروني يذكر وكأن وجوده من طبيعة الأمور، أما صاحبه فلا أحد يكترث له أو به حتى لو كان على درجة من العبقرية مثل راي توملينسون الذي لم يستغرق منه ابتكار وسيلة الاتصال هذه التي غيرت وجه التاريخ سوى 30 ثانية.

ويكمل البريد الإلكتروني هذه السنة 41 عاماً من عمره، مرّ خلالها بمراحل تطور كبيرة حتى وصل إلى الشكل الذي نعرفه حالياً، كأسرع وأسهل وسيلة للتواصل عبر شبكة من الكمبيوترات الموزعة حول العالم.

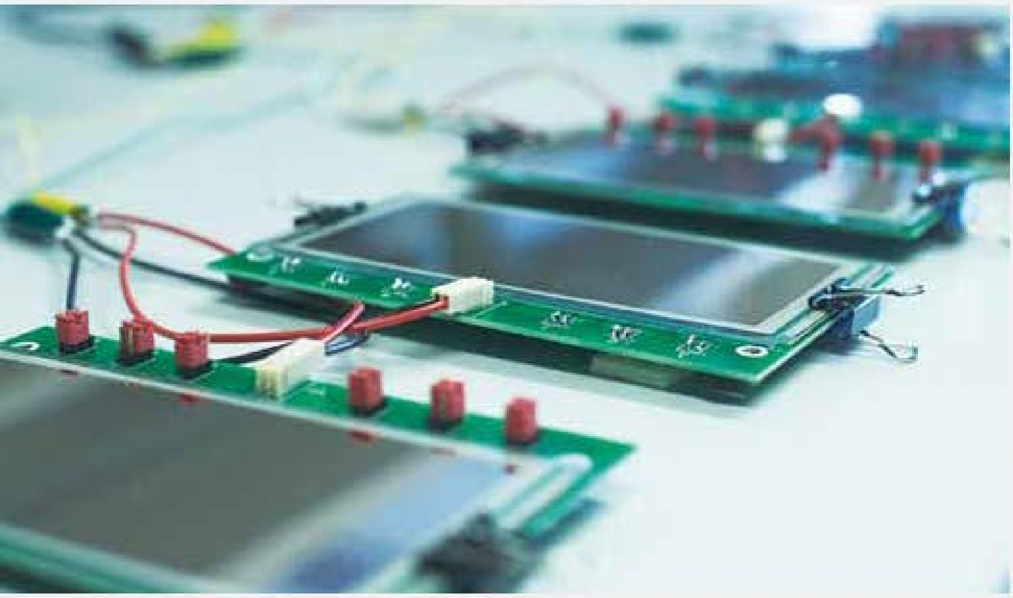
ويرجع السبب في ضياع حق راي توملينسون بالشهرة على الأقل في اختراعه للبريد الإلكتروني إلى الفرق بين الإنترنت الشبكة العالمية و(أربانت) الشبكة المحلية لذلك لم ينتشر ابتكار تومليسون إلا بين فئة ضيقة بين مستخدمي أربانت وانتهت تلك المرحلة وابتدأت مرحلة جديدة باختراع الإنترنت، ولأن تومنليسون لم يقم بتسجيل البريد الإلكتروني كبراءة اختراع باسمه .. أصبح البريد الإلكتروني بدون مالك وانتشر بين كل مستخدمي الإنترنت وكما ساعدت الإنترنت على انتشار البريد الإلكتروني بين الناس فإنها ساعدت أيضاً على ضياع اسم راي توملينسون وأصبح البريد الإلكتروني اختراعاً دون مخترع حتى وقتنا هذا .

لم ينشر توملينسون اختراعه على الملأ فوراً، وطلب من مساعده بريتشفيل ألا يخبر أحداً عن الموضوع، فلم يطلب منه أحد مثلاً هذا الاختراع. لكن قلق توملينسون سرعان ما زال عندما أخبره زميل ثالث يدعى لاري روبرتس أنه سيستخدم اختراعه. وخلال فترة وجيزة بات اختراع توملينسون وسيلة اتصاله المثلى بالزملاء الآخرين واتصالهم ببعضهم البعض الآخر، ولم يمض الكثير من الوقت حتى اكتسح اختراع توملينسون الجديد مستخدمي أربانت، وجلهم من المحاضرين في الجامعات الأمريكية، وأظهرت الدراسات التي أجريت في تلك الفترة أن 75 في المائة من الاتصالات في شركة أربانت كانت تتم باستخدام البريد الالكتروني الجديد. الذي يرى توملينسون أن أهم ما فيه هو أن استخدامه لا يشترط وجود أي من مرسل الرسالة أو مستقبلها، كما هو الحال في اختراع الهاتف مثلاً.

لا يزال راي توملينسون يعمل في الشركة ذاتها، (بي بي إن)، التي ابتاعتها في العام 2010 شركة (جي تي إي) وضمتها إلى مجموعتها. وينصب عمل توملينسون الآن على تطوير برمجيات التجارة الإلكترونية، لجعلها أكثر أمناً، وعلى رغم أنه غيّر باختراعه العالم، فإنه لم يتغير، بل إن ذلك لم يزده إلا تواضعاً، فمكتبه في كيمبردج في ولاية ماساشوستس، لا يثير الاهتمام أبداً. ولم تجعله فكرة ثراء بعضهم بالاعتماد على اختراعه هو نادماً على شيء.

يقول وهو يضحك «عادة ما ينتهي الابتكار بمكافأة. لكن هذا الابتكار كان استثناء»!

الثنائيات العضوية - مصدر جديد للضوء



ورق الجدران المتوهج وشاشات العرض القابلة للطي والنوافذ الزجاجية القادرة على إنتاج التيار الكهربائي.. كل هذا سيكون في متناول اليد، بفضل صمامات الضوء الثنائية العضوية (OLED).

مدينة دريسدن الألمانية تحتضن الباحثين الذين يقفون وراء هذه الثورة.

ضوء المستقبل يتوهج بالفعل في مختبر البروفيسور كارل ليو في دريسدن وهو عبارة عن لوح مسطح مربع الأضلاع. وعلى طاولة المكتب الخاصة برئيس معهد فراونهوفر للأنظمة الضوئية الدقيقة(IPMS)، يوجد صمام الضوء الثنائي العضوي (OLED). وهو مكون من طبقات رقيقة من أشباه الموصلات العضوية التي يتم طلاؤها على الزجاج ورقائق المعدن أو البلاستيك لينبعث منها الضوء، وهي قادرة على إضاءة مساحات واسعة.

وهكذا تمثل مصابيح OLED ثورة في عالم الضوء، إذ إن الأجيال التي سبقتها ابتداءً من المصباح الكهربائي العادي ومروراً بتلك الموفرة للطاقة وانتهاء بالصمام الضوئي LED، قادرة فقط على إضاءة مساحة محدودة، أو تشوبها بعض السلبيات مثل إهدار قدر كبير من الطاقة، عبر تحويلها إلى حرارة لا يتم الاستفادة منها. وعلى العكس من ذلك فإن الإضاءة بواسطة صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED، تتميز بفعالية كبيرة، وهي تتفوق بذلك حتى على الأنابيب المضيئة التي تتمتع حاليا بالريادة في السوق، كما أنها تتمتع أيضاً بمرونة كبيرة، إذ يمكن استخدامها على أسطح مرنة وقابلة للطي، مما يجعلها تكتسب جاذبية خاصة بالنسبة للمصممين والمهندسين المعماريين.

إن الأفكار التي كانت تعتبر حتى الآن ضرباً من الخيال، أصبحت ممكنة التحقيق بفضل OLED التي يعكف الباحثون في دريسدن على تطويرها. ويمكن مستقبلاً أن يأتي الضوء في غرفة المعيشة من ورق الجدران المضيء، أو من زجاج النوافذ المزودة بصمامات الضوء الثنائية العضوية، كما من الممكن أن تصبح شاشة الكمبيوتر مرنة بحيث يمكن طيها، وكذلك من الممكن أن تحل الأوراق الإلكترونية في المستقبل مكان الورق العادي كما هو مستخدم اليوم.

نوافذ تضيء وتنتج الكهرباء

وقد ركز فريق عمل على عكس المبدأ الذي تعمل عليه صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED، أي توليد الكهرباء بواسطة الخلية الشمسية المصنوعة من مواد عضوية مضيئة، ولهذا الغرض يتم استبدال طبقة OLED المشعة بطبقة قادرة على امتصاص الضوء، وعبر هذه التقنية، ستكون النوافذ في المستقبل قادرة على إنتاج الكهرباء.

ومنذ عام 2008 دخلت الأبحاث التي يجريها العلماء في دريسدن، مرحلة تبلور الأفكار في شكل خطوات عملية، حيث تم تأسيس المركز الأكثر تطورا في أوروبا لأبحاث أشباه الموصلات العضوية، وذلك تحت مظلة COMEDD "Center for Organic Materials and Electronic Devices Dresden". وفي عام 2000 كانت بداية العمل فعلياً في دريسدن في مجال أبحاث صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED. أما القاعة الرئيسية في للمعهد فتبلغ مساحتها 900 متر مربع، وقد أنشئت لتكون بمثابة محطة إنتاج تجريبية.

مسحوق يتحول إلى ضوء

في عملية معقدة يتم طلاء الطبقات العضوية الباعثة للضوء بشكل تدريجي على المعادن أو الزجاج أو الرقائق. وفي البداية يتكون ما يشبه المسحوق، مكون من جزيئات الكربون التي تتكدس بدورها على شكل طبقات منفصلة في شكل يمكن مقارنته بشطائر الخبز (أو الساندويتش).

وتنتقل الإلكترونات عبر أشباه الموصلات وتتحول طاقة من الإلكترونات إلى ضوء، ولحماية هذا الضوء من الماء والهواء والغبار، يتم إغلاق كل شيء بغطاء، وهذا ما يسمى بعملية التغليف.

وبالرغم من كل الانجازات والنجاحات إلا أن الطريق لا يزال طويلاً أمام الباحثين في دريسدن، إذ إن إضاءة منطقة واسعة تكلف الكثير من المال، لذلك يشجع كارل ليو العاملين معه في المقام الأول على تحسين عمليات التصنيع، وكما يقول كارل ليو: «نسعى على المدى الطويل إلى تخفيض السعر من 100 يورو للمتر المربع الواحد، إلى النصف أي إلى 50 يورو، ولتحقيق هذا الهدف، يجب أن تتحول مراكز الإنتاج التجريبي إلى مرافق للإنتاج التجاري بكميات كبيرة.

لقد اكتسب المعهد في دريسدن سمعة دولية طيبة خلال السنوات الأخيرة. وساهم في هذا النجاح الذي حققه المعهد، بالإضافة إلى براءات الاختراع التي سجلها، إن الابتكارات التي تم تحقيقها أدت بدورها إلى حسين ورفع نوعية الضوء المكتسب بواسطة صمام الضوء الثنائي العضوي OLED. إذ تبين عبر التعطيل المقصود للبنية البلورية الداخلية المكونة من أشباه الموصلات العضوية، يساهم في رفع القدرة المتاحة لتوصيل الضوء ويساهم بالتالي في زيادة كمية الضوء. إن نقل الأفكار القابلة للتطبيق للشركات المبتدئة لا يعتبر أمراً نادراً، حيث ساهم المعهد لسبع مرات في تزويد تلك الشركات بالأفكار. ومنذ عام 2003 تعمل شركة نوفالد Novaled، على تزويد الشركات العاملة في قطاع صناعة الإضاءة في جميع أنحاء العالم، بالدراية الفنية والتكنولوجيا اللازمة لإنتاج الضوء بواسطة صمامات الضوء الثنائية العضوية OLED.

أما الفرع الآخر للشركة Heliatek والذي تأسس في عام 2006، فقد بدأ في بناء منشأة خاصة لإنتاج الخلايا الشمسية العضوية. ويعتبر مدير المعهد البروفيسور كارل ليو العقل المدبر الذي وقف وراء تأسيس الشركتين. وهو لا يطمح إلى أن يجني في نهاية مشواره العلمي النجاح التقني لصمامات الضوء الثنائية العضوية فحسب، ولنما النجاح الاقتصادي كذلك.

يمكنكم مشاهدة التقرير من خلال الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=xsPCIMq3HGg



ولد العالم الفيزيائي كارل ليو في 10 تموز/يوليو 1960، وتخصص في مجال الإلكترونيات الضوئية، وهو مجال يجمع بين تخصصي البصريات والالكترونيات أشباه الموصّلات، مما يتيح تحويل البيانات والطاقة المولدة الكترونياً إلى ضوء ونقلها عبر هذا الطريق.

الاتصال عبر الضوء – أسلوب مبتكر في عالم الاتصالات

عندما يقوم عدد كبير من الناس بإجراء مكالمات هاتفية في نفس الوقت أو بالدخول إلى شبكة الانترنت، فإن الضغط يصبح كبيراً الأمر الذي يؤدي إلى إبطاء الاتصال بالشبكة، وهذا أمر يحدث بشكل يومي مع مستخدمي أجهزة I-Phone و I-Pad.

إن الضغط يصبح كبيراً بشكل خاص في فترة ما بعد الظهر، لدرجة ينقطع معها الاتصال بشبكة الانترنت. قام هارالد هاس بتطوير شكل جديد من أشكال نقل البيانات لاسلكياً، وهو يطلق عليه تقنية الضوء القادر على التحدث. ويمكن لتقنية الاتصال البصري اللاسلكي هذه أن تفتح الباب على مصراعيه لتطور جديد.

والمبدأ الذي تقوم عليه هذه التقنية بسيط: إذ تعمل مصابيح LED الحديثة على إظهار أشعة ضوئية يتعذر رؤيتها بالعين المجردة، وتلك الأشعة قادرة على نقل المعلومات التي يمكن استقبالها بواسطة محطة إرسال واستقبال مركبة. ويمكن لهارالد هاس إثبات أن الضوء قادر على التحدث، الأمر الذي يمكن أن يمثل ثورة في عالم نقل البيانات، وبالتالي ستتوفر طرق الاتصال اللاسلكي في كل مكان وبسرعة أكبر من تلك التي تعودنا عليها أثناء واجدنا في المنزل أو المكتب.

يتزايد باستمرار عدد الناس الذين يرغبون في الدخول إلى شبكة الانترنت دون الارتباط بمكان محدد، وهذا هو بالتحديد هدف المعهد الذي يديره هارالد هاس، لكن كيف يمكن نقل كم هائل من البيانات لاسلكياً عبر الضوء وبسرعة عالية ؟

يقوم هارالد هاس بإجراء الأبحاث في موقعين مختلفين، فهو يعمل كأستاذ في معهد الاتصالات الرقمية في جامعة أدنبره في اسكتلنده، و في نفس الوقت يشغل منصب أستاذ فخري في جامعة بريمن. وهناك قواسم مشتركة بين الجامعتين، وهي اعتماد اللغة الإنكليزية حصراً كلغة للتخاطب، ووجود جنسيات من بلاد العالم المختلفة، وهذا ينطبق على الطلاب الذين يشرف عليهم هارالد هاس، والذين يبلغ عددهم حوالي عشرة، فهم ينحدرون من بلدان عديدة، منها الهند والصين ورومانيا ومصر وبلغاريا وألمانيا.

في بريمن، يتم التركيز على الأشعة تحت الحمراء كوسيلة اتصالات ونقل البيانات، وذلك على عكس أدنبره حيث يتركز الاهتمام على الضوء الأبيض، ويُعتبر هاس من أبرز الباحثين في هذا المجال، ويقود أيضاً بنفسه الجهود الرامية لتسويق تقنيته المبتكرة. إن الشركة التي أسسها لهذا الهدف ستتولى مهمة بيع جهاز الإرسال والاستقبال المزدوجTransceiver، الذي لا يزيد حجمه عن رأس الدبوس، وعبر هذا الجهاز سيتسنى نقل البيانات بواسطة الضوء. وقد حاول هاس إقناع الشركات الكبيرة بدمج جهاز الإرسال والاستقبال الجديد في الطائرات والهواتف الذكية أو مصابيح (المصابيح LED الثنائية الباعثة للضوء)، أو أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسي، وقد لقي استجابة بالفعل من بعض تلك الشركات.



ولد هرالد هاس في 15 مارس/ آذار 1965، بعد فترة تأهيل مهني في مجال التقنيات الإلكترونية في مجال الإعلامي، تابع دراسته الجامعية حيث نال درجة الدكتوراه في مجال الاتصالات الكهربائية وتقنيات الاتصالات والهاتف المحمول، وهو يعمل حاليا كأستاذ متنقل في ادنبره، وكأستاذ فخري في جامعة بريمن.

وقريباً جداً قد تتبادل السيارات التحذيرات بشأن الاختناقات المرورية أو الحوادث، أو قد نتمكن من الدخول إلى شبكة الإنترنت بسهولة وبدون مشاكل، أثناء تحليقنا بالطائرات أو خلال السفر بالقطارات السريعة. إن الأبحاث الجارية في الوقت الراهن في جامعتي أدنبره وبريمن ستغير حياتنا بشكل جذري، وكما يقول هارالد هاس «الاتصالات عبر الضوء المرئي Visible-Light-Kommunikation ستؤدي إلى ارتباط أوثق بين البشر والآلات».

يمكنكم مشاهدة التقرير من خلال الرابط:
http://www.youtube.com/watch?v=DNHYhQspins

الحصاد الثقافي في 2012

2012 في الجوائز العالمية:

على مستوى الجوائز الأدبية العالمية والعربية منحت الأكاديمية السويدية الروائي الصيني مو يان جائزة نوبل للآداب للعام 2012، وجاء في حيثيات منح الجائزة أن الكاتب الصيني «استخدم مزيجاً من الخيال والواقعية والجوانب التاريخية والاجتماعية، ليخلق عالما يذكر القارئ بكتابات وليام فوكنر وغابرييل غارسيا ماركيز».

وتوّج الروائي اللبناني ربيع جابر بجائزة البوكر العالمية للرواية العربية للعام 2012 التي تمنحها جائزة البوكر البريطانية وتدعمها هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة بالإمارات عن روايته (دروز بلغراد.. حكاية حنا يعقوب).

وتنافست ست روايات على الجائزة، هي (العاطل) للمصري ناصر عراق و(عناق عند جسر بروكلين) للمصري عز الدين شكري فشير و(شريد المنازل) للبناني جبور الدويهي و(دمية النار) للجزائري بشير مفتي و«نساء البساتين» للتونسي الحبيب السالمي، إضافة إلى الرواية الفائزة.

وفي هولندا حاز الكاتب السوري المعارض ياسين الحاج صالح على جائزة الأمير كلاوس الهولندية إلى جانب مفكرين وكتاب ومخرجين حول العالم، وذلك لإسهاماتهم في مجالات الثقافة والتنمية في بلادهم.

كما تسلم الكاتب المصري علاء الأسواني جائزة (تيزيانو تيرزاني) الإيطالية للأدب للعام 2012 عن كتابه (هل أخطأت الثورة المصرية) الذي أطلقه في العام 2011 وترجم للإيطالية تحت عنوان (الثورة المصرية) وقامت بنشره دار (فيلترينيلي).

وفي إنجلترا فازت الكاتبة الإنجليزية (هيلاري مانتل) بجائزة مان بوكر للرواية عن روايتها (Bring Up the Bodies) أو (أخرجوا الجثث)، لتكون أول امرأة، وأول بريطانية تفوز بالجائزة مرتين، و(أخرجوا الجثث) هي الجزء الثاني من روايتها التاريخية التي تتناول حياة السياسي الإنجليزي توماس كرومويل، وسبق لمانتل الفوز بالجائزة نفسها عام 2009 عن جزئها الأول (قاعة الذئب).

ومنحت جائزة الغونكور – التي تعد أرفع الجوائز الأدبية الفرنسية- للروائي الفرنسي الشاب جيروم فيراري عن روايته (القسم حول سقوط روما)، التي يحاول فيها تفسير كيفية نشوء العوالم المثالية وازدهارها ثم سقوطها، كما جاء في حيثيات منح الجائزة.

2012 في الثقافة السورية:

في سوريا تعرض العديد من الكتاب للاغتيال والتصفية، وفي سنة 2012 توفي الكاتب محمد نمر المدني تحت التعذيب في مدينة دير الزور، واغتالت الكاتب إبراهيم الخريط قوات النظام أو مليشياته.

وكان من أهم نتائج الثورة السورية خروج العديد من المثقفين من عباءة المؤسسات الثقافية التي تحتكرها الدولة خاصة (اتحاد الكتاب العرب)، حيث أسست رابطة الكتاب السوريين وأسندت رئاستها إلى المفكر صادق جلال العظم بعد مؤتمر بالقاهرة. كما تأسس (تجمع التشكيليين السوريين المستقلين) و(تجمع فناني ومبدعي سوريا الأحرار) وغيرها من المنظمات المستقلة عن الهيئات الرسمية.

وبينما تتواصل عمليات الاعتقال والتنكيل والقتل الذي تعرض له المثقفون، ودفعت أغلبهم إلى مغادرة سوريا أو التواري، تتعرض أيضاً معالم تاريخية هامة تعد من أقدم المعالم الأثرية في العالم لبطش أشد من خلال عمليات التدمير جراء العمليات القتالية التي تستخدم فيها أسلحة ثقيلة أو النهب وتهريب قطع أثرية خارج البلاد.

وأثناء المعارك تعرض السوق الأثري في مدينة حلب وقلعتها الشهيرة والجامع الأموي بالمدينة لدمار كبير وكذلك قلعة حماة وآثار مدينة معرة النعمان ومتحفها التي تزخر بالمواقع الأثرية.

ومع احتدام المعارك وانتشارها يطول التهديد كل الإرث التاريخي من متاحف وقلاع ومساجد وأسواق ومدن مغرقة في القدم، بدءاً من قلعة قصر الحير الغربي في البادية السورية، التي تعود إلى العصر الإسلامي المبكر، إلى مدينة أوغاريت (موطن أول أبجدية في التاريخ) وتدمر ومعلولا، والحفريات في (تل حلف) قرب تركيا، وانتهاء بالمعالم الأثرية من أواخر العصر الروماني وبدايات العصر الإسلامي في منطقة حوران على الحدود الأردنية.

وفيات 2012:

7 كانون الثاني/يناير الروائي المصري إبراهيم أصلان 76 عاماً.

8 كانون الثاني/يناير الصحفي المغربي قاسم جداين 73 عاماً.

17 كانون الثاني/يناير الكاتب المصري أحمد حميده 63 عاماً.

1 شباط/فبراير الشاعرة البولندية فيسوافا شيمبورسكا 88 حاصلة على جائزة نوبل في الأدب عام 1966.

27 شباط/فبراير الكاتب المصري ثروت عكاشة 91 عاماً.

25 آذار/مارس الكاتب الإيطالي أنطونيو تابوكي 68 عاماً.

5 حزيران/يونيو الكاتب الأمريكي راي برادبري 91 عاماً.

8 حزيران/يونيو الصحفي والسياسي والدبلوماسي اللبناني غسان تويني عن عمر 86 عاماً.

13 حزيران/يونيو الكاتب والفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي 98 عاماً.

وفي 11 تموز/يوليو الصحفي المصري سلامة أحمد سلامة 80 عاماً.

وفي 14 تموز/يوليو الأديب المصري محمد البساطي عن عمر 75 عاماً.

وفي 14 تموز/يوليو الشاعر المصري حلمي سالم 56 عاماً.

وفي 13 آب/أغسطس الكاتبة الأمريكية هيلين براون 90 عاماً.

وفي 25 آب/أغسطس نيل آرمسترونغ أول رائد فضاء أمريكي يمشي على سطح القمر عن عمر 82 عاماً.

وفي 9 تشرين الثاني/نوفمبر الشاعر والأديب المصري د.جابر قميحة 78 عاماً.

3 كانون الأول/ديسمبر الشاعر الليبي رجب الماجري 82 عاماً.

2012 في العلوم والتكنولوجيا:

أبرز ما ترسخ في 2012 هو انتشار الحواسيب اللوحية، حتى بات من المؤكد أنها ستحل محل الحواسيب المحمولة، خاصة مع إطلاق الحواسيب الهجينة التي تجمع بين اللوحي والمحمول وازداد انتشارها بفضل نظام ويندوز 8 الجديد، وساهم بانتشار الحواسيب اللوحية جهازا آيباد وآيباد ميني من أبل، وحاسوب سيرفس من مايكروسوفت، كما لا ننسى شركة أمازون التي فتحت الطريق واسعاً أمام الحواسيب اللوحية المصغرة بإنتاجها سلسلة حواسيب كيندل فاير رخيصة الثمن.